



023656

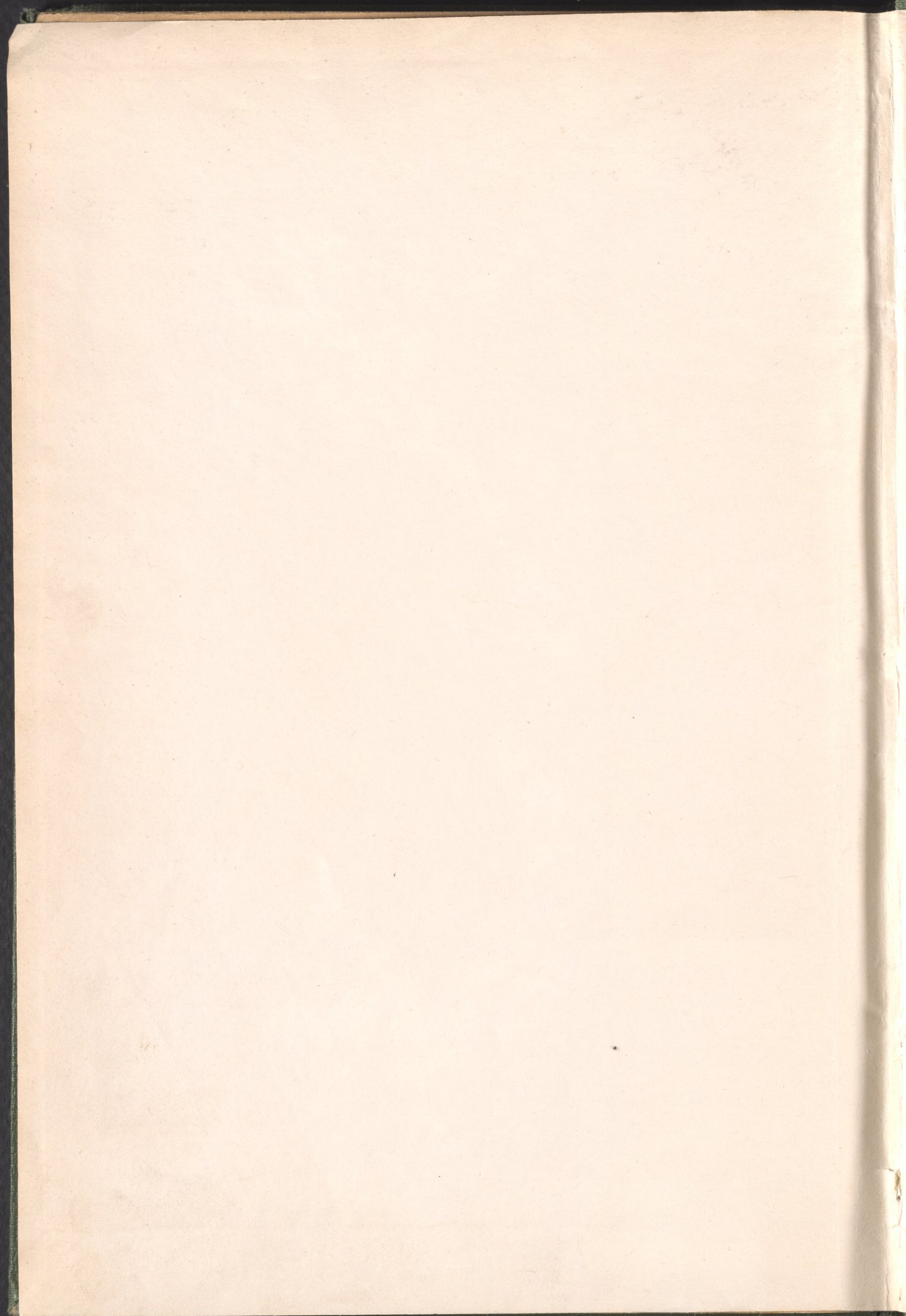
Recd APR 2000

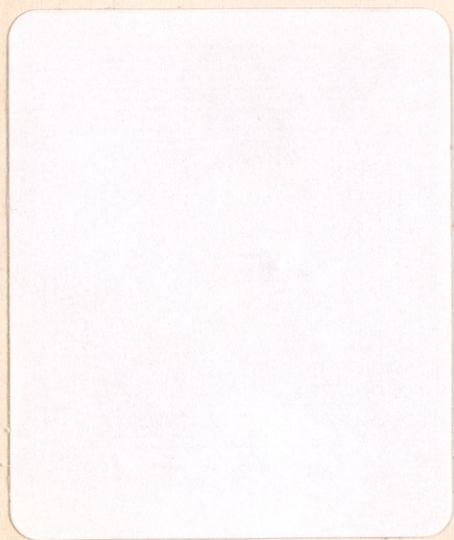
104



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة





أحسن ما كتبت

PJ
7625
A4
1934

علم . فن . فلسفة . اجتماع

بقلام

طائفة من فجرة العلماء والادباء

في الشرق العربي

عنيت بنشره

ادارة الهيكل بنمض

١٩٣٤

مكتبة الامم المتحدة
شارع مصر النيل

892/1
H54b

٨١٠, ٨
احسن . فن

20800

مقدمة

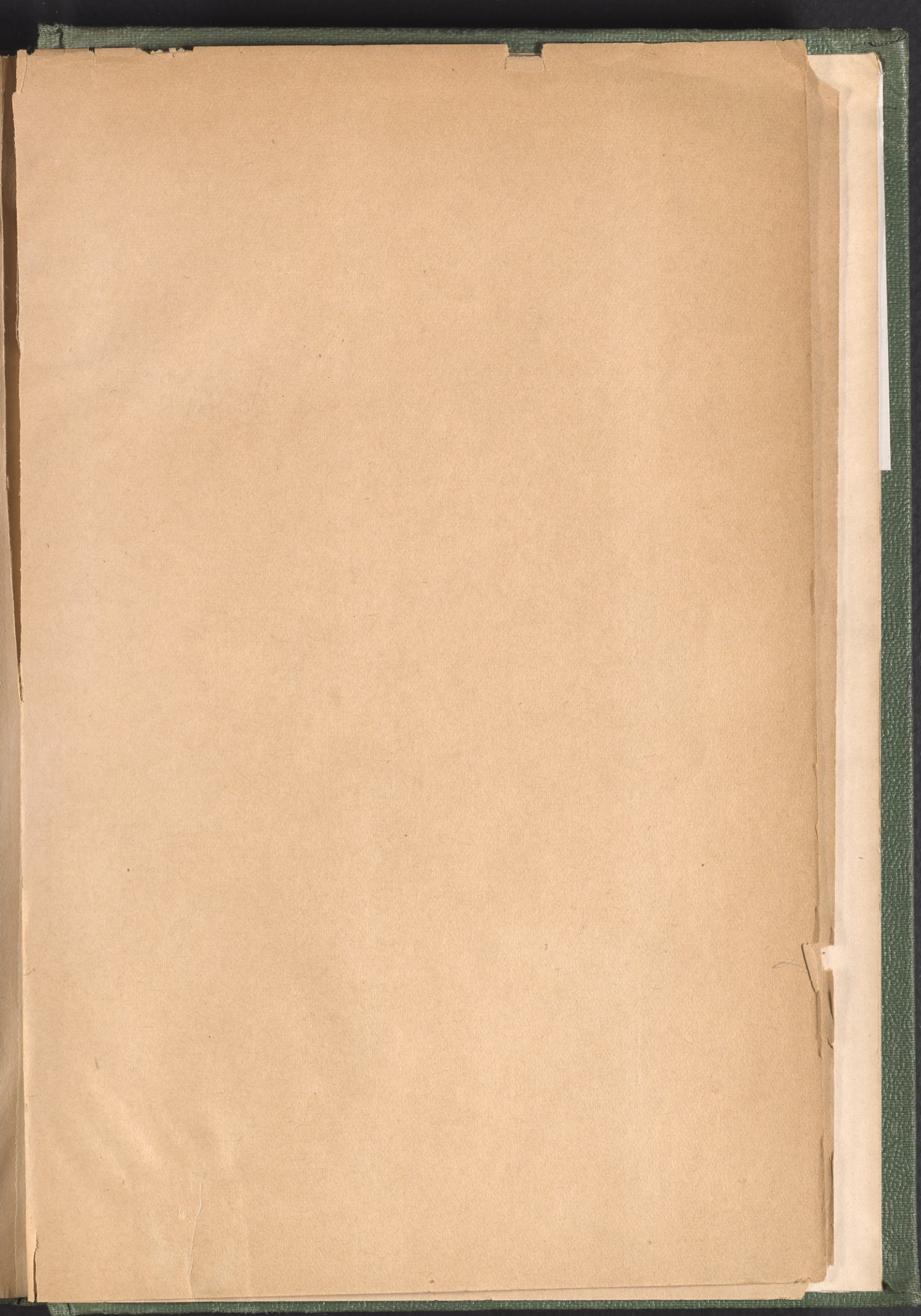
« أحسن ما كتبت » ...

هذا هو الموضوع الذي اخترناه لهذا الكتاب لنجمع فيه طائفة من أنفس ما أنتجته قرائح الأدباء في الشرق العربي شعراً ونثراً ، ثم نهديه الى القراء كذخيرة قيمة وتحفة سميعة يقتبس منها كل قارئ ما يلذه ويفيده

وقد يبدو وضع هذا الكتاب من أسهل الأمور وأقرب الأعمال . والواقع أن العناية التي بذلت فيه فاقت كثيراً من المجهود الذي يبذل في غيره . ذلك لأن الموضوع دقيق ، يدعو الى الحيرة . وهذه الحيرة هي التي اعترتنا واعترت بعض الأدباء الذين اقترحنا عليهم أن يمدونا بأحسن ما كتبوا أو نظموا . فمنهم من عارضنا بقوله : إن أفعال التفضيل هذا مستحيل بين الآثار القلبية للكاتب الواحد ، لأنه يعتبر مقالاته ومؤلفاته كأولاده لا يفضل أحدهم الآخر . ومنهم من رأى ان أحسن ما كتبه لم يكتبه بعد ، لأنه لم يرض حتى الآن عما كتبه ، وليس لديه أحسن ولا حسن .. ومنهم من اعترض على كلمة « أحسن » ورأى أن تغير بكلمة « أصدق » فهو يقترح علينا أن يكون الموضوع « أصدق ما كتبت » ، لأن الكلام لا يكون حسناً إلا اذا كان صادراً عن شعور صادق . ومن بين هؤلاء جميعاً طائفة - هي الكثيرة - اجابتنا الى اختيار أحسن ما كتبت في رأيها ومن هنا انقسمت مقالات هذا الكتاب الى قسمين : قسم اختار اصحابه مقالاتهم باعتبار انها أحسن ما كتبوا في الماضي ، وقسم فوض اصحابه الأمر لاختيارنا فاخترنا لهم - وقد نوهنا بذلك في خلال الكتاب - وهناك أدباء لم نستطع الاتصال بهم ، وهم قليلون لا يزيدون عن ثلاثة أو أربعة اخترنا لهم شعراً ونثراً بما رأيناه ينسجم مع روح الكتاب

فأكمل لنا من ذلك كله نحو (٧٣) كلمة في موضوعات شتى لنحو (٦٧) كاتباً وشاعراً من خيرة الكتاب والشعراء في البلاد العربية . ولعل ما حواه هذا الكتاب لم يتح لكتاب آخر من نوعه . وهو أشبه بالروضة المونقة التي انتظمت بألوان مختلفة من الازهار . وما الأدب في العلوم إلا بمثابة الزهر من الأغصان ، فهو يعبر مثله عن الجمال الفني في الطبيعة . ولذلك كانت كل النفوس تهواه ، وكلها ترتاح اليه وتطرب به

وإذا كنا قد جهدنا في جمع هذه الآثار النفيسة على هذا النحو الذي يراه القراء ، فان مما يسرى عنا ويخفف الغناء مانعهده من حسن قبولهم ، وصادق تقديرهم لهذا الجهد الذي نبذله في غذائهم الروحي مخلصين



في حضرة الرئيس

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشري

ملء السمع ، ملء القلب ، ملء البصر . لو حاول بكل جهده ألا يكون رجلاً عظيماً ما استطاع ، وهيات لأمري أن يملك عن نفسه ما شاء لها الله ! وقد سوى الله له هذه العظمة من يوم مدرجه ، فكان طالباً عظيماً ، وكان مدرهاً عظيماً ، وكان قاضياً عظيماً ، ثم تهاوت إليه زعامة أمة فهو فيها ملء السهل والجبل

بحسبك أن تراه لتعرف أنه سعد ولو لم يوحى إليك أحد بأنه سعد ، وكيف يختلط عليك أمره وهذه يد القدرة قد دلت عليه بدلائل تنبئك بأنه ، وإن كان من الناس ، إلا أنه أعظم الناس بسطة في العلم والجسم ، بسطة في العقل والحلم ، وعزم تزايل الجبال دون أن يتزلزل ، ويقين تتحول الأرض عن مدارها ولا يتحول ، ومنطق يصول في الجلى حتى لتحسبها الجحافل قد تداكت بسيوفها وعواليها ، ويلطف في السمر حتى لتمثل أسراب السكواعب وسوست حلبيها وتضوعت منها غواليها . . وما إن رأيت ولا سمعت برجل فسح الله تعالى له في البيان وأمكنه من نواصي الحجة كما فسح لسعد ومكن لسعد . ولقد تتقدم لمباراته في الامر تظن أنك قد بلغت منه الغاية ووقعت على الصميم وتمنعت منه بالحصن القوي ، فهاهو إلا أن يرسل عليك الحجة حتى ترى أنه ملك الرأي عليك من جميع أقطارك ، وأنت سرعان ما وقعت أسيراً في يديه تتقلب فيهما تقلباً ، وهيات لك الخلاص إلا بأن تنزل في أمرك على الاذعان والتسليم !

وإن أنس لا أنس ليلة مضت من عشر سنين حاور فيها مستشاراً كان في محكمة الاستئناف ، معروفاً بشدة الجدل ، في مسألة فقهية ، وكلما انخط الرجل فيها على رأى أزعجه سعد فطار الى غيره ، حتى اذا ظن أنه تمكن في أفحوصه (١) ثار عليه بالحجة فوثب الى سواء ، وما زال به صدرأ من الليل ينشره ويطويه ، وينقله من رأى الى رأى ، ويحوله من قول الى قول ، حتى داخ الرجل ووهن ، ولم يبق فيه فضل حوار ولا جدل !

ولا أدري أكان ذاك من سعد مجرد تهدي للرأى وتعقب لموطن الصواب ، أم أنه كان يتلعب بالرجل تلعباً لينزله على معرفة قدره ، ففي نفس ذلك المستشار غرور وفي أنفه ورم ! أم هي الخيلة (٢) تبعثها في النفس شدة التمكن من النفس . وانه ليلذ لها أحياناً ألا تمتنع بذلك الواقع

(١) الأفحوص نجم القطاة وهو الموضع الذي تفحص التراب عنه لتبيض فيه (٢) الخيلة : الكبر

الذى اطمأنتت به والحق الذى استرحت اليه . فما هو الا أن تصول بالحجة عليك حتى ترى أنك
انما كنت تقبض على الهواء ، وأن صرحت الذى أقمته تفرق عنك تفرق الهباء . فتسولى منحذلا عن
يقينك وقد ضربك الشك : أكنت مخدوعا عن الواقع ؟ أم ان هذا الواقع دون قوة سعد فهو
يصرفه بحجته كيف يشاء ؟ ... لا أدري يومها ماذا كانت اربة الجبار . والله أعلم !

وسعد قد علت به السن وشاب رأسه . على انه ، بسط الله فى عمره ، ما زال يمرح من فطنته
القوية فى أفتى الفتوة وأمرع الشباب . ولو كتب لك الظفر ساعة بمجلس هذا الذى دوت الدنيا كلها
بمجدته لتعمت بما لا يلحقه الوصف من عذوبة طبع فى عذوبة مجلس . وحديث كأنه قطع الروض
رف آسه ونسرينه . وتضوع وردة وباسمينه ، وبديهة كأنه يقرأ منها فى كتاب ، وكأنها تستوحى
الغيب فليس بينها وبين الغيب حجاب . ونادرة تشيع فيك الطرب ، وتهزك من اعجاب ومن عجب .
إذ هو فيما يرسل من القول — فى جده ومزاحه — لا يعدو ما ينبغى له من تحشم ووقار

وانه ليقبل عليك بكل لطفه حتى يفرخ روعك ، ويفسح لك فى جوانب القول لتقول . وانه
ليباريك فى منزلك ، ويدارجك فى حديثك الى ان يرسلك على سجيئك ويسترسل معك ، حتى
إذا اطمأنتت اليه وظننت أنك فى مساجلة رجل مثلك ، خاتمة عبقريته ، فوثب به ذهنه الى ما لا يتعلق
به ذهنك ، فإذا أنت قد طرت كل مطير ، وإذا الطبيعة تأبى برغمك ورغمة الا أن تشعرك انك فى
حضرة سعد زغلول !

يا لله من هذا الرجل ! وانه ليعرض فى الامر فيقول فيه مقالا ، وانك لتقدر له بادىء الرأى
غاية ما تعاهد الناس من حجة ، واقصى ما تعارفوا من دليل ، فإذا هو قد وقع فى تدليله على ما لم
تقع عليه ظنون الناس ، وارتفع الى ما لم تتعلق به اذهانهم ، ففتح فى المنطق فتحة جديدة وأتى بما
يهر ويروع . وكيف لسعد الا يرتفع على مذهب حجة الناس وقد رفعه الله على الناس ؟

وسعد وافر الشعور بعظمته ، مزدحم الشعور بانه انما يتحدث على آمال أمة ، فهو مهما بارى
المجلس فى فنون أحاديثه ، ومهما تدلى به السمر إلى تلك الاسباب الدائرة بين الناس ، يرفه بذلك
عن نفسه وعن صحبه . يطفر الفينة بعد الفينة الى حديث الوطن فيشك فيه معنى جليلا ، ثم يعود فيصيب
ما شاء الله من حديث القوم . أعلمت ان سعدا لا يصلح الا للوطن ، وأن الوطن لا يصلح الا بسعد ؟
أريد ان أكتب عن سعد . ومن الغرور ان أظن بقلمى الوفاء بوصف سعد مهما تفرج له فى
جوانب البيان . فان البيان انما يجرى فى غايته الى ما تعاهده الناس من الطبيعة ومن الناس ! أما
تلك النفحات الالهية التى يرسلها الله تعالى فى العصور الطوال نيا بعد ثنى ليقيل أهل الارض الزلة
ويهديهم من الضلة فذلك ما تعجز عنه اللغى ويقصر من دونه البيان

وبعد فإذا أردت ان تصف للناس سعدا فلن تستطيع أن تصفه بأبرع من لفظة (سعد) فقد
جمعت من وجوه المعانى ما لا يبلغه الكلام وان قدرته العقول وتعلقت به الافهام

الرحالة في الصحراء^(١)

بقلم احمد محمد حسنين بك

ان شق الصحراء شيء صعب وكشف مجاهلها شيء أصعب ، يعلم الرحالة هذا كله . فلنر اذن ما هو صانع ؟

ها هو ذا في شغل شاغل يفكر ويكتب ويعمل ، يفكر في النواحي الكثيرة التي تستلزم احتياجاته العدة في رحلة تستغرق بضعة شهور ينقطع فيها عن هذا العالم المدني الذي نعيش فيه ، ويدون كل ما ينتهي اليه من المعارف عن جانب مجهول من جوانب الصحراء ثم يأخذ في جمع ما يعوزه من زاد وشراب ومتاع ، وهو حاضر الذهن يقدر لكل شيء سببه . فهو يحرص على أن تكون عدته جميعاً في نحو بسيط كثير النفع هين الحمل يجمع طعامه الضروري منه والكمالي لا يفوته أن يخزن حتى بضعة صناديق من الحلوى ، فتلك الكماليات الشهية لا يستطيع أن يجدها في الصحراء . فاذا توافرت له كانت سبباً من أسباب رغبته ، يجمع عناصر فنه أدوات الهندسة والمقاييس والرصد والحساب ، تلكم العناصر العلمية التي يعتمد في نجاحه على متانة بنائها ودقة أدائها لوظائفها ، بعد الماء الكثير ينتقى الابل الشداد . يختار الرجال البواسل ، ولا سيما الدليل فهو مصباح القافلة . يتمتع الحيام المريحة . ما أشد زهوهم بخيمته الظرفية ، هي بيت العلم والقوة والفن ، يهيئ أدوات الدفاع عن النفس وصد غارة المغيرين . فهذه بنادق صائبة المرمى ومسدسات دقيقة الصنع ، وهذا رصاص يأكل الاحشاء ، وهذه سيوف قاطعة لوامع وخناجر تحرق الصخر ، يضيف الى ذلك كله ما يعوزه من الادوية الناجعة ، التي يسهل استعمالها ويصدق أثرها ، ولا سيما ما يختص منها بأمراض المناطق الحارة وما يشكو منه أهل الصحراء

ثم مضى المحاضر يصف حالة الرحالة النفسية واعتداده بنفسه وافتخاره بعدته وتحيله ماستكون عليه رحلته من الابهة وقافلته من القوة ، وكيف أنه قد ملأ يده من كل ما يهيئ النجاح لرحلته فتزود من المادة بنخير زاد واصلحه واستعان برائد بدوى أمين يقظ كالصقر خير باليد كالحمامة لا تخطيء الى صاحبها السبيل . أما الابل والرجال والحيام والطعام والشراب والآلات العلمية فهو قد أعد من ذلك كله أحسنه وأصلحه ثم حرص على ألا يفوته شيء من المظاهر حتى إنه أعد لنفسه لباساً بدوياً أنيقاً فتان المظهر خلاب المنظر ليطالع به رؤساء القبائل فيأتوا اليه ساجدين

(١) اخترناها من محاضرة القايت في المجمع المصري للثقافة العالمية

ثم قال : تلاحظون إذن في رحالتكم الآن ثلاثة جوانب نفسية غلبته وتمكنت منه :
أولاً - إيمانه المطلق بقوة المادة . ثانياً - حرصه على أن يستعين بهذه القوة قدر ما يستطيع .
ثالثاً - ضمانه النجاح العظيم من هذه الطريق

وهكذا ترون أن صاحبكم يحاول أن يفنى في سلطان المادة ، أو أن يفنى سلطان المادة فيه .
فالمادة شغله وهمه . مازج أثرها تفكيره . هفا لها قلبه . انتعشت بها نفسه . تأثر بالمادة كل شيء فيه .
تأثرت حتى مشاعره وحواسه . تأثرت هواجسه وخواطره . تأثر حتى ذوقه ومزاجه . فبدا مظهر
هذا الأثر جلياً في كل خطوة من خطواته وشارة من شاراته وكلمة من كلماته . هيمنت المادة على
ذاته المعنوية جميعاً . ما الصحراء سوى شيء مادي ، فلن يكون غزوها بغير سلاح مادي . ولقد اختار
لهذا الغزو سلاحاً ماضياً ، يغرى شكله بالوثوب ومقبضه بالطعن وحده بوجود النصر المين . ما أروع
أن يكون إذن فوق بسيط الرمل ! تم كل شيء . لقد أصبح رب اليد وسيد الصحراء

ومضى المحاضر يشرح زهو الرحالة بنفسه وعدته ويسخر من فشل الذين سبقوه ويصف
بداية الرحلة وكيف أخذ بجبال القافلة وهي تسير وفق المنهج الذي رسمه والسير هين والرمل لين
والصحراء مهاد والابل تحب آمنة واحمالها في حرز أمين

ثم يصف الصحراء بأنها صبية طيبة . طيبة ألوف . فرعها من ورد . جيدها من ذهب . جيدها
من نور . النظرة اليها تسبي العينين . المشى عليها يأخذ بالالباب . حياتها موسيقى وشعر . سماؤها
أغان وأحلام . الإقامة فيها كالإقامة في روضة غناء . راضية قنوع . لا ترد قاصداً . لا تخيب ظناً .
ان صددت أقبلت . وان أقبلت لانت . ضعيفة ذات خفر . في صوتها حنان . في رقتها لذة . في ملاحظتها
فتنة . في اغرائها خمرة تسكر العاشقين

هذه اذن هي الصحراء . فلئن لم ينجئه النجاح يسعى فلينتزعه من مخبئه انتزاعاً
وهكذا يقوى اعتزاز رحالتكم بالمادة ويشدد شعوره بنفسه . وينمو يقينه في الصحراء . انه
ليسير كل يوم بضع ساعات في جو مرح . ولذلك فهو مستبشر طروب

أتم رحالتنا مرحلته الاولى . وقد بدأ الآن يغشى « السريرة » والسريرة هي ذلك الشيء
المجهول ذو السر الدفين . انه اصطلاح البدو على كل مدى منبسط بين بئر وبئر . وقدره غالباً من خمسة
الى ستة أيام الى اثني عشر يوماً أو تزيد . فذا يأخذ الرحالة في رود هذه المنطقة الموحشة يأخذ في
اجتياز مرحلته الثانية . يقضى صاحبنا أول يوم من أيام هذه المرحلة . هو يوم (مشهود) . يوم حافل
سعيد . بلغ فيه الزهو بنفسه غايته . هو في ضحى هذا اليوم أشد خيلاً بنفسه من قبل . اذ انقطعت
صلته بالعالم الخارجي . واستهل الشوط الهام من رحلته . ذلك الشوط المجهول الذي لم يسبقه اليه أحد .
القافلة تسير هائلة . ورحالتنا مذكر الصدر . لقد آمن بسر الصحراء . (فبين يديه مادة قوية غلابة

وتحت قدميه موكب مهين ذلول . اترون الآن اليه وهو يسخر ؟ أهذى هي اليد التي وصفوها بأنها طاغية ؟ أهذى هي الرمال التي زعموا انها آبار الموت ؟ أهذى هي الصحراء التي قالوا انها شائكة السبل ؟ ما افككه طوافها انها مغان ومراقص ورياض أنس ولهو وجمال

قضى صاحبكم ست ساعات وهو يسير . مازال يمجّد نفسه حتى كأن هذا الفضاء على رحبه لا يكاد يسعه ، وكأن الارض لا تحمل سواه . وقد اعتزم أن يسير اليوم كله على قدميه ليلقى بذلك على رجاله درسا محيذاً في الصبر والجلد . وما الى ذلك من صفات البطولة . غير أن مفاجأة لم يكن ليحسب لها حساباً قد حولته من طريق الى طريق ، فعبثاً حاول أن يمضي في السير على قدميه فقد أوجعتها النعل البدوية تلك النعل الحشنة التي لم يألفها من قبل . تسرب الى نفسه شيء من الضيق فقد أدمت النعل قدميه أو اصابتهما منها ثغور . ليمتط إذن جملة . بدأ يتأفف . لا يلبث بعد حين حتى يمل ظهر الجمل . ما أقبح المطى ! أحب اليه أن يسير على قدميه الداميتين من أن يظل فوق جمل بطيء يمشى بسرعة أربعة كيلو مترات في الساعة . يحىء وقت الغداء فيكون غداؤه البلح الجاف كالحشف البالى . لا طهي اذن ولا شواء اذ لا سبيل الى ذلك والركب يسير . ثم إنه من تقاليد القافلة أن ناسها جميعاً يأكلون صنفاً واحداً لا فرق بين سيد ومسود وكبير وصغير . البلح الجاف اذن هو طعامه السائغ الشهى ! يند جمل فيختل نظام القافلة وتضعب إعادتها الى سيرتها الاولى . تند جمال آخر فتقذف ما عليها ويسوء الامر . فمن صناديق تهشم الى زاد يتلف الى جهد كبير ينفق في لم الشعث ولكن صاحبنا لا ييأس ويعتبر ذلك مناوشة بسيطة من الصحراء ثم نفجاً ، ولكن ما خطبها ؟ أليست تفكك وحدة الركب وتعوق السير وتعطل أدوات الفن ؟ وهذا كله محتمل في سبيل العلى

يلقى الرحالة عصاه فتزأر به عاصفة من جديد ، عاصفة تملأ الفضاء ، زاحفة كأنما تريد أن تنسف الارض ومن عليها . صوته يشيب الولدان كأنه صوت الفناء . ماذا تفعل العاصفة في هذه المرة . تقوض خيامه ، تهشم بعض أدواته العزيزة التي يعرف بها أسرار السماء والارض . أما الابل فقد نفق أقواها وهو لا يدري لهذا سبيل . أما ماؤه فقد ذهب أكثره لامور لم تكن في الحسبان . أما دليله ، وليد اليد ابن الصحراء العليم بأسرارها الخبير بمسالكها مصباح القافلة ذراع الرحالة الايمن ، أما دليله هذا فقد جحظت عيناه . ملأه الهلع . ليس أمامه سوى الفسيح الموحش الرمل . ليس أمامه علم يهديه ولا صوى يسترشد بها في طريقه . اذا قيل له : « أين نحن ؟ » هز كتفيه ، وقال بصوت محتبس : « الله أعلم ، واذا قيل له : « الى أين ؟ » أشاح بوجهه وقال في لهجة حيرى : « الله أعلم » فكاهة في الحق غير مناسبة . . . رب عاصفة يقل عمرها عن ثلث ساعة تسقط على رأسه خيمته الظرفية فتحطمها وتكاد تحطمه . رب ميل قليل عن خط سيره . ينتهى به الى فاجعة أليمة . قد يخونه رجاله فيتمردون عليه ويأتمرون به فيسوء المصير

ثم وصف الخطيب موقف الرحالة وكيف تمثل له الموت باسطا يده ، واطل الفشل فحطم
مطامعه وكيف هاب الموت وقد كان يحلو له أن يهب حياته للصحراء ، ثم كيف أصبح ذلك الذليل
الذى تتزع منه حياته عنوة وقسراً ثم قال : ويحيل الرحالة بصره ليرى كيف وقع هذا وعدته
كاملة ورجاله حاضرون فلا يرى سبباً . بل يرى أن هذه العدد قد انقلبت ضده ، وكذب ظنه
وخاب تقديره ، فيجلس كاسف الببال حسيراً معتقداً أن الصحراء قد بيتت له الغدر . ويتساءل أهذه
هى الصحراء التى كان يشغف بها حباً ويفنى فيها غراماً ! أين الفوز والنصر وأين المطامع وأقواس
النصر لقد انعكست آية المادة وهوى الرحالة من سمائه الى مستوى عبيده مكرها لا بطلا . . . لقد
تغير شعوره وأخذ يحقد على الصحراء ويلعن اليوم الذى وطئها فيه قدماء . ذلك ان زاده المادى
قد أخلى به فجمد ذهنه وتعطل تفكيره

وهنا تنتهى المرحلة الثانية بعد أن يكون رحالتنا قد ذاق من العذاب أمره . غير ان للصحراء
أدباً تأخذ به روادها فتصقل نفوسهم وتحلو عقولهم وترتفع بارواحهم يوماً بعد يوم . وهذا الادب
أشبه بأدب الامم الروم بابنها العاق . وشدها أدبت الصحراء رحالتنا وأحسنّت تأديبه فبدأت تنظفه من
دنس المجتمع وتظهره من ادران الحياة وتزعزع من صدره وسوسة الشيطان ، بدأت تغسل عنه قذارة
الجسم ودنسه ، بدأت تلهم نفسه فلسفة صوفية وتفيض عليها بهذه الفلسفة العالية
فأخذ يفكر فى أدب الصحراء بعد أن كان لا يفكر الا فى المادة وقوتها . فكأنما خلق اليوم خلقاً
جديداً . ولا غرو فقد اعاد الايمان الى نفسه ذلك العزم الثابت وتلك الارادة الصادقة ، وعلم علم اليقين
بأن ما تكنه الصحراء من أهوال وأخطار ، ويضمرة الغيب من شر وسوء ، وتستهدف له مصائر
الناس من ضر ومكروه ، إنما هذا كله رهن مشيئة الله . وها هو ذا يصدر فى عمله عن طبيعة هذا
الايمان الراسخ الشديد فهو ينفق أقصى ما يملك من جهد ، ويبدل غاية ما يستطيع من حيلة فى
سبيل المطلب الذى اخذ نفسه به . اما النجاح وغير النجاح فلم يعد امرهما فى يده ، ولكن امرهما
جميعاً فى يد الخالق وحده . سرت فيه تلك الروح القوية ، واوحى اليه بوحيا الصادق . فأخذ
من جديد يجمع شتات قوته المعنوية ، ويلم شعث عدته المادية ، وانطلق يستحث قافلته على المضى ،
ويملاً نفوس رجاله بأمر القضاء والقدر ، وفى ذلك لذة لا يشوبها الدنو من الموت ولا الموت نفسه ايضاً
وهكذا رويداً رويداً تسمو الصحراء بمشاعره واحساساته الى العالم العلوى . وهكذا رويداً
رويداً تبنى المادة ، ويفنى الجسم ، ولا تبقى الا قوة الروح تستيقظ فوق هذا الفسيح اللانهائى الرملى .
وتم تبدو له الصحراء فى صورة صبية ودیعة فى سذاجتها رحمة ، فى انوثتها طهر ، فى ظرفها نسك
يلذ العابدين . وهنا تداعبه الصحراء كما تداعب هذه الصبية الصغيرة الطاهرة ناسكاً صالحاً ، مداعبة
نقية كمداعبة الابرار الخيرين . فيرق لها ويحنو عليها . يعفو عن هفواتها ويغفر لها اخطاءها . وما
أجدر بالمغفرة اخطاء الصبايا الطاهرات !

الملك فيصل

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر
وزير خارجيته السابق في سورية

أترك للهاشيمين أن يندبوا الابن النبيل ، ولثورة في الحجاز أن تبكي المجاهد الجليل ، وللجيش المنقذ أن يحزع لفقد القائد المحنك ، ولديار الشام أن تحشع لموت النائر المدرب ، وللبلاط في بغداد أن يستكين لسيده الحلال ، وللعراق أن يهلع لمليكه الراحل . وأندب باسم العروبة خادماً أميناً من خدمة العروبة ، وبطلا كريماً من أبطالها

يكون الرجل وطنياً ولا يكون مجاهداً ، ويكون وطنياً ومجاهداً ولا يكون حكيماً . ولكن فيصل ابن الحسين جمع الثلاثة فكان وطنياً ومجاهداً وحكيماً

المرء عظيم بقدر الغاية السامية التي يضعها نصب عينيه ، وعالم بقدر ما يستكشف لها من قوى يدفع بها أهل تلك الغاية الى الامام ، وعامل بقدر ما يضع النظر موضع العمل والخيال على محز التطبيق . وكان الملك الراحل عظيماً لانه وضع نصب عينيه انقاذ شعوب بجذافيرها ، وعالماً لانه استكشف ما فيها من قوة معنوية وثيقة تربط بعضها ببعض ، وعاملاً لانه عرف كيف يضع تصوراتنه موضع التنفيذ

☆☆☆

ثم ما هي الزعامة يا ترى ؟

الزعامة سلطة شخصية تجمع العدد الوافر من الخلق تحت لواء واحد لتأييد حق من الحقوق مادية كانت أم معنوية

فالزعيم في العلم هو الذي يقود العقول ليحررها من الجهل ويعطيها مكانها من مجبوحة البحث والزعيم في الدين هو الذي يقود النفوس لينقذها من السخافات ويطهرها في الاخلاق والاعراق

والزعيم في الوطنية هو الذي يقود الشعب لينجيه من برائن العبودية ولعنة الذل والصغار فهل كان فيصل زعيماً ؟

لقد كنا قبل هذه اليقظة القومية الحديثة متفرقين مشتتين ، حتى أصبحنا غرضاً نرمي بالقذائف

في بلادنا وتشن علينا غارات الاضطهاد في عقر دارنا ، فلما لعل صوت فيصل قالت له الامة ليك وسعديك ، ثم أتته من كل فج عميق لتجتمع تحت اللواء الهاشمي الذي ارتفع هذه المرة لغاية قومية شاملة كما ارتفع منذ أربعة عشر قرنا لغاية إنسانية عالمية ، فسار وسار الخلق وراهم تحقيقا لما لا ينازعهم فيه منازع من حق في الحياة الحرة المستقلة

ومضت هذه الجموع حتى قطعت شوطا بعيداً تارة بالعنف والشدة ، وأخرى باللين والهوادة إلى أن بلغت بعض الاقطار العربية مكانا محموداً . ففصل كان زعيما لانه قاد حركة برمتها في سبيل النجاة وعمل عمل الجيابة لانقاذ شعب كامل من الاسر ووصمة الاستعمار . وما أغمض عينه حتى كان لصوته هزة ترددت في العالم العربي الشاسع من المحيط الى المحيط . أفلا يستحق الرجل الذي يرفع عن قومه ذل العبودية أن يدعى في سجل أقدارها زعيمها الجبار ؟

☆☆☆

ان اسلوب فيصل في الحياة هو الاسلوب الذي يطلق عليه في الأدب كلمة « السهل الممتنع » فمن يتتبع سيرته في بيته وفي عشيرته وفي بلاطه ومع وزرائه وفي رحلاته وفي مقابلاته الداخلية والخارجية وأعماله الخاصة والعامة — لا يجد تقصراً ولا تعقداً ، وهو بعيد عن الحوشى والمهجور ، ولا محل في سيرته للمعازلة ، بل يسيل في طرق الحياة كما يسيل الماء الزلال في الساقية خاليا من الكدورات والشوائب ليسقي الزرع ويستدر الضرع . وقد يبدو العمل الواحد من أعماله بمفرده هينا لنا ليس فيه منار للدهشة أو الاستغراب ، ولكن متى انضمت أعماله بعضها الى بعض فهناك الاعجاز والسحر الخلال !

قال فيصل وهو يجود بنفسه على فراش الموت : « اتى أموت مرتاحا » وقد صدق ، لان القائد الكبير المتحن بالجراح في ساحة الوغى لا يشعر بغصص الموت ، فالغاية العظيمة التي يزجي الفياق بلوغها هي أكبر من أن تدع للالم الى فؤاده سيلا

وقد مات فيصل وهو هائم بتحقيق خطة عالمية غرضها انقاذ ثمانين مليوناً من البشر يتكلمون لغة تدعى العربية ويعانون مرضا يدعى الاستعمار . فاضطراب قلبه وضغط صدره وحشرة الموت — كل ذلك كان أصغر من أن يلفت نظره عما وضع نصب عينيه من الهدف الاسمي

☆☆☆

الموت مصيبة تعظم في عين الصغير الذي لا هم له الا التمتع بملاذ الحياة البهيمية . ولكنه حادث طبيعي عند المشغول بالشؤون الكبرى . فكما تكون الولادة ظاهرة طبيعية لكل مولود كذلك الموت ظاهرة طبيعية للرجل الكبير

ليس حقا أن كل من حمل على النعش وسار الى المقبرة على أعناق الرجال وتوارى في ظلمة

اللحد انقطع عمله . ان الذي ينقطع عمله هو الصعلوك في نفسه الفقير في عقله الذي أمضى حياته على سطح الارض أنانيا بالمعنى الاعتيادي الحقيق ، هو الذي يسمن على هزال اخوانه ، ويشرى على فقر بلاده ، ويرتقى على جماجم أبناء وطنه

ولكن فيصلا كان قويا في نفسه غنيا في عقله ، عاش لغيره لانه هزل جسمه لسمن اخوانه وافترق ماله لثروة بلاده وارتنى في سلم المجد ولكن على جماجم أعداء العروبة . لذلك ما تتوارى في ظلمة اللحد حتى هبت روحه من جديد تبعث الحياة في المبدأ الذي مات في سبيله . وما هذه المآتم التي تقام له في المشارق والمغرب الا شهادة الشعوب العربية بخادم العربية الامين . هذا هو الميت الحى وهذه هي أعمال الخالدين

وفي الصفحات الاولى من علم الطبيعيات أن القوة خالدة لا تتلاشى ، وإنما تتحول الى شكل آخر من الحركة والاهتزاز ، تتحول الى صوت أو حرارة أو نور أو كهرباء أو غير ذلك ولكنها لا تندثر . وكذلك القوة الروحية — فهي تغيب عن الابصار ولكنها لا تتوارى عن البصائر ، وهي تموت بالمعنى العامي ولكنها تتحول بالمعنى العلمي

ولئن انقطعت حياة فيصل المادية ولم تعد قائمة على الهواء والماء والغذاء فحياته المعنوية يقضى لن تموت ، لانها تحولت الى اهتزازات روحية تتغلغل في صدور الملايين وعشرات الملايين من البشر . انها لقوة هائلة لانها استطاعت أن تقرب شعوباً متناكرة بعضها من بعض . وانها لجذابة ساحرة لانها جمعت بلدانا متناحية حول مركز واحد هو الحياة العربية المستقلة . انها لشمس من تلك الشمس الساطعة التي تسبح في فضاء اللانهاية وتتغلغل في أركان الازل

هذا هو الخلود العلمي الذي يقيم لصاحبه تذكراً من الانسانية وينحت له تمثالاً من الدهر

أُسْرُ إِن كُنْتَ مَحْمُوداً عَلَى خَلْقِ

وَلَا أُسْرُ بِأَنِّي الْمَلِكُ مُحَمَّدُ

مَا يَصْنَعُ الرَّأْسُ بِالتَّيْجَانِ يَعْقِدُهَا

وَأَمَّا هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ جَلُودُ

أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي

شلالات نياغرا

بقلم الاستاذ امير بقطر

كنت شدهتها صيفاً والسياح يفدون اليها من أطراف المعمورة والفنادق تموج بعشاق الطبيعة من أرباب المال وربات الجمال . فلم يبق في نزل غرفة إلا واكتظت . ولم يبق في حديقة زهرة تباع إلا وقطفت . ولم يشاهد الزائرون مقعداً تحت الأفياء الظليلة إلا وتبوموه ولاشبرا من الأرض على ضفة نهر نياغرا إلا وتراحوا عليه

هنا شيخ رحل مع زوجته وأولاده من ولايات أمريكا الغربية الجنوبية ليقضي فصل الصيف بين الجمائل وأرائك الأشجار ، حيث يجرد في خريف الشلالات موسيقى تذكره بأيام الصبي ، وفي نسمات الصباح حلاوة ينتعش بها جسمه ، ويجري لها دم الشباب في عروقه . وهناك على الضفة الأخرى في فندق يطل على الشلالات ، ويدخل في حدود كندا ، سيد في مستقبل العمر ، يداعب شعر عروسه المتهدل على كتفها ، كأنه خيوط الشمس ، وقد جاء بها هرباً من الأصدقاء والاقارب والاحباب ، في نيويورك أو شيكاغو أو باريس أو لندره أو برلين ، ليقضيا شهر العسل في نياغرا صيفاً بعد أن كانا قضيا شهراً آخر في ميناهوس على مقربة من أهرام الجيزة شتاء

وقد خيل لي في ذلك الحين أن تلك المنطقة وما يحيط بها ، من مدينة سيرا كيوز الى بلدة نياغرا في الولايات المتحدة الى بلدة اوترنتو في كندا ، ما غرست اشجارها ولا زرعت أزهارها ولا رسمت حدائقها ومتنزهاتها العمومية ، الا خدمة للعاشقين ووقفاً عليهم . وكأن الطبيعة ماتفجرت ينبعها في تلك البقعة الا لتكون ملتقى الاحباب وملجأ العشاق . فما كانت أستار الظلام تسبل على ضوء النهار حتى تنتشر تلك الحلائق على الأرض السندسية أزواجاً ، وقد لبثوا صامتين ساكنين ، وشفاهم تنهامس وقلوبهم تتناجي . فالنسيم عليل ، والهواء بليل جاف ، وموسيقى الشلالات تريد نار الحب اشتعالا ، وتقع بلسا على الأفئدة الكثيرة والقلوب الكليمة الخفاقة

رأيت كل ذلك ، ورأيت الريال الأمريكي لا يكاد يظهر من حقبة النقود حتى يتبخر كالأنثر وسمعت الكثيرين يقولون إن الشلالات أجمل شتاء منها صيفاً فقلت لأفقل راجعاً الى نيويورك ولنا الى نياغرا عودة . تركتها صباحاً وقد هبت الشمس من مرقدها وأرسلت من أشعتها الذهبية على صفيح الماء المتدفق ما تحول الى ألوف المجموعات من الألوان القزحية . ففارقتها وفي القلب حسرة وشيعتها بنظرات من نافذة القطار ولسان حالي يقول : الى الملتقى . وقد تحققت الاحلام

ولما اقتربنا من الشلالات كان لدويها روعة في قلوبنا وقد خفت أصوات الطبيعة وخيم السكون
وهدأت العاصفة الثلجية فحملت الرياح رشاشاً خفيفاً من ماء نياغرا فطافت على وجهه السكك
الثقيلة . وما كانت تلفحها نسمة باردة حتى وقف الماء في مكانه واستحال جليداً . فآخذ زملائي
يتزلقون بأحذيتهم المعتادة على أرض يخالها الناظر لوحاً من البلور النقي

وصلنا الآن الربوة العالية التي تطل على الشلال نفسه وهي ضالتنا المنشودة . وقفنا صفواً واحداً
نستند إلى حاجز من الصخور والاشخاب ونظرنا إلى أسفل إلى هوة مخيفة سحيقة تكدست في
في قاعها أحجار ذات أحجام ومرتفعات مختلفة . وعلى تلك الاحجار يتدفق ماء النهر بقوته الهائلة
واتساعه العظيم فيسمع له زججرة تصم الآذان وتولد في النفس رهبة وتنبئ بضآلة الانسان وحقارته
أمام قوى الطبيعة

اذكر اننا وقفنا جميعاً جامدين كالصخر لانبدي حراكاً ، ننظر تارة الى الانهار العظيمة المتدفقة
من ذاك العلو الشاهق الى الهوة العميقة ، وتارة إلى الضفة الاخرى حيث امتدت تلال اخرى بمحاذاة
التلال التي كنا عليها واقفين ، وثالثة الى أسفل حيث المياه فوق الاحجار تتقاتل وتغور وتتلاطم ثم
تنحدر الى القاع وتتباطأ في السير شيئاً فشيئاً الى أن تنتهي بين التلين كالانهار في الوديان

زادت الطبيعة سكونا وهدهواً وزاد الماء زججرة وزئيراً غير ان الشلالات لا يظهر جمالها الحقيقي الا
في نور الكهرباء البديع . انتشرت الوف المصابيح على الجانبين ، بعضها على حدود كندا والاخر في
حدود الولايات المتحدة ، وأضيئت كلها في وقت واحد فكانت تلك المفاجأة ابدع منظر رأيته في حياتي
انتحينا جهة أخرى بعيدة عن المكان الذي كنا فيه وأخذنا نتمتع الطرف بالشلالات وقد
تكسرت فيها أشعة الاضواء الجميلة المتعددة الالوان فظهر وسط الماء خيوط ذهبية متقدة وأخرى
صفراء فاقعة وغيرها بنفسجية أو زرقاء مائلة الى السواد . وكان يتخلل تلك الخيوط المتذبذبة المدلاة
من المرتفعات الشاهقة ماء زلال رقيق يتلألأ في الفضاء كأنه ذوب بلور في شفقهِ ولمعانه . وأنا
كذلك واذا بفتاة تهمس في اذن جارها : إن شلالات نياغرا من ناحية كندا اجمل منها من ناحية
الولايات المتحدة . وما كادت تأتي على آخر عبارتها حتى صيحنا جميعاً : هلموا الى كندا

هناك تغتسل الطبيعة ليلاً ونهاراً فلا تشوبها اتربة ولا رمال ولا غبار . فتارة تسقي ارضها ديمة المطر
وطوراً يحمل اليها النسيم رذاذاً من الماء المتطير من الشلالات ، تارة تجد الارض جافة ناعمة مصقولة
وأخرى تلقاها كتلة واحدة من البلور النقي ، وفي لمح البصر يذوب البلور كالشمس وقت الاصيل
فينحدر ماؤه الى وسط التل ويترك تحته طريقاً مرصوفاً شديد اللامعان

هناك عند مدخل الفندق وقفنا نشاهد فعل الضوء الكهربائي في مياه الشلالات وقد انعكس
منها الى الجهة المقابلة الوان اخرى قزحية تفوق ما رأينا في الجهة الاخرى جمالاً ولمعانا ، وانتشر من
حولها نقط تترقق على الاشجار تترقق الطل على ورقات الورد

طفقت اخترق كومات الثلج الجميلة حتى اقتربت من الشلال لالقي النظر الاخير . وليقف معي
القارىء قليلاً فأنا خارج المدينة والطبيعة ساكنة وقد وقفت ندف الثلج من السقوط ، والاشجار قد
تناثرت اوراقها واكتست اعوادها وأغصانها وجذوعها بثوب ابيض قشيب ، وخرير الماء يتعالى
شيئاً فشيئاً . كلما اقتربت منه أنظر يمينا ويساراً وأماماً وخلفاً فلا أرى انساناً ولا جناً ولا أشاهد سوى
بياض ناصع فوق بياض

جميل ان نشاهد الشمس تبعث بأشعتها الذهبية فتبسم الاشجار وترقص الازهار وتغرد الاطيوار ،
ولكن اجمل منه ان تصمت الطبيعة فهي صامته اجمل منها ناطقة

هناك اتخذت الحاجز المطل على هوة الشلال السحيقة لى مقعداً ، فطوراً أشاهد ورائى الثلج
تذوب فتندفق مياهها وتملاً الأودية والسهول ، وطوراً أطيل النظر الى الشلال فيزداد في نظري جمالا
فوق جماله ! وما اسرع القلبات الجوية في هذه الارحاء . سرعان ما اختفت ملكة النهار وهبت ريح
شرقية باردة فتحول ماء الثلج الذائب جليداً

وبعث الشلال برشاش من مياهه الى الاشجار التى بجانبه فبللها . وكان الماء لا يكاد يستقر
على الشجرة حتى تعصف الريح الباردة بها فتحوله جليداً ، وأخذت هذه العملية فى الاستمرار حتى
استحالت تلك الاشجار الى منظر من أجمل المناظر الطبيعية ان لم تكن اجملها . يخيل اليك ان جذع
الشجرة شمعة كبيرة بلورية وان غصونها المتفرعة شموع صغيرة شفافة وقد ظهرت اعوادها
فى بطونها كالفتيل فى باطن الشمعة . كنت اكسر الاغصان وأضعها بين يدي فاذا هى كالبلور لونا
وكالشموع شكلا ولا تمكث فى يدي طويلا حتى تكسب من حرارة الجسم ما يذيبها فتزول الشمعة
ويبقى الفتيل

في بركة...

تنصب فيها وفود الماء معجلة	كالخيل خارجة فى جبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة	من السبائك تجرى من مجاريها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها	ليلا حسبت سماء ركبت فيها

المجتري

وقفة في ظل تمثال

لرعمسيس الكبير

بقلم الأستاذ خليل مطران

ملأت من روعة قلبي وإنساني
من وجهك النضر في منحوت صوان
عنه ويمضي فما يثنيه من ثاب
هذا فتى مصر، « راعسيسها الثاني »
من قوم حث ومن فرس ويونان
ما فاز خاتلها منها بامكان
بطشاً ومُسدي الأيادي غير منان
صُبْحاً برأس من الجلود رنان
من الصفا غير معتاق ولا عان
هو الإباء رأى ضعفى فخياني
ولم أخله يناجيني فناجاني
طرفاهما وتراني منه عينان
محنطاً مدرجاً في سود أكفان
موتٌ وأكبر به حياً إلى الآن
على التقادم لم يمسس بمجدثان
ما جال في ظن فان أنه فان
خلوده بين أبصار وأذهان

يا صورةً شبّهت صخرًا بإنسان
لاوجه أبهى ولا أزهى بروقه
من المليك الذى تثنى جلالته
هذا فتى النيل، ذو التاجين من قدم،
« سيزوستريس » الذى دان العتاة له
إن قصر الجيش أغزى الرأي أمكنة
« ممنون » مردى الاغادي غير محتشم
مستقبل الشمس عبر الشمس ماطلعت
أناظر أنت لما هم كيف خطا
هو المضاء تراءى فاستوى رجلاً
قاربت سدته العليا على وجل
تراه عيناى مغضوضاً لهيبته
أرابني أننى قبلاً بصرت به
أكبر برمسيس ميتاً لن يلم به
تقوض الصرح فيما حوله ونجا
لولا تماثيله الأخرى محطمة
في مصر كم عزّ فرعون فما خلدوا

ولم يتم لها في غير مدته ما تم من فضل إثراء وعمران
ولم يسر بينها مثل سيرته ساع إلى النصر لاساء ولا وان
من منتهى النيل في أيامه اتسعت إلى أقصى الرُّبى في أرض كنعان
ومن عتَى الذُّرى في الطور عن كشب

في أرض كنعان... إلّا أن عسكره
أعاد كراته فيها وعاد على
فما يرى نفعه وهو الضباب علا
حتى تهب به ريح فترجعه
وتبرز القمم السماء ذاهبة
مغسولة بدماء الفجر طالعهما
سفوحها حرة والهام مطلقة
وموقع الذل ناء عن أعزتها
لكنما الخلف في الجارين صار إلى
وإن خيراً حليفاً من تروض به
تصافياً فصفا جو العلى لهما
وطالما كان ذاك الالف بينهما
في مبدأ الدهر والاقوام جاهلة
عصر بما ابتدع الفينيق واخترعوا
وعصر مصر الذي فاقت روائعه
مما توالى على الوادى به حقب
حضارتان سما شأو النهى بهما
ما زال بعثهما يرجى إذا رجعت

أحس ما بأسُ شعبٍ غير مدعان
أعقابه بعد إيغال وإمعان
تلك الرى فدحاها دحو قيعان
عنها عشوراً بأذيال وأردان
في الأوج تحسبها أجزاء أعنان
من أدمع القطر دُرٌّ فوق مرجان
وكل عان بها بعد الاسى هاني
كموقع الظل عن هامات لبنان
حلف وأدنى إلى الصلح الأشدّان
صعباً وتولية ودّاً بعد عدوان
وطوعاً ما عصى مما يرومان
على صروف الليالى خير معوان
زها بمبتكرات العقل عصران
فيه له فضل سباق ومحسان
آى الحديثين من نخم ومزدان
زينت حواشي الصفا منه بأفنان
أفادت كل تثقيف وعرفان
إلى خلائقها الأولى البلادان

وباتحادهما في الشأن من قديم ما زال يرتبط الاسنى من الشأن

يا مجد رمسيس كم أبقيت من عجب
أبغض به في العدى من هادم خنق
على الصروح كما والى الفتوح بلا
أكان منزله في المجد منزله
أم كان ما أدركت مصر على يده
تخير الخطة المثلى له ولها
ما زال بالقوم حتى صار بينهم
ورب سائمة بلهاء هائمة
يسومها كل خسف وهي صابرة
إلا . . . وقد بلغت في الخافقين به
إن بات في حجب بأت إلى نصب
فبجلت تحت تاج الملك مدميها
واليوم لو بعثت من قبرها لبدأ
ما زال صخراً على العهد الذي عهدت
مسخرًا قومه طراً لخدمته
مخلدًا المجد دون القائمين به
مخالساً ذمة العليا مضطجعاً
بحيث أب وكل الفخر حصته
كم راح جمع فدى فردٍ وكل بذلت
لموقع الأمر فيهم كل تكربة

فيه ومسئلة عنه حيران
وحبذا هو للتاريخ من بان
رفق بقاص ولا عطف على دان
لو رق قلباً لشيب أو لشبان
ذاك المقام الذي أزرى بكيوان
يعلو فتعلو به والخفض للشاني
إله جندي تحاييه وكهان
تشقى وتهواه في سر وإعلان
لاصبر عقل ولكن صبر إيمان
مكانة لم تكن منها بحسبان
يلوح منه لها معبودها الجاني
وقبلت دمها في المرمر القاني
لها كما خبرته منذ أزمان
بلا فؤاد وإن داجى بجثمان
وما بغى . رب سوء محض إحسان
من شوس حرب وصناع وأعوان
من مهد عصمتها في مضجع الزاني
ولم يؤب غيره إلا بحرمان
في مشترى سيّد أرواح عبدان
ومنفذ الامر فيهم كل نسيان

كَلَّا وَعَزَّتْهُ فِيهَا طَغَى وَبَغَى
 هُمُ الَّذِينَ عَلَى عُسْرٍ بِمَطْلَبِهِ
 وَهُمْ عَلَى سَفَهٍ دَانُوا بِمَنْ نَضَبُوا
 فِيمَ إِلَّا صَنَعُوا أَنْصَابَهُ دَرَسَتْ
 وَمَا لِأَسْمَائِهِمْ دُونَ اسْمِهِ دُفِنَتْ
 إِنْ يَجْهَلِ الشَّعْبُ فَالْحُكْمُ الْخَلِيقُ بِهِ
 أَوْ يَرْشِدِ الشَّعْبُ يُمْسِ الْأَمْرُ فِي يَدِهِ
 لَيْتَ الْبِلَادَ الَّتِي أَخْلَقَهَا رَسَبَتْ
 النَّارُ أَسْوَعُ وَرَدًّا فِي مَجَالٍ عَلَى
 أَكْرَمُ بَذَى مَطْمَعٍ فِي جَنْبِ مَطْمَعِهِ
 يَهْبُ فِيهِمْ كَأَعْصَارٍ فَيَنْقَاهُمْ
 بَعْضُ الطَّغَاةِ إِذَا جَلَّتْ إِسَاءَتُهُ
 فِي كُلِّ مَفْخَرَةٍ تَسْمُو الشُّعُوبُ بِهَا
 كَمْ فِي سَنَى الْكُوكَبِ الْوَهَاجِ مَهْلِكَةٌ

لَمْ تَرَقْ فِي حَقْبَةِ مِصْرَ كَمَا رَقِيتَ
 لَمَّا رَمَتْ كُلَّ نَائِي الشُّوْطِ مَمْتَنَعٍ
 أَلَا تَرَى فِي بَقَايَا الصَّرْحِ كَيْفَ مَضُوا
 وَكَيْفَ عَادُوا وَرَمَسِيْسَ مَقْدَمِهِمْ
 فَبَعْدَ أَنْ صَالَ بَيْنَ الْمَالِكِينَ بِهِمْ
 بِالْأَمْسِ يَدْنِيهِ قَرْبَانُ لَاهُتَةٍ
 إِنْ يَغْدُ رَبَّهُمْ الْأَعْلَى فَلَا عَجَبَ
 جِهَالَةٍ وَلِدَتْ فِيهَا قَرَائِحُهُمْ
 فِي عَصْرِهِ بَيْنَ أَمْصَارٍ وَبِلْدَانٍ
 بِسَابِقِينَ إِلَى الْغَايَاتِ شَجْعَانٍ
 بِأَوَجِهِ بَادِيَاتِ الْبَشَرِ غُرَّانٍ
 إِلَى الرَّبُوعِ بِأَوْسَاقٍ وَغُلْمَانٍ
 صَارَ الْكَبِيرُ الْمُعَلَّى بَيْنَ أُوثَانٍ
 وَالْيَوْمَ يَأْتِيهِ أَرْبَابُ بَقْرَبَانٍ
 هَلْ مِنْ نِظَامٍ بِلَا شَمْسٍ لَا كَوَانَ
 ضُرُوبِ نَحْتٍ وَتَصْوِيرٍ وَبَنِيَانٍ

مما لو استطلع الرائي بدائعه
 في كل منكشف كنزٍ ومستترٍ
 آياتٍ مقدرةً جَلَّتْ دَقَائِقُهَا
 تقادم العصر الخالي بها ولها
 لم يَعْتُورْ جَدُّهَا مَهْدُومُ أَرْوَقَةٍ
 وراضٍ كلُّ أبى هَوًى بها حَرِدٍ
 وزاد رَوْعَتَهَا أَنْقَاضُ آلِهَةٍ
 سَجُودُ ما كان مسجوداً له ، عِظَةٌ
 وَرَبٌّ رِزٌّ بآثَارٍ أَشَدُّ أَسَى
 والتاج أشجى إذا ما انقضَّ عن صنم

بيتٌ عتيقٌ يرى فيه الكمال على
 حججته وبه من طول مدته
 ما زال والدهر يطويه وينشره
 في النقش منه لأهل الذكر قد كتبت
 تنزلت صوراً واستكملت سوراً
 شاقّت بفتنتها الاقوام فاقتبسوا
 ومن حلاها استمدوا كلَّ تحلية

هذا هو المجد نفى والبقاء له
 تاريخ مصر ، ورمسيس فريده
 ما مثله في طروس الفخر من قدم
 على تعاقب أجيال وأزمان
 عقد من الدر منظوم بعقيان
 طرس من الفخر أوعى كل عنوان

العهد الجديد

في حياة الانسان العقلية

بقلم الاستاذ فريد وجدي

أخذته من الصفحة ١٠ وما بعدها من الجزء الاول من كتابي « على أطلال المذهب المادي » الذي فرغت من تأليفه في سنة ١٩٢١
قلت عقب ما ذكرته من اقرار العلماء بمجزهم عن تعليل الظواهر السكونية :

كل هذه النظرات الصادقة ، المبنية على العلوم المحققة ، أيقظت العقل من غفلاته ، وكبحت من رجوناته ، وكسرت من شره ادعائه ، وفلت من حدة خيالاته ، وأرته رأى العين ان ما علمه من أسرار هذا الوجود ذرة لا تدرك في بحر لحي ، أو هباءة لا قدر لها في هذا الاطلاق العالى ، وان وراء ما أدركه منه من هذا الجانب المادي عوالم لا تنتهى الى مدى تقف عنده ، وكائنات لا تصادف في ترقبها تحملاً تلتزم حده

أدب عقلى بعيد الغور لم يتحل به الانسان في عهد من عهوده قبل هذا الدور الاخير . فقد كان في كل طور من أطواره شديد الاعتداد بمدركاته ، عظيم الثقة بمحسوساته ، الى حد أنكر معه ما وراء حسه وهو غافل عن الخداعه لقصوره ، واستهزأ بكل ما لا يتفق وعلمه وهو جاهل بمبلغ غروره ، حتى من صرح من الناس بجهله فعل ذلك اما تواضعاً أو تصنعاً . أما اليوم فقد أدرك الانسان جهله بعلم حسي ، وفهم قصوره بدليل مادي . وهذا الادب كان من أعظم آثاره عليه أن غير وجهة نظره الى الوجود . فقد كان ينظر اليه من وجهة انه مجال مادي بحت . تكفى في سبر غوره حواسه الخمس ، فكان الوجود في نظره محدوداً على لانهايته ، مفهومأ في جملته . ولكنه اليوم ينظر اليه من وجهة انه مجال غير محدود تعمل فيه قوى لا يحيط بها عقل . المادة وجه من وجوهها ، وليست أصلاً لوجودها . والقوانين التي تؤثر عليها مظهر من مظاهر تلك القوى السكلية تعمل في الكائنات على نظام يناسبها ، لا ان تلك القوانين هي كل ما في الوجود من العوامل المؤثرة

هذه الوجهة الجديدة من النظر باحالتها المادة الى قيمتها الحقيقية . حقرت في عينه هذا الوجه المحسوس للوجود ، ونهته لما وراءه من السكون غير المشهود . فدبحته الى ذلك العالم ، ولكن لا على الاسلوب القديم من تسليم الخيال قيادة العلم ، بل على الاسلوب الجديد من المشاهدة والتجربة .

فبعد ان كان يقصر علمه الطبيعي على هذا المجال الضيق من عالم المادة الظاهرة ، ويعنى بالطبيعة هذه الباحة الحرجة من مدركات حواسه القاصرة ، أخذ يمد علمه الى ما بعد هذا العالم المحسوس ، ويوسع من مدى ادراكه للطبيعة نفسها ، فلم يحصرها في هذه الدائرة الضيقة

هذا تطور بعيد المدى أحدث من النتائج في كل فرع من فروع العلم ما غير وجه الفلسفة ، وقضى على قصر النظر قضاء لا قيام بعده . وقد عولنا في هذا الكتاب على ان نقف الناطقين بالضاد على حقيقة هذا التطور العظيم الذى يعتبر بحق اكبر تطور سجله التاريخ لارتقاء الانسان من الوجهة الادبية ، دفعه لادراك ما وراء هذه الحجب المادية من العوالم العلوية

وانى باعلاني لهذا العهد الجديد في حياة الانسان العقلية ، أرمى لان أحدث في أرواح الشرقيين وعقولهم نفس الاثر الذى أحدثه في أرواح الغربيين وعقولهم

ولست أقصد من قولى العهد الجديد للعقل البشرى ان هذا الترقى الواسع النطاق وصل الى كل درجات العقول . فان في الناس بل وفي العلماء أنفسهم من لا يبالون بغير ما ألفوه ولو سقطت السماء على الارض . وهؤلاء أشباه ونظائر في كل بلد من بلاد العالم

ولقد تحطمت نظرية الانتخاب الطبيعي الذى بنى دارون عليها مذهبه ، وما يزال في الناس من يظنون انهم حلوا بها أسرار التطورات الحيوية ، الى درجة لم يبق معها ظل من شك . بل في الناس من لا يزالون يقولون بالجواهر الفرد الذى لا يقبل الانقسام . وهى النظرية التى وضعها ديموكريت ولوسيب منذ اكثر من ألفى سنة . ويخيل اليهم انهم أدركوا سر الوجود ادراكا لا يسمح لهم بالاطلاع على ما ينفيه من المباحث الجديدة

هذه الطائفة تقمصت من روح الجمود ما لا يتفق وروح كل باحث متثبت . وصبغت العلم بصبغة الجبار المتمرد . مع انه في الواقع معترف بنقصه ومتواضع في حكمه . واتخذت من بضعة الافتراضات التى اضطر اليها العلم للتعليل المؤقت ، ومن بضعة الوجوه العاملة في الكائنات ، ذريعة الى بناء فلسفة عرجاء خرقاء عمية لحتها وسداها قصر النظر والدعوى الباطلة والكلمات المقعرة

ادعوا انهم تحرروا من ربة الايمان بالغيب . ومادروا انهم وضعوا في أعناقهم أغلالا من الايمان بالطبيعة ينوون بحملها ، وفي أرجلهم قيوداً يرسفون في سلاسلها . وزعموا انهم ترفعوا عن العامة في القول باله خلق العالم بقدرته وارادته . وما علموا انهم تسفلوا الى القول بالهية المادة ، ونخلوها بجيالاتهم من القوى والقدر ما لا يمكن تحقيقه بحجة ناهضة ، ولا يتأتى شهوده بتجربة حاسمة

وخيل اليهم انهم بلغوا من بعد النظر وسعة العقل الى ما يسمح لهم بأن يهزأوا بأصحاب العقائد الجامدة . وما فهموا انهم بوقوفهم في دائرة ما حصلوه من هذا القدر الناقص من العلم قد وضعوا على أعينهم حجبا من الغشاوات ، وعلى عقولهم كسفاً من الغباوات ، لا تسمح لهم برؤية شئ غير ما تخيلوه وجدوا عليه

(١) عبقرية جيتي

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

من العبقرين من تعرف مداه بكتاب واحد أو قصيدة واحدة ، لأنه يرتقى الى اوجه في بعض أعماله فيأتى بخير ما عنده أو بكل ما عنده ، وتعرفه حق عرفانه فلا تحتاج الى تجربة له بعدها ولا تصيب في التجربة الجديدة إلا تكررأ لاجديد فيه

ومنهم من يعطيك جزءاً من عبقريته في كل جزء من كتاباته ، فبعضها لايدل على مداها كلها ، وتكرر القراءة فيها ينتهى بك كل يوم الى جديد ، فلا غنى لك عن التجربة بعد التجربة لسر غورها والاحاطة بمداهما والحكم عليها في جميع احوالها

وجيتي من هؤلاء العبقرين الذين لاينبئ قليلهم عن كثيرهم ، لانه لم يجمع نفسه في قطعة واحدة ولا موضوع واحد ، فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لايدل على كل موضوعاته والجزء الصغير لايدل على جملة الموضوع . فكل فكرة له هي أصغر من الرجل في جميع أفكاره كما أن اليوم الواحد في غمار ايامه هو أصغر لاحالة من سنه الثمانين

تلك احدى الصعوبات التى تعوق عن التعريف بهذا العبقرى الكبير ، وصعوبة أخرى مثلها هي بساطته وقلة احتياله في تعبيره وتجافيه عن التزييق والتفخيم في سياقه ، فلا اصطناع ولا إيهام ولا زخرفة ، وإنما هي أفكار يلقيها اليك على هيئة كما جاءت على هيئة . وكلها سواء عنده في الحفاوة والخطر ، فلا الكبير عنده مستهول ولا الصغير مزدري ! وإنما هو المارد الجبار يحمل الصخرة كما يحمل الحصاة ويمشى بأثقل أحماله وأخفها في خطو وثيد وقوام قويم

وإذا كان بعض الكتاب يمشى الى غرضه كما يمشى البهلوان على الجبل ، أو كما يمشى اللاعب على يديه ، أو كما يمشى الراقص المترنح ، أو كما يمشى الكاهن الوقور لا ينظر الى يمينه ولا الى يسرة ، فجيتي ليس يعرف هذه المشى وليس يركب الى غرضه حبلا ولا يترنح ولا يتكلف ، بل يخيل اليك أحيانا من قلة النصب في حركته أنه يمشى الى غير غرض كما يمشى المريض في ساعة فراغه . فإذا أفضيت معه الى غايته فقد تعب وقد تنكر المسعى ، ولكنك تشعر أنك كنت تمشى مع دليل أمين ولم تكن تتبختر مع رقاص أو تقفز مع بهلوان ! وأنت بعد ومذهبك في حركات الاقدام : فالجارى على الجبل ابرع ولا ريب في فنون هذه الحركات من السالك في الطريق كما يسلك سائر الخلق ، ولكنه

(١) عن كتاب « تذكار جيتي »

بهلوان وليس كل انسان بهلوان ؛ ويلعب والناس لا يتعلمون المشي ليلعبوا على الجبال !
وكلمة واحدة - مع هذا - تسمعا من جيتي تنبئك أنه قد وصل الى مدى لا يصل اليه
الكثيرون . ولا يلزم أن تكون هذه الكلمة رنانة ولا موشاة ولا صاحبة ولا أنيقة ، فقد تنبئك
نبأها الصحيح ولا حظ لها من رنين أو وشى أو صخب أو اناقة

يحدثك رجل عن القاهرة ساعات ، فيسبق الى وهمك أنه سكنها وجاس خلالها وأطال المقام
فيها ، ثم ما هي إلا كلمة يزل بها لسانه حتى تعلم أن ما سمعت بحذافيره إن هو الا وصف ناقل
لا وصف شاهد ، وان حديث صاحبنا عن القاهرة إن هو إلا حديث قارىء أو متلقف من الأفواه
ويقول لك غيره كلمة واحدة عن القاهرة لاتستغرق الثواني فضلا عن الساعات المتواليات !
فتجزم جزم اليقين أنها كلمة العارف الذى زار وأقام وأطال المقام . فهل يلزم أن تكون فى هذه
الكلمة بلاغة خارقة أو نبرة متكلفة أو كناية ملفوفة ؟ كلا بل لا يلزم حتى أن تكون صحيحة كل
الصحة فى معناها . إذ هناك الخطأ الذى لا يخطئه إلا من شهد واختبر ، وهناك الخطأ الذى يقع فيه
الانسان لقلة الرؤية والاختبار . بل هناك الخطأ الذى هو أدل على المشاهدة من الصواب . فالشرط
الوحيد اذن فى تلك الكلمة أن يقولها القائل بعد رؤية ومعرفة ، وفى هذا الشرط وحده قيمتها
التي تربي على قيمة الاخبار المسبهة يرويها لك من لم ير ولم يعرف . فأنت حين تنوى أن تذهب الى
القاهرة لا تذهب اليها مع من تلا عليك تلك الاخبار وبسط لك تلك المرويات ، وإنما تذهب اليها
مع من نبس بالكلمة الموجزة ذات الدلالة وان لم يكن على صواب

إن كلمات جيتي عن عالم الحقيقة لهى من طراز هذه الكلمة التي لاطنين فيها ولا كلفة . فاذا
سمعتها قلت : « أجل ! » هذه كلمة ناظر وعارف ، هذه كلمة السر التي يصطاحون عليها فى ذلك
المكان ، هذه « هي الاسرار المكشوفة لكل انسان ولا يكاد يراها انسان » كما قال

فمن شاء أن يستدل على عبقرى كهذا بكلامه فليترث كثيراً ولا يقنع بالنموذج اليسير . فكل
فكرة هنا أصغر من المفكر ، وكل ثمرة هنا وراها شجرة كبيرة ووراء الشجرة حديقة أكبر ! وقد
تدل الثمرة على شجرة واحدة حملتها . أما الحديقة فلا تدل عليها إلا ثمرات من عدة أشجار

نعم نحن حيال حديقة عامرة لا شجرة واحدة : نحن حيال شاعر وحكيم ومصور وعارف
بالموسيقى ووزير وباحث فى النبات والتشريح وطبقات الارض والنور

وفى كل علم من هذه العلوم كان لبحثه أثر ولرأيه قيمة ، ففي النبات اهتدى الى نظرية «التحور»
ورد اجزاء الشجرة المختلفة الى جزئين فى أساس التكوين . وراقب النمو المطرد والنمو المعكوس
وغيرهما من ضروب الطوارىء على حياة النبات . والتفت الى أثر العصير الغذائى الكثيف والعصير
الغذائى المल्प فى اختلاف الجذوع والاوراق والازهار

وفى التشريح اهتدى الى العظمة الوسطى فى الفك الاعلى التي تنبت فيها القواطع . وكان المظنون

إنها لا توجد إلا في الحيوان . ورجع بتركيب الدماغ الى الفقار في الحيوان والانسان ، فكان في تقريراته هذه في علمي النبات والتشريح رائداً لمذهب التطور وطليلة من طلائع العلم الحديث أما في طبقات الارض فقد كان له رأى محترم في تركيب الحجارة المحيية والمعادن . وكان مصرراً على مناقضة نيوتن في تعليل الالوان يأتى كل الالباء أن يرتاب في بساطة النور ، أو يقبل التعليل القائل بتركيبه من عدة ألوان ، وإنما اللون عنده مزيج من النور والظلام : يكثر فيه قسط النور ويقل قسط الظلام فهو اللون الاصفر . ويكثر فيه قسط الظلام ويقل قسط النور فهو اللون الازرق . ومن الاصفر والازرق يتولد الاخضر . ومن هذه الالوان تتولد سائر الالوان . وكلما قارب اللون الظلام كان أثره في النفس الى الحزن ، وكلما قارب النور كان أثره الى البهجة والانشراح

وقد أعرض علماء الطبيعة عن هذا الرأى ولم يأخذ به إلا نفر من غير الاختصاصيين . ولكنه على كل حال رأى لا يستحق الازدراء .. وقد عرف له فضله علماء عصره وما بعده فيما عدا هذا فقال كاروس : « اننا إذا رجعنا الى اقصى ما نستطيع في تاريخ الجهود التي قام بها الباحثون لادراك فلسفة ما لتركيب الدماغ وجدنا أن الفكرة الاولى عن محور أشكال العظم وردها جميعاً الى شكل واحد ، إنما هي فكرة يرجع فضلها الى جيتي » . وقال سانت هليز : « لعله لم يصدر من عشر سنوات كتاب واحد في علم وصف الاعضاء أو علم النبات خلو من وسم هذا الكاتب المشهور »

وقال هامبولتز : « ان جهود علماء النبات وعلماء الحيوان لم ترد على أن تجمع المواد والملاحظات حتى تعلموا كيف يرتبونها على أنماط يتبين منها التسلسل ووحدية النسق . وهنا وجد عقل شاعرنا الكبير مجالاً يوائمهم وكان الوقت مؤاتياً له والمواد المجتمعة في علم النبات وعلم التحليل المقارن كافية للاستعراض الواضح . فادخل في العلم فكرتين هاديتين تحفلان بالثمار حيث كان معاصروه يهيمنون على غير هدى أو يقنعون بتسجيل الوقائع اليابسة »

ونحن لو قصرنا النظر على كتبه في الادب لاتسع أمام أعيننا أفق يتراعى في كل جانب . فما من خاطرة جالت في عقل انسان إلا كان لها مجال في عقله ، وكان له فيها رأى العارف المختبر إن لم يكن له فيها رأى المصيب المعصوم

ومعظم أخطائه هي أخطاء النظر المستريح الى جزء واحد ، لا أخطاء العاجز عن التأمل والاستبانة . أو هي أخطاء السائر الذي لم يبلغ أمدّه ولا يزال في طريقه ، لا أخطاء المحجوب عن الحقيقة بعيداً وقريباً . وما شئت بعد هذا من رأى نافذ في الأخلاق والعقائد والاجتماع وسرائر النفس والتاريخ والفن والامم والرجال : يفهم ما حوله ويشعر به ويستمرئه كأنه يتحفز لعمل له أوقاته ومحاولاته . ثم يلقي بالرأى كأنه يتنفس أو يؤدي وظيفة من وظائف حياته له بأدائها غبطة وارتياح ، لا كأنه ينهض بعبء أو يعالج مشقة مفروضة عليه ، وهذه هي الآراء التي تفيض بها كتبه وأحاديثه ويحتويها هو كلها ولا يتأتى لرأى منها أن يحتويه كل الاحتواء

خزانة الذكريات

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

في قرارة قلبي خزانة حافلة ، أحفظ فيها بكل لحظة من تلك اللحظات المليئة الشائقة التي هي وحدها كل ما يحينا نحن الفنانين في هذه الحياة

وأنا بهذه الخزانة غني قانع . اذا صوحت من حوالى جنة الدنيا ، وتساقطت أوراق المنى مثل أوراق الخريف المصفرة ، فزويت عنها الطرف آسفاً وانطويت على نفسى مستوحشاً ، تفتحت مغاليق خزانتي وانفجرت بابها رويداً رويداً من غير نأمة ولا صرير ، وتحركت دقاتها لعين خيالى كأني في حلم . فيتمثل لى ، بل يخامر حواسي منها ، طيف من أطيايف الماضى الدفين ، طيف لحظة سعيدة أحالها القدم نورانية روحانية خالصة من كل كدر ، صافية من أدنى شائبة . كما يحيل تقادم العهد عصارة السكرم في الدنان والرواقيد خمرأ شعشعانية ، تلتطف روحها وتلطف فكاً كما لم يبق منها غير اللون والعطر ، فأنعم — من جديد — بما نعمت به جوارحي من قبل ، ولكنه في هذه المرة نعيم كنعيم الخلد ، هو نعيم الخلد ، وهل يبقى من احساساتنا الماضية الدفينة غير عنصرها الباقي الخالد؟ اليوم يا خزانتي وقعت على كنز سينتهى حظه اليك . فافسحي له مكاناً بين أنفس كنوزك وذخائرك ! كنا الغداة في ضيعة من قرى الريف ، وقد مد لنا مضيفنا الكريم سباطا يكاد ينيخ بما فوقه من صنوف الطعام والشراب . فكنا نقصف قصف المستهترين المترفين في ولائم الرومان وقد علا صخبنا وضحكنا . وشغلنا الا لماماً عن تحف الطبيعة الرائعة يشرف عليها مقصفنا الصاحب : ساحة من رمال ذهبية تناثرت عليها مضارب خيام للعرب الرحل ، في خارج هذه الخيمة جمل ضارب بجراحه ، وفي جانب تلك عنزة مشدودة بجبلها المتراخي الى وتد ، وفي داخل الحباء اعرابية مبرقة وفي أذنيها حلق من فضة وفي أنفها شنف من مرجان ، وهي تدق البن أو تدير الرحي . ثم تحيط بساحة الرمل الذهبي حقول زمردية من المزارع الشاسعة النامية تتخللها بقاع عارية مخططة أخايد أخايد لم تخرج شطأها بعد ، ويخيم فوق الجميع أفق لازوردي ساطع لا تعكر صفوه غيمة واحدة عابرة

ولكن كنا في شغل عن المجالى الشعرية والمدركات النفسانية . كنا نقصف قصف المستهترين المترفين في ولائم الرومان

وإذا بفتاة أعرابية أقبلت علينا في ازارها الاسود الضافي ، فما هو الا ان رفعت الينا طرفها
الغضيض الكحيل حتى أحسنا اننا انتشلنا من حياة دارجة عادية الى حياة أعلى ، الى حياة فوق
مستوى حياتنا ، لا تسمع لنا لاغية . وفاضت الاحساسات الشعرية من داخل أنفسنا على الطبيعة
التي كانت منذ هنيهة تبهرج لنا سدى . أما الفتاة فجهاها فن فريد عجيب . وجهها تافه كاسف
وشفتها السفلى متقلصة ممدودة ، مطرقة العينين مسبلة الاهداب دون ان يشفع في ذلك حياء يضرع
وجنتها أو يثير الحياة في أساريها . ولكن . . آه تماسك يا قلبي ! رفعت الينا عينيها فانفتحت
عوالم سحر وضياء ، سحر عميق لا يدرك كنهه ولا يحل عن المسحور طلسمه ، وضياء غريب يهتك
الشعاف بارقه ويضل العقول هديه . وسطع وجه الفتاة بمعان تتجدد وتتولد ويمور مائرها
وتتكاثر كالكتائب على فؤاد الناظر فتأخذه عنوة واقتحاماً في هجمة واحدة ، وزها لون خديها
فاذا حمرة خفيفة ترف عليهما كحواشي الاصيل مترققة هافية تجبو وتسطع وتطفو وترسب . وقد
غمر جسدها من الفرع الى القدم حياء عذري لمجرد اشتباك لحاظها بلحاظنا ، فجسدها العذري يهتز
من انتعاش وري كالغصن المترعرع يستقبل الندى والنسيم

شجعنا حياء الفتاة على مكالمتها في أدب ولطف ، فهي تحتلج وتتعثر من الحجل ، وتبتسم فتستدير
وجنتها كالسكرى الشبية ، وتبدو ثناياها كاللؤلؤ المنضود ، وتكاد شفتها الممدودة المقتررة تقطر
شهداً . ولكنها بعد كاهرة البرية تنفر من الملاطفة فتنتفش اساريها وتكاد تخدش
والآن . . أزف الرحيل وانفرطت آخر الساعات الهنية التي حيتها في هذه البرية المصغرة الى
قرب فتاة نفور من أوابد طبائه . فوداعاً ! وداعاً يا طيبة الرمل التي ابتعثت في جوارحي احساسات
عداد حباته ، ونفثت في روحي حرارة كحرارة رمضائه ، ولئن ودعتي مشافهة واستحييت ان
تودعيني مصافحة فان نظرتك ، آه نظرتك . وابتسامتك كانتا أشجى وقعاً في قلبي من المصافحة ،
بل من القبلات والعناق

خزانة قلبي اليوم ما اغناك وما أسعدني بك ! فافتحي لي مغاليقك كل مساء اسرح عين خيالي في
كنزك الجديد فيحيا في نفسي شجوها الجديد القديم . وان شعارك هذا المنقوش من قديم بعمق على
شغافك وفي قرارتك هو نفسه شعار (جوته) الحكيم مدى حياته المديدة :

لا تغيضي من عيوني أبداً	يا دموع الحب وابقى سرمداً
إن عيناً غاض منها دمعها	تبصر العالم جذباً فدقداً
لا تغيضي من عيوني أبداً	يا دموع الحب وابقى سرمداً

الفروسة

تاريخها ، ومبادئها ، ورسومها

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

إذا كان الاقطاع أساساً جوهرياً لصرح النظم الاجتماعية والسياسية في العصور الوسطى فإن الفروسة أهم حجر في صرح الاقطاع ، بل لقد كانت دعامة الاقطاع تحكم بناءه وتربط أطرافه المتباينة ، وتصل بين طبقاته الرفيعة والوضيعة . وكانت أهم ظاهرة للتفريق بين البشر في بدء العصور الوسطى قبل أن تنتظم الفروسة وتزدهر ، الحرية والرق ، فكان من الناس أحرار وأرقاء . فلما اضمحل نظام الرق ، وسما شأن الفروسة ، كان أهم ظاهرة للتفريق بين البشر ، النبيل والمنبت العام ، فكان من الناس فرسان أو نبلاء أو سادة ، وكافة أو عامة . هذه الفروسة التي لبثت قروناً زهرة المجتمعات النصرانية والتي لعبت دوراً عظيماً في الحروب الصليبية ترجع مبادئها ورسومها وتقاليدها الأولى إلى أواخر القرن الثامن ، أو أوائل القرن التاسع ، ثم إلى نظم الاقطاع في عهد النورمان ، فنراها في عصر شارلمان تتخذ صورة احتفال يزود فيه الفارس الفتى بالسلاح . والظاهر أنها كنظام حربى ترجع إلى أقدم من ذلك ، إذ يذكرها المؤرخ تاسيتوس في حديثه عن أحوال القبائل الجرمانية ويصف رسومها . ولكن الفروسة كشرف عسكري رفيع يمنح في نوع من الرسوم الدينية ، ترجع إلى القرن الحادى عشر فقط . بيد أن الفروسة الاسلامية أقدم وأعرق ، فهى ترجع إلى عصر الاسلام الاول فى القرن الأول للهجرة (القرن السابع الميلادى) ولكنها لم تكن نظاماً دينياً أو سياسياً ، بل كانت خلة وموهبة وكفاية ، وكان لها أيضاً نوع من الرسوم والتقاليد . ويفرد ابن قتيبة فى كتابه « عيون الاخبار » باباً للتحدث عن الفروسة وآدابها ، ويورد عن أصولها ورسومها بعض الأقوال الماثورة . أما الفروسة النصرانية فلم تزد تزداد وتتمتلك عناصر الاستقرار ، وتغدو فوق صفتها الحرية نظاماً سياسياً اجتماعياً يرجع إلى أصول ورسوم مقررة أدجت فيها الحقوق والواجبات معاً ، قبل القرن الحادى عشر

وقد كان النبيل كما رأينا قاعدة الفروسة وخاصتها الأولى . وكان التفريق بين النبلاء والكافة فى مراحل الاقطاع الأولى غامضاً فى الغالب . ولكنه تقدم منذ أصبحت وراثته الضياع المقطوعة حقاً مقررأ ، ثم غدا فى النهاية قاعدة لا تنظم الناس فى طوائف قوية كانت أظهر عنصر فى مجتمع

العصور الوسطى . والنبل يتكون من عنصرين مختلفين : الاول وراثته الضيقة بما تحمل من تعهدات في أداء الواجبات الكبرى ، والثاني أهلية القتال على ظهر الجواد ، أو بعبارة أخرى الفروسية (Chevalerie) والصفة الثانية تحمل في ثبيتها فكرة الملك أيضاً ، فهي تتضمن القدرة على اقتناء العدد الغالية اللازمة لأداء واجبات الفارس . وقد كان امتزاج هذه الفكرة بفكرة الملكية العقارية وفكرة المنبت الحسن ، يمد الأمير الاقطاعي بخدمات صفوة من المقاتلة . وكانت هذه الصفوة وأسرها أرقى عناصر الاشراف (الارستوقراطية) وأقوى الطوائف في مجتمع بربرى كمجتمع العصور الوسطى وقد أفضى شرف المنبت الى تحول هذه الارستوقراطية الى طبقة بكل معاني الكلمة ، يتعذر على السكافة اقتحامها والاندماج في سلكها دون مصاعب ورسوم حمة . وكان من وسائل هذا الالتحاق أن يشتري الفرد العادى ضيقة تلحق بها صفة النبل (Terra Nobilis) أو يسبغ الملك أو أحد كبار النبلاء عليه صفة النبل هبة منه لخدمات أداها أو كفايات معينة عرف بها ، فتلحق عندئذ صفة النبل هذه بالارض التي يملكها وتنتقل الى عقبه بالارث . وواضح أن خلق النبلاء على هذا النحو كان وسيلة حسنة لاحاطة العرش بأشخاص يؤيدونه ويرعون مصالحه . وهذا العصر هو في الواقع فاتحة لنهوض الملكية وبروزها من اغلال الاقطاع ، وتبوء نظمها مركز الغلبة والسيادة على ما عداها من نظم السلطان والحكم . وكانت وراثته النبل تنحصر باديء بدء في صف الذكور ، ولكن ميل العروش الى اتباع السياسة المتقدمة أفضى قبل بعيد الى منحها للاناث أيضاً ، وغداً يمكننا أن تهب الانثى صفة النبل لعقبها فيصبحوا فرساناً وسادة ونبلاء

ولما استقر النظام الاقطاعي وتحسنت موارد الارستوقراطية بتحسين الزراعة ، غدا الواجب الذي يقضى على الفارس باتباع الأمير على نفقته الخاصة ، بالنسبة للسادة الاقطاعيين ، أرفع ضروب الشرف والكرامة . وكان الفارس اذا ارتدى عدده المنيع الشاملة وتقلد سلاحه الذي يدججه من الرأس الى القدم ، وامتنطى صهوة جواده الذي يغطيه الحديد والصلب مثله ، أضحي أهلاً للقاء عشرات من العامة غير المسلحين ، فاذا اجتمع من هؤلاء الفرسان عدة استطاعوا أن يرهبوا المئات والالوف من أتباعهم ويلجئوهم الى الخضوع والطاعة . وواضح أن استفحال مثل هذه الخصومة بل وجودها كان يؤدي في كثير من الاحيان الى معارك دموية لا يعدم العامة فيها وسيلة للانتصاف لأنفسهم من عسف الفرسان وجورهم . على أن ارتباط الحقوق بالواجبات بالنسبة للفريقين ، كان في ظروف الحياة العادية يدعم نظاماً اجتماعياً كنظام الفروسية تنقسه جميع عناصر الاستقرار السياسي

وقد ندهش حينما تتأمل رسوم الفروسية وتقاليدها ، ويخيل لنا انها رسوم إحدى الهيئات الدينية أو الجمعيات السرية الكبرى . والواقع أن هذه الرسوم التي يجب حوزها لنيل شرف الفروسية قديمة جداً ، وقد أشار اليها تاسيتوس كما قدمنا في حديثه عن أحوال القبائل الجرمانية ، وقد اتخذت منذ نشأة الفروسية صبغة من الروعة والجلال تكاد تدنو من القدسية . وخلاصة هذه الرسوم

هى أن المرشح للفروسة قبل أن يزود بالسيف والمهماز يجوز بعض التجارب والاختبارات، ويقضى أياماً في الصوم، ثم يمضى ليلة في كنيسة عتيقة مظلمة يستسلم فيها الى التفكير والتأمل، وبعد ذلك يعطى السيف والمهماز، ويلطم على خده أو كتفه لطمة خفيفة اشارة الى آخر إساءة يسوغ له أن يغضى عنها. هذا ومع أن الفروسة نظام اجتماعى سياسى فانها لم تخل من الصبغة الدينية، بل كانت هذه الصبغة قوية فيها الى حد أن نظام الفروسة ذاته كان يشبه فيما يخص بالحقوق والواجبات بالهيئات الكهنوتية المقدسة. فالفارس المبتدىء يلزم بالاستحمام وارتداء السترة القصيرة، على نحو ما يقع في إحياء التنصير. ويتسلم الفارس سيفه على هيكل الكنيسة من يد احد رجال الدين، ويسبق الاحتفال بقبوله كما قلنا صوم وابتهاال، ثم ينادى فارساً باسم الله والقديس جورج والقديس ميخائيل. ويقسم الفارس بعد ذلك أن يؤدي واجبات مهنته - فقد كانت الفروسة مهنة كما رأيت - وليس من ضمان بوفائه سوى التربية والقُدوة الحسنة وحكم الرأى العام. وخلاصة قسمه أن يقول الصدق وأن يؤيد الحق وأن يحمى المنكوب وأن يستعمل الرقة والمجاملة في معاملاته وأن يطارد اعداء الدين وأن يحتقر مغريات الرفاهة والامن وأن ينتصف لشرفه في اية مغامرة خطيرة. وقد بلغت هذه الرسوم في القرن الحادى عشر مكانة عليّة من الجلال والتقديس حتى كان واجباً على الملك ذاته لكى ينتظم في سلك الفروسة ان يخدم البلاط وصيفاً ثم سيداً مرشحاً للفروسة ثم يمنح بعد ذلك المهماز الذهبى او رمز الفروسة

وكما كان للفروسة رسوم وعهود خاصة بها فكذلك كان للفروسة رياضات والالعاب خاصة بها. وللفروسة فضل في تطور هذه الرياضات والالعاب الارستوقراطية، فقد عدلت عن الالعاب الاولمبية القديمة حيث كانت تعرض المناظر العارية فتبعد العذارى والنسوة عن ارتيادها وتبعث الفساد والتهتك الى أخلاق الشبيبة، وآثرت عليها الالعاب الرزينة المحتشمة. وكانت المبارزة احب هذه الالعاب الى الفرسان والسادة، فكانت تعقد لها حفلات شائعة يهرع اليها الفرسان من كل صوب ويشهدوا اشرف الكواعب والعقائل واجملهن. وقد تستغرق الحفلة يومين او اكثر وتجرى فيها المبارزات الفردية بين فارسين يتقاتلان بالرمح، وللظافر أن يغنم سلاح خصمه وجواده، وله فوق ذلك ان يسمى سيدة من الحاضرات تشرف على بقية المبارزات والالعاب وتسمى ملكة الحب والجمال، ومن ثم كانت فكرة الحب تقترن بكلمة الفروسة في العصور الوسطى، وكان حب امراة يعنى في نظر الفارس المتيّم اجلال الجنس اللطيف كله. واحياناً كان الفارس يؤثّر بتأمله غادة معينة وتكون علاقتهما نقية افلاطونية فقط. وقد كان دور الفروسة في هذا الشأن مستقى خصباً لا داب مستفيضة من قصص جميلة رائعة ونظم رقيق حماسى واناشيد وروايات شائعة لا حصر لها. هذا ولم تكن الفروسة تقف في رياضاتها عند النزهة واللهو، بل كانت أيضاً تنظم معارك صغيرة وتقيم تمارين جديّة من مهاجمة حصن والدفاع عنه الى غير ذلك

المهاجر

بقلم الاستاذ حلیم دموس

هي القصيدة التي ربحت جائزة مستشفى ريز السنوية عام ١٩٢٧

هجر الروض وعاف الثمره	وليالى أنسه المزهرة
ومضى يضرب في آفاقها	ولسان الدهر يروي خبره
ركب الأهوال سيرا وسرى	نادباً تلك الربوع النضرة
وهو لا يدري أيقضي لهفاً	أم من الدرهم يقضي وطره
يلتقيه بين أشواق الردى	والردى ينشب فيه ظفـره

بحياتي هاجر مغترباً	غالب الدهر ولاق عبـره
كان في موطنه معرفة	وهو في المهجر أسمى نكره
ألف الأسفار حتى راضها	واستدلّ البحر حتى حيره
وهو في الفجر يناجي شمسـه	وهو في الليل يناجي قمره
يحطم اليأس جناحيه كما	تحطم الريح أصولاً نخره

قف على الشاطئ واشهد ساعة
موقف التوديع وارسم صورـه

وانظر البحر فكم سارت به
تحمل القوم جموعاً وعلى
هجروا الأوطان في محنتها
بينما عقدهم منتظم
سفن في عرضيه منتشرة
موجها أدمعهم منهمة
لينجوا أمة محتضرة
إذ تراه درراً منتشرة

ما انتفاع الأم من أبنائها
يرجع الليث إلى غابته
وتغيب الطير عن أفرانها
ويصان الدر في أصدافه
إن تناهوا وهي عند المقبره
بعد أن يطوي الفيا في المقبره
لتوافيها بأشهى ثمره
ثم يجلى كالدرارى النيره
يذكر الربع ويهوى أثره
هكذا النازح عن أوطانه

رب أرض حسبت حنظلة
وركاز تحت أطباق الثرى
وبلاد لو حماها أهلها
وهى لو تسقى لكانت سكره
بات في صدر الغواني جوهره
لاستحالت أمة مقتدره

أدر الدفة يا ربانها
قل لمن أثروا : أعينوا وطناً
أنتم الروح لجسم ناحل
فالحنى حن إلى من هجره
يتعزى بينيه البرره
أنتم الماء لتلك الشجره

الطغاة وحرية القلم^(١)

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

في عصور الظلمة التي تمر بالامم آنأ بعد آن يعتمد الباطشون البغاة الى تقييد حرية القول والكتابة . وفي سبيل هذا التقييد يصلون أرباب الاقلام حربا لا رحمة ولا هوادة فيها ، فمن إرهاب إلى سجن ، إلى نفى وتشريد . وهم في حربهم هذه يندفعون ضد الكتاب كاشرة أنيابهم محاربة عيونهم مفتحة خياشيمهم - أشبه الاشياء بالكواسر المفترسة حين يغريها منظر الدم فيهبج فيها كل غرائزها الوحشية . ولا يهدأ لهم من بعد ذلك بال ولا يطمئن لهم خاطر إلا اذا اطمانوا إلى انهم حطموا هاته الاقلام الى غير عوة لان تكتب وأذلوا نفوس حملتها إذلالا لا قومة لهم من بعده

هذه الغرائز المفترسة التي تهيج في نفوس البغاة لحرب القلم وحملته ، لاتهيج فيهم لمحاربة أية قوة أخرى من القوى بالغأ ما بلغ أصحابها من العز والمكانة . والقلم ليس إلا تلك القصة الضئيلة يسطر بها صاحبها مايجول بخاطره وما يمليه عليه خياله أو يتسق لمنطقه . وكل ما يسطره على ورقة رقيقة يتناولها من الناس من شاء فيتلو ما فيها وله بعد ذلك أن يحتفظ بها إن شاء أو يلقيها الى حيث شاء . والامر كذلك سواء كانت هذه الورقة جريدة أو مجلة أو كتاباً من أى صنف من الكتب . فما عسى أن تنشر هذه الورقة حولها من القوة التي يخافها الظالم حتى يحشد لمقاومتها كل هذا الجند الذي يحشد ويسخر في سبيل محاربتها كل نظم الجمعية بأسمائها من قانون وعدالة وشرطة وسجون ومشائخ وما هو أكبر من ذلك من الوان الارهاب والارهاق ؟ وهل انتصر الظالمون يوماً على القلم وأربابه ؟ أم كان للقلم النصر أبداً آخر الامر وباء مطاردوه بالحية والخذلان وخلفوا من ورائهم أسوأ الذكري والنعس الاثر ؟

اما ان يحارب البغاة القلم وحرية أربابه فلهم في ذلك كل العذر ، فحرية القلم هي المظهر الاسمى لحرية الانسان في أسمى صورها ومظاهرها . وحرية القلم انما تكون حيث يمسك بالقلم رب من أربابه لاعامل من عماله ، رب تؤتية الطبيعة من قوة الخلق والانشاء مالا سبيل اليه إلا في جو الحرية المطلقة ، وتدفعه ليخلق هذه الحرية حوله خلقا ولو وضع هو في غيابات السجون ، بل تدفع ذكراه لخلق هذه الحرية اذا هو غيب بين صفائح القبور . ونحن مانزال نرى ثمرات الاقلام منذ آلاف السنين

(١) اخترناها من كتاب « ثورة الادب »

الماضية هي التي تهز العالم حتى اليوم هزاً وتنشئ فيه الى اليوم والى الابد ألواناً من الخلق جديدة . ذلك بأن القلم هو الاداة لتصوير النفس الانسانية في التماسها الحق والحرية والجمال والخير . والنفس الانسانية التي تلتبس هذه النواحي المضيئة من حياة الكون هي أبداً نفس قوية لا تقف في وجهها حوائل القانون ولا العادة ولا الطبيعة نفسها . نفس تخلق فوق الاعتبارات الكونية جميعاً لترى مكان الحق الذي تريد ايضاحه او الحرية التي تريد نشرها أو الجمال الذي تعالج تصويره ، أو الخير الذي تعمل لبثه وإذاعته . فاذا اهدت الى ما ابتغت نفتت منه على القلم ما يسطره على الورق . وإذا الذين يقرءونه يرون فيه جانباً من جوانب أنفسهم كان محجوباً عنهم ضياؤه . ويرون أن هذا الضياء هو الذي يبعث لهم في الحياة نوراً يجعل الحياة أجمل وأسمى وأقوم . واذا هم ينصرون صاحب القلم إذ يتبعونه ، فان لم يتبعوه حياً اتبعوه ميتاً

هذه القوة التي تنبعث من القلم على صحف الورق تنقلها الى الانسان هي أقوى وأبقى ما على الحياة من سلطان . هي قوة الايمان القائم بالنفس القوية متى امتلأت ايماناً فقلت للجبل انتقل من مكانك ينتقل . هي هذه القوة الانسانية تصل بين الانسان وقوى الكون العليا وتسمو به فوق مستوى الحيوانية حيث تكمن القوى المادية المضطربة التي يستند اليها الباطشون ويعتمد عليها البغاة . وما عسى تكون هذه القوة المادية وإن آزرتها الرماح والسيوف والبنادق وكل ما في الحديد والنار من بأس وهول الى جانب تلك القوة الكبيرة المستمدة من روح السكون كله والباقية على الكون متصلة غير منفصلة منذ ازل الكون الى أبده ! هذه القوة الروحية الكبيرة التي يصدر القلم عنها وتوحى هي اليه هي مصدر الخلق والحياة ومصدر كل شيء في الوجود . بل هي التي تشكل تلك القوة المادية التي تناوى الروح وسلطانها لكي لا يحترق الوجود من فرط ضياء الروح وحرارتها . وأى ضياء وأية حرارة أقوى من الحق والحرية والجمال والخير جميعاً إذا تجردت مما يحول دون انبعاثها في العالم ولم يقف عائق في سبيلها فلم تبطل في سيرها !

وكما أن حرية القلم هي وحي هذه القوى العليا فان الطغيان منشؤه أخس غرائز الانسان وأكثرها أنانية وانحطاطاً . فتش عن الطغاة في التاريخ واستمع الى كل ما يتشدقون به من الاقاويل والدعوى وما يزعمونه من حبهم الخير لبني الانسان ، ومن سعيهم لذلك جهدهم ، تجدهم دائماً ينتهون الى هذه النتيجة : انما نطغى بنى الانسان لانهم من غير طغياننا يضلون . هذه النتيجة الكاذبة الخفيرة هي الكمينه أبداً وراء دعاوى الطاغية وأباطيله وزوره . وهي عبارة مزوقة تستر وراءها أفظع الجرائم التي يرتكبها الطغيان . فالطاغية يقضى على حرية الناس ولو لم يقض عليها لضلوا ، والطاغية يستنزف دماء الناس ولو لم يستنزف دماءهم لضلوا ، والطاغية يرى المزيد في انتشار العلم ضرراً بالناس فليحجب العلم عن سوادهم أو يضلوا ، والطاغية يعلم الناس كيف يفكرون وكيف يتكلمون فان هم خالفوا تعاليمه ضلوا ، والطاغية يصادر أموال الناس لبذخه وسرفه ، فان لم يصادرها ضلوا ، والطاغية

يستمد الوحي في هذا كله من أحقر شهوات الانانية التي يفرضها على الناس ويريد منهم أن يؤمنوا بها ويصدقوها ، فان لم يؤمنوا ولم يصدقوا حقت عليهم كلمة العذاب ولهم سوء الدار
هذا الضلال الذي يزعم الطاغية أنه يريد انقاذ الانسانية منه ، وهو انما يريد يهافيه لشهواته وانانيته ، قد تنوء به الانسانية زمناً يحتم خلاله على صدرها الجهل والباطل والظلام ، فيمد للباغي في أسباب بغيه وهو ناشب في قلب الانسانية أظافره ما كثف الظلام حوله وما جاهد هو ليحول دون أن يخرق هذا الظلام شعاع من نور الحق . وللطغاة في تكثيف الظلام الذي ينشرون حولهم أساليب عجب . فهم يخلقون الطوائف يطلقون عليها أسماء اضدادها ليسخروا من الناس ويزيدوهم ظلاماً . يطلقون على طائفة اسم العلماء والعلم منهم براء ، وكل الغاية التي تكلف هاته الطائفة بها إنما هي نشر الترهات وترويج الاباطيل ومحاربة العلم الصحيح بدعوى أنه السحر أو الكفر أو ماشاء لهم خيالهم المجرم . ويطلقون على طائفة اسم الكتاب ، وما هم بكتاب وانما هم منافقون متملقون لا يعرفون غير المدح يكيلونه جزافاً لسادتهم وغير الطعن الجارح يواجهون به من يعرف سادتهم منهم نزعة الى الحق والى الحرية . هؤلاء ليسوا كتاباً وانما هم كالكلاب تبصص بذنبها لمن يلقى اليها بطعام أو بعظمة من العظام ، وتنبسج من يطلقها عليه صاحبها لتبجح . وهؤلاء لن يكونوا كتاباً ولن يطلق عليهم هذا الاسم أو أى اسم يتصل به ، لان الكاتب تصدر عباراته عن قلبه وعن ايمانه ، أما المنافقون فتصدر كتاباتهم عن بطونهم وعن شهواتهم الخسيسة السافلة

وكما يخلق الطغاة من يسمونهم علماء ومن يسمونهم كتاباً يخلقون ما شاءوا من طوائف أخرى يطلقون عليها أسماء اضدادها ، وكل غرضهم من ذلك أن يزيدوا الظلام الذي يعيشون ويكرهون الناس على العيش فيه كثافة وصلابة . فاذا حاول أحد أن يسلط على هذا الظلام طبقات بعضها فوق بعض شعاعاً من النور يبدد منه فله الويل وله النكال وله عذاب السعير

والحجة القاطعة على صدق هذا التصوير للبيئة التي يخلقها الطاغية ليعيش فيها ، أنك ترى كل الوان التكريم والاعزاز في عهده تذهب الى هؤلاء الذين يخلقهم لمحاربة العلم والنور ويسميهم باطلا العلماء والكتاب ومن اليهم من خلائقه . وعهد الناس بمن ينالهم إكرام الجماعة في حياتهم أن تمتد كرامتهم الى ما بعد موتهم . أما هؤلاء فأخبر كرامة تنالهم يوم يحتفل الطاغية وأنصاره بدفنهم . في ذلك اليوم ينال التراب على صحيفتهم ، ثم يكون أكبر رجاء لذويهم من بعدهم ألا يذكروهم بالخير أو بالشر أحد . وأعتقد أن ليس لهذه الحجة ما ينقض حرفاً منها

واذا كنا بسبيل الكتاب ورجال العلم فان المنافقين والمتملقين منهم ممن يظهرون في عصور الطفيان هم على الانسانية بلاء دائم وشر مستطير ، يفسدون الآداب والاخلاق ويعلمون الناس الكذب والنفاق وينزلون بأدب الكتابة الى أحط درجاته . وهم مع ذلك من الطاغية موضع إعزازه وان شاب الاعزاز احتقار ، ثم هم لن ينزل بهم حيف أو ينالهم بسبب إفسادهم الخلق والادب واللغة أى

أذى . بل انك لتراهم وهم حثالة السفالة المجسمة موضع الا كبار من بطانة الطاغية لانهم يعتقدون في الزلفي اليهم والقربى منهم وسيلة لاستفادة الجاه السكاذب والمال المسروق

على أن الظلم وان تكاثفت ، والمظالم وإن اشتدت ، والطاغية وإن استبدت ، كل ذلك كان دائماً من أثره أن أثار شرارة الحرية والحق فهتكت ظلمته وبددت غياهبه . وكما تتراكم السحب حتى تحجب الشمس وتبعث على الارض من الظلمة ما تنقبض له النفس ثم اذا المطر يستنفد السحب ويجعل للنور من جديد منافذه ، كذلك ماتلبث هذه الظلم المتكاثفة في جو الطغيان حتى تبعث الى نفس ملهمة كلمة الحق ترتفع في صيحة قوية خالصة . فاذا الظلم تضطرب قوائمه واذا الطاغية يكفهز وجهه واذا المظلومون تأخذهم رعدة الخوف إشفاقاً على صاحب الصوت وعلى أنفسهم . ثم اذا الصوت يعلو ويعلو ويرتفع ويرتفع . واذا القلوب التي وجلت من قبل رعباً وخشية تنفتح لهذا الصوت تستقبله فرحة مستبشرة . ثم اذا هي تتبعه مؤمنة مقدسة . ثم اذا النور نور الحرية والحق يعم الارحاء . واذا الظلم والظالمون والطغيان والظغاة قد انقلبوا صاغرين عانية وجوههم للحى القيوم

في العصور المختلفة جميعاً علت هذه الصيحة أول أمرها من جانب رب من أرباب القلم . ليكن نصير الحرية والحق خطيباً أو كاتباً أو محدثاً . وليكن عالماً أو أديباً أو داعية دينياً . فهو يرسل بصيحته الضياء الى النفوس المشتاقة الى الضياء . وما تكاد هذه الصيحة تنبعث حتى يتنبه الظغاة الى مصدرها ويقدرّون خطرها . وهم قد يجدون الوسيلة لمحاربة صاحبها كي يخمد صوته ولا يمتد الى ظلماتهم التي خلقوا ضياؤه . لكنهم لم يستطيعوا في حقبة التاريخ جميعاً أن يخفّتوا هذا الصوت وأن يقضوا على هذا الضياء ما كان مصدره قوة ملهمة من قوى الحق السامية . ولقد عاش تولستوى في روسيا القيصرية يحارب بكتبه وبقصصه أفانين الظلم والارهاب التي كان ينشرها حكاهم ذلك العصر ، وبعلى في الخافقين علم الحرية وينشر لواء الحق . وكان الحكم في روسيا قائماً على الاستبداد المطلق . مع ذلك لم تستطع يد أن تمتد الى تولستوى ولا اجترأت على أن تغض منه . لان ضياء الحق والحرية والجمال والخير أقوى من سلطان كل سلطان ، ولان الظلم الذي يحل بأرباب القلم ممن ينصرون هذه المعاني يزيد في النفوس قوة وللظالمين مقتاً واحتقاراً

وليس مثل تولستوى إلا واحداً من مئات من الامثال . وأرباب الاقلام الذين اضطهدوا في عصور ماضية كان اضطهادهم من أقوى الاسباب في ارتفاع كلمتهم وذبوع صوتهم ومحبتهم وحسن استماع الناس لهم وشديد ايمانهم بآرائهم . وما تزال أسماء الذين اضطهدوا والذين عذبوا في سبيل نشر الحق والحرية خالدة على الزمان وإن درست أسماء الذين اضطهدوهم وعذبوهم ، فاذا جاءت الى الازمان أسماء الآخرين يوماً جاءت مقرونة بالازدراء والمهانة ، ذلك بأن الذين جاهدوا الخير الانسانية قد نسوا أنفسهم في الانسانية فأحلتهم الانسانية مكان الكرامة والاعزاز من قلبها

التسامح

بقلم الاستاذ أنطون بك الجميل

أى كتاباتك أحب إليك ؟

لا أجيب بما قاله الشاعر الفرنسي : « إن خير اشعارى ما ترال فى خاطرى لم أنظمها الى الآن ،

ولا أقول ما قالته فاطمة بنت الخرشب - وهى احدى منجبات العرب - حينما سئلت : « أى بنيك أفضل ؟ » فاجابت : « الربيع . بل عمارة . بل انس . » ثم عادت فقالت : « ثكلتهم جميعاً ان كنت أدري أيهم أفضل ! »

لا أجيب بشئ من ذلك ، فان فى ذلك بعض الادعاء ، وان كان فيه نصيب كبير من الحقيقة . ولكنى لا أكتفى فى حيرة من أمرى لتعين ما أعده أحسن ما كتبت . وقد أعرب لى كثيرون من الزملاء - الذين القى اليهم محرر « الهلال » بمثل هذا السؤال الذى القى به الى - عن مثل هذه الحيرة . فانه يصعب على الكاتب أن يتخير أحب كتاباته الى نفسه وهى كلها من بنات افكاره . وتزداد هذه الصعوبة اذا كان الكاتب قد قضى مدة غير يسيرة فى التحير ، وكانت كتابته مشتتة فى الصحف والمجلات . فليس فى مكتبته أن يجمعها ويراجعها فى عرض عام ليفاضل بينها فيعلن أيها أحب الى قلبه

لذلك رأيت أن أخرج من حيرتى هذه باعتمادى على التوفيق والصدفة . فعمدت الى خزانة حوت الكثير من كتاباتى القديمة وأخذت بعض أوراق منها بلا فرز ولا تحير . فكانت نسخة من خطاب عن « التسامح » ألقته منذ عدة سنوات فى الاسكندرية ، وتفضلت يومئذ مجلة « الهلال » بنشره وبطبع مائة نسخة منه على حدة . فقلت : « هذا الذى أفضل ! » ولا أدري اهو الربيع ، أم عمارة ، أم انس ؟ وعلى كل فالتسامح فضيلة نحتاج اليها فى كل زمان ومكان وهذا هو الخطاب ملخصا ليتسق والنطاق المسموح به فى هذه المجموعة :

☆☆☆

..... للتسامح أسماء شتى ومترادفات عديدة فى نفس لفظها بيان واف لحقيقة مدلولها وتعريف لما تنطوى عليه من المعانى : فهو التساهل من السهل ضد الوعر أو الصعب ، وهو الملاينة من اللين

ضد الصلابة . وهو المياسرة من اليسر ضد العسر . وهو التسامح من السهاحة . وهو المصانعة والهوادة والرفق والائانة والاغضاء . ففي جميع هذه الالفاظ بالنسبة الى الغير معنى عدم التشديد في المعاملة والحكم . وبالنسبة الى المرء نفسه — على ما ذكر علماء النفس عند العرب — معنى كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد . أو بعبارة أخرى التسامح هو تلك الفضيلة الاجتماعية التي تجعلنا نحتمل ونحترم عقائد الغير وآراءهم

ومن المعروف أن الناس ليسوا على رأى واحد ولا على عقيدة واحدة : فلكل منهم طريقة خاصة به في النظر الى الامور وتصور الاشياء والحكم عليها ، بل إن ما يرضى الواحد قد يسوء الآخر وما يستقبح اليوم قد يستملح غداً ، وما يحب هنا قد يكره هناك . قال الامام على : « إن معروف زماننا هذا منكر زمان مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت » . وقال لابرويير La Bruyère الكاتب الاخلاقي الشهير : « ما يعد حقيقة امام جبال اليرينه يعد خطأ وراها » فلا يحق اذاً لاحد في معظم الاحوال أن يدعى احتكار الحقيقة وادراك كنه الامور دون سواء

فما دامت الحال كذلك أصبح التساهل أمراً واجباً . فقد يكون للواحد منا آراء دينية او فلسفية أو سياسية أعز على قلبه من كل عزيز بل قد يضحي في سبيلها بماله وحياته . فله أن يطالب بحرية الدفاع عنها والاحتجاج على كل من يمتنها . وما دام له التمتع بهذا الحق فليس له أن يأباه على الغير فاذا ما طلبنا من الغير تسامحاً تحتم علينا أن نكون متسامحين : سنة العدل والانصاف بين الناس . ولا يحق لنا أن نلاقي غير الشدة اذا كنا متشددين

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بانياب وبوطاً بمنسم ولا يقضى التسامح باحترام آراء الغير فقط ، بل يوجب غض الطرف عن هفواتهم والاغضاء عن سيئاتهم وعيوبهم

ذلك ان الانسان مجبول من طينة النقص والضعف . فاني له أن يدرك الكمال المطلق أو يبلغ المثال الاعلى من السجاياء والطباع « من ذا الذي ترضى سجاياء كلها ؟ » مهما كبح من جماح شهواته وشدد في القبض على غنان أهوائه ؟ فلو رجع كل منا الى نفسه وناقشها الحساب الدقيق لوجد ذاته أحوج الناس الى التساهل

ومع ذلك ومع وفرة ما رأينا للتساهل من الاسماء فما أقل المتساهلين ! ومع كثرة الادعاء بالتسامح ، ما أندر المتسامحين الحقيقيين ! كل ينادى بالتساهل ، وكل ينشد التسامح فيكلف الغير هذا الخلق ولا يكلف نفسه التحلي به

أطلب صاحباً لا عيب فيه وأنت لكل ما تهوى ركوب

واذا أنعمنا النظر في حالة البشر من حيث وجدوا ليعيشوا مجتمعين متآلفين ، لا منفردين متقاطعين ، نرى أن التسامح أشد الفضائل لزوماً وأوفرها فائدة ، بل هو شرط الاجتماع وأساس الاتحاد

وقوام التضامن ودعامة الوفاق والسلام بين الافراد وبين الجماعات : فلا تحيا جمعية بلا تساهل ، ولا تعيش أسرة بلا تساهل ، ولا تدوم علاقة بين فردين اثنين فقط — ولو كانا أخوين — بلا تساهل . وإذا نظر كل منا الى علاقته بجمعيته أو بأسرته أو بصديقه أو أخيه ، يرى ان هذه العلاقة ما نشأت ولا ثبتت إلا بالتسامح المتبادل . ولو زالت روح التسامح من بين الناس تقوض ركن الاجتماع وعفت معالم العمران وضاع معنى التضامن والائتلاف ، فعاش البشر أفراداً متقاربين جسماً متباعدين نفساً لا تقوم لهم مصلحة مشتركة كانت او مستقلة . فبالتساهل قيام المصالح الفردية كالمصالح العامة . فكلما نمت روح التسامح في صدر الانسان زاد هناؤه وصفاءه « فالرفق يمن والاناة سعادة » وكلما سادت هذه الروح في بلاد أو طائفة أو جمعية أو أسرة ، توافرت فيها اسباب الرقي والفلاح واتسعت خطاها الى ادراك غاياتها سياسية كانت أو اجتماعية ، أدبية او مادية

بل يا بعد ما يكون ادراك هذه الغايات بغير تسامح ! وإذا ادرك الانسان ما يريد بالتشديد فأنما ذلك الى اجل وسرعان ما يبوء بالفشل

كان الاضطهاد نصيب من يخالف المجموع في عقيدته . وأى عقيدة لاقت ما لاقته النصرانية من المقاومة فلم يزدها ذلك الانموأ ورسوخاً ! حتى كان الشيوخ والعداري يسرون الى العذاب مؤثرين الموت على جحد عقيدتهم . بل ربما كان الاضطهاد من أعظم عوامل انتشار الاديان والافكار . وعدم الفائدة من الاضطهاد ولد التساهل الديني الذي لحظه أمير الشعراء بقوله :

الدين لله ما شاء الاله هدى لكل نفس هوى في الدين يعينها
وفي حقيقة الامر ليس من إله أو انسان عاقل يرضى بانقياد أحد له انقياداً قهرياً قائماً على
الاكراه

كان السيد المسيح إمام المتساهلين ونبراس المتسامحين ، فنهى عن كل عنف وشدة عامداً في تعاليمه الى الارشاد بالاقناع والاستمالة بالبرهان . وعنه أخذ العلماء والفلاسفة أسس مبادئ الرفق والتسامح : « من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجر ! »

يقول الافرنج في أمثالهم : « بدرهم عسل تمسك من الذباب اكثر مما تمسكه بقنطار خل » وقد دل الاستقراء ودلت حوادث التاريخ ، كما تدل اصول العلم البسيكولوجي على ان ما لا يدرك بالمشاهدة قد يدرك بالملاينة

تعرفون حكاية الريح والشمس وقد تراهما على أيهما تستطيع تزع الرداء عن كتف رجل كان مسافراً في الجبل : هبت الريح عاصفة هوجاء ، زمهرت وزمجرت ، وتسربت في طيات الرداء لتخلعه عن الرجل ، فما زاد الرجل الا تمسكا بردائه حرصاً عليه ووقاية لنفسه ، حتى عجزت الريح عن مطبئها وذهب مجهودها في ادراجها . فقالت لها الشمس : « حسبك عناء ودعيني الآن أفعل ! » سكنت الريح وأرسلت الشمس أشعتها لطيفة منعشة . فأمن الرجل شر الهواء وسرى الدفء في جسمه

فعمد الى ردائه وخلعه عنه بيده . فقالت الشمس للريح : « ها قد أدركت باللين ما لم تدركيه بالعنف »
أجل قد يدرك بالرفق ما لا يدرك بالشدة . فالما على لينة يقطع الحجر الصلد ، ولكن
ما لا يدرك بالاقناع هيات أن يدرك بالقوة . فالقوة قد تمكن صاحبها من الاجساد ولكن أتى لها
ان تمكنه من النفوس ؟ والداء السكمن في العقول لا تستأصله القوة وقد يستأصله اللين . فالأوهام في
الرهوس كالسامير : كلما ضربت عليها بعنف زدتها رسوخاً في موضعها . واذا شئت نزعها لا بد من
معالجتها برفق حتى تتمكن من رهوسها فتجذبها اليك وتقتلعها

كان معاوية مؤسس الدولة الاموية يقول : « عجبت لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر عليه
بالحجة ، ولن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق »

وقد كان معاوية هذا من أقدر الناس على ادراك أغراضه وقضاء حاجاته بالملاينة والمياسرة حتى
استتب له أمر الخلافة والدولة بعد أن كثر منازعوه

ومن حكاياته في هذا الباب انه كان لعبد الله بن الزبير أرض وله عبيد يعملون فيها ، والى جانبها
أرض لمعاوية وفيها أيضاً عبيد يعملون . فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله ، فكتب هذا كتابا
الى معاوية يقول فيه : « أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك والا كان لي
ولك شأن والسلام » فلما وقف معاوية على كتاب ابن الزبير . وقرأه دفعه الى ولده يزيد ، فلما قرأه
قال له معاوية : « ماترى ؟ » فقال : « أرى ان تبعث اليه جيشاً يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك
برأسه » فقال معاوية : « بل غير ذلك خير منه » ثم أخذ ورقة كتب فيها جواب كتاب عبد الله يقول
فيه : « أما بعد فقد وقفت على كتاب ولد حوارى الرسول ، وسأني ما ساءه والدنيا بأسرها هينة في جنب
رضاه . تزلت لك عن أرضي فاضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال ، والسلام » فلما وقف
عبد الله ابن الزبير على كتاب معاوية كتب اليه : « قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا
أعدمه الرأي الذي أحله من قریش هذا المحل . والسلام » فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله قرأه
ودفع به الى ابنه يزيد . فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له ابوه : « يا بني من عفا ساد ، ومن
حلم عظم ومن تجاوز استمال اليه القلوب . فاذا ابتليت بشيء من هذه الادواء فداؤه بمثل هذا الدواء »
أما التسامح الفكري فلنا عليه مثال جميل في حكاية ملك الفرس سابور بن أردشير ، وكان
قد ظهر على عهده ماني الزنديق ودعا الناس الى مذهبه ، فلما قبض عليه سابور أشار عليه نصحاء
دواته بقتله فقال : « ان قتلته من غير أن أقطعه بالحجة قال الناس بقوله . ويقولون : ملك جبار قتل
زاهداً . ولكني اناظره بالحجة فاذا غلبته قتلته » وهكذا فعل

أدع لكم أيها الاخوان النظر فيما أعقبه تساهل معاوية من حمل أحد العصاة على الاقرار له
بالخلافة وفيما انتجته تسامح سابور من القضاء على الزندقة في ايامه . قابلوا بين هذه النتيجة التي
أدركها هذا وذاك وما كان قد حصل من فتنة وشر مستطير لولا تسامحهما . . .

... أيها الاخوان ! قد أطلت التبيين والارشاد ، ومع ذلك لو اقتصرت على ما تقدم قد يحمل كلامي على غير محله فأرعى بما أنا منه براء . فلا بد لي من بعض استدراكات تحل الامور محلها راجياً أن تبدأوا بي باظهار تسامحكم وتساهلكم

إن تساهل الانسان مع الغير لا يفيد بتاتاً تساهله مع نفسه وترك الحبل لها على الغارب تتطوح في اهوائها : ذلك مذهب الاباحيين وليس من التساهل في شيء ! فلا يكون التساهل حقيقياً إلا اذا شددنا على أنفسنا بما قد نتسامح به مع الغير : فاذا عذرت رفيقي لتقصيره في خدمة قومه وبلاده مثلاً يجب ألا أعرف لنفسى عذراً في هذا التقصير . بل إن اشد الناس تسامحاً مع الغير كانوا أكثر الناس تشديداً على أنفسهم فلم يغفروا لها زلة ولا يعنى اللين والتساهل المحاباة والخذاع :

كالصل يظهر لنا عند ملمسه حتى يصادف في الاعضاء تمكيناً

فان الصراحة أن يعتقد الانسان كل ما يقول لا أن يقول كل ما يعتقد وقد ضل أيضاً من توهم أن تجاوز المرء عن شؤونه يفيد اغضائه عن حقوق الغير : فحقوق الغير مقدسة لا يجوز التسامح بها . فلكل منا ، إذا شاء ، أن يغضى عن بعض حقوقه ، ولكن ليس له أبداً أن يتساهل بحقوق صديقه أو عشيرته أو بلاده . قال رجل للمبرد : « أسمعني رجل في نفسى سوءاً فاحتملته ، وأسمعني فيك فاحتملته » فقال المبرد : « احتمالك في نفسك حلم ، واحتمالك في صديقك غدر » وتزيد احتمالك في بلادك خيانة شنعاء لا تغتفر . فالتسامح اذن حيث يجب التشديد مضر كالغف حيث يجب اللين :

ووضع الندى في موضع السيف في العلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقد قال فارس بنى عبس لعبله :

اتى على بما علمت فانتى سمح مخالفتي إذا لم أظلم
وإذا ظلمت فان حلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم

فالعلم لا ينفي البسالة . والتسامح لا ينفي المناضلة والجهاد دون المبدأ : فمن الحماقة أن تتصور التسامح عنوان الضعف ودليل الجبن والاحجام ، بل هو فضيلة الانفس القوية الكبيرة . فتراه أشد نمواً في صدور المتوقدين حماسة لمبدأهم منه في صدور الفاترين : الرجل القوى في عقيدته المتمكن من فكرته الثابت في خطته ، أوفر تساهلاً من الرجل الضعيف الرأى المتزعزع الفكر الذي يحاول أن يستر ضعفه وتقابه بتعصب أعمى وتشديد بلا معنى . يقول الفلاسفة إن ما جاوز حداً معلوماً لا يكون فضيلة : فله فضائل حد من قصر عنه لا يكون فضلاً ، وكذلك من تعداه . فالافراط كالتفريط كلاهما غير محمود . والفضيلة وسط بين رذيلتين . ولذلك قالوا : « خير الامور الوسط وحب التناهي غلط » فالشجاعة فضيلة بين رذيلتي الجبن والتهور . والكرم فضيلة بين البخل والتبذير .

والحياء وسط بين القحة والمهانة . والوقار سجية بين الهزل والسكبر
وكذلك التسامح . فهو اذا كان ينفي الصلابة والمشاكسة والمشادة لا يعنى الضعف والاستسلام
والتراخي . والا فان ما نسميه تسامحا وتساهلا وأناة وهوادة وملاينة . ينقلب رياء وملقا ونفاقا
وتدليسا ومداهنة . وبالاختصار تصير تلك الفضيلة الحميدة التي أطربناها رذيلة ذميمة يجب أن
نشجبها . ومتى وصلت المجاملة بالانسان الى حد الخنوع والاستكانة فانها تعدل خيافته لنفسه
وأعيدكم من هذه المساهلة الدنيئة !

نحن وضعنا نصب أعيننا غاية شريفة نسعى اليها بكل قوانا دون وهن في العزيمة ولا فتور في
الارادة . فاذا مادعوتكم الى التسامح لم ادعكم الى التراخي في الذود عن تلك الغاية الوطنية والعقيدة
القومية . بل أنا ما دعوتكم الا الى التسامح المشتق من « سمح الرمح أى ثقفه حتى لان » وليان
الرمح لا يعنى ضعفه بل تقويته . فيلوى وينثني دون أن يقصف أو يكسر
افتخرت السنديانة يوماً بصلابتها ففاخرتها القصة باستلاتها . هبت العاصفة فكسرت السنديانة
أما القصة فالتوت ولم تكسر . ولما سكنت العاصفة كانت السنديانة ملقاة على الحضيض . وانتصبت
القصة رافعة رأسها

هكذا يجب أن ننحنى امام عواصف الزمان . واذا ما لقينا عقبة في سبيلنا هل نحن فاعلون
« كناطح صخرة يوما ليوهنها » ؟ لا أيها الاخوان . غير ذلك خير منه في الاحوال التي نحن فيها
بل إن لنا أسوة بالنهر المتدفق من الجبل : هو أيضاً يسعى الى غاية ؟ غايته الانضمام الى البحر
معشوقه . فيسير اليه بلا ملل . تارة هادئاً مترققاً . وتارة مرغياً متدفقاً . ولكنه يسير دائماً الى غرضه
تحت جناح الظلام أو في اضواء النهار . انظروا اليه وقد قامت في وجهه ربوة . كيف يتجمع بحيرة
فيقوى على تسلق الربوة والانحدار من أعلاها شلالاً غماً . او كيف يدور حولها فيجعل منعطفه
سواراً لها . راقبوه ايضاً وقدلقى في مجراه ثغرة فغار فيها .. يخيل الينا هنيئة ان الارض قد التهمت
وذهبت به قبل ان يدرك غايته . ولكن اصغوا : ان هديره الخفى ينبىء بوجوده وبدوام سيره حتى
يخرج هناك في السهل ، وقد مدته الجداول تحت الارض فزادت حجمه . ينبسط الآن على الشاطئ
مرتاحاً مطمئناً وتتدحرج أمواهه الى البحر . فيلاقيه البحر بأمواجه ، حتى تتسرب تلك في طيات
هذه ، ويتلاشى النهر وقد ادرك غايته في صدر البحر . . !

هذا هو اللين الذي نريدكم عليه يا أنصار الاستقلال : التوا ولا تقصفوا . انثوا ولا تكسروا .
ذا كربين أن ألين النفوس أصلبها مكسراً . فاذا أردنا منكم لينا فن غير ضعف . واذا دعت الحالة الى
الشدة فن غير عنف . نحن في عصر سادت فيه العصبية القومية واستيقظت النعرات الوطنية . فاعتصبوا
دون ان تعصبوا ! واشتدوا دون أن تشددوا ! وتسامحوا دون ان تقعدوا . أما في المبدأ فلا تلينوا
« حتى يلين لضرر الماضع الحجر ! » . .

الحرب العظمى

بقلم الاستاذ احمد محرم

حماة الوغى أين السلام الموطد ؟
عهود كتضليل الاماني ، وراءها
اطالت عناء السيف والسيف مغمد
كان الوغى ملهى ، كان الردى هوى
كان انين الهالكين مراددا
كان بني حواء تزجي جموعهم
كان كتاب الله لغو ، كأنكم
ملائم فجاج الأرض نارا ، فلم تبت
لئن كان متن الجو بالحتف موقرا
أبيتهم ، فما يلتقى على الارض مهبط
أمانا حماة السلم لا تمسحوا الدثني
عبثتم بآمال الشعوب ، فأبغضت
لئن ضجبت الهلاك من نكد الردى
فواجه هال الأمس واليوم وقعها
تود الدراى الطالعات لو انها
كان نجوم السعد غضبي على الدثني
كان الدثني حمرا وسودا من الوغى
كان الالى صبوا على أهلها الردى

وأين الوصايا ، والذمام المؤكد ؟
وعود ، كما طار الهباء المبدد
وطاحت به في الرّوع ، وهو مجرد
كان الدم الجارى شراب مبرد
أهازيج في أسماعكم تتردد
إلى حومة الحرب ، النعام المطرد
على الناس ، أرباب تطاع وتعبد
من الخوف إلا وهى بالناس ميد
فان عباب البحر بالهول مزبد
لناج ، ولا يلقى إلى النجم مصعد
ولا تدبحوا عمرانها ، وهو يولد
من العيش ما كانت تحب وتحمد
لعيش الالى لم يطعموا الهلك انكد
وريع لها من قبل أن يولد الغد
محجبة مما تراعى وتشهد
إذا ضمها يوم من النحاس اسود
جهنم تحمى للعصاة وتوقد
زبانية ، منهم حديد وجلد

كَأَنَّ الرَّدَى مَرَّخَى الْعَنَانِينَ مَوْغَلًا
وَقَائِعٌ ، لَمْ يَشْهَدْ لَهَا الدَّهْرُ مَرَّةً
لَنْ كَانَ هَزْلاً مَارَأَى النَّاسَ قَبْلَهَا
أَخُو جَنَّةٍ ، أَوْ رَاحِلٌ يُزَوِّدُ
شِبَاهَهُ تَرَوَى ، أَوْ نَظَائِرُ تَعْهَدُ
فَتَلُكُ التِّي لَا هَزْلَ فِيهَا وَلَا دَدَ

تَفَجَّرَتِ النَّيْرَانُ مِنْ كُلِّ قَاذِفٍ
وَطَارَتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ فَوْضَى يَضْمُهَا
قَذَائِفُ مِلْءِ الْجَوِ يَرْمِي حِثَاثَهَا
إِذَا مَا أُلْتِ بِالْخُصُوفِ تَطَايَرَتْ
إِذَا جَحَدَتْ تَدْمِيرُ أُخْرَى تَهَايَا
إِذَا دَاهَمَتْهَا ، لَمْ تَفْذَعْهَا ضِرَاعَةٌ
تَحَاوِلُ أَسْبَابَ الْفِرَارِ ، لَعَلَّهَا
تَوَدُّ أَرْتِيَاعًا لَوْ حَوَّتْهَا حِمَامَةٌ
وَقَدْ مَلَكَ الْآفَاقُ نَسْرٌ مُحَلَّقٌ
بَارِجَاتُهَا وَاسْتَجْمَعَ الدَّمُ يَجْمَدُ
إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) وَاللَّهُ يَرُصِدُ
مِنْ الْخُتْفِ ذِي الْأَهْوَالِ رَامٍ مُسَدِّدُ
ذَرَاهَا الْعَلَى ، وَانْدَكَ مِنْهَا الْمَوْطِدُ
أَتَاهَا مِنَ التَّدْمِيرِ مَا لَيْسَ يُجْحَدُ
وَلَوْ خَرَّ عَاتِيهَا عَلَى الْأَرْضِ يَسْجَدُ
تَغَاثُ إِذَا طَارَتْ سِرَاعًا وَتُتَجَدُ
وَغَيْبُهَا تَحْتَ الْجَنَاحِينَ هُدُودُ
يَطُوفُ بِأَكْنَافِ السَّهْوِ يَتَصِيدُ

وَأُخْرَى^(١) إِذَا زَاغَ الرَّدَى عَنْ سَبِيلِهِ
أَضَاءَتْ لَهُ سَوْدُ الْغِيَا هَبٍ ، وَانْبَرَتْ
إِذَا مَا تَرَدَّتْ بِالسَّلَاحِ كَتِيبَةٌ
وَإِنْ أَجْمَعْتَ أُخْرَى صَدُودًا عَنْ الْوَعْيِ
تَنْبُهُ مِنْ لَوَاعَاتِهَا ، وَهِيَ هَجْدُ
تَوَدُّ مِنَ السُّهْدِ الْمَبْرَحِ أَنَّهَا
وَيَشْتَاقُ عَانِيهَا مِنَ الْأَمْنِ نَهْلَةً
وَطَاحَ بِهِ لَيْلٌ مِنَ الشُّكِّ أَرَبْدُ
عَلَى الْبَعْدِ ، تَهْدِيهِ السَّبِيلُ ، وَتُرْشِدُ
تَكْشِفُ مِنْ سَوَآتِهَا الْمُتَغَمِّدُ
أَتَتْهَا خَيَالَاتُ الْوَعْيِ تَتَوَدُّ
وَتَبْعَثُ مِنْ رَوَاعَاتِهَا ، وَهِيَ هُمْدُ
حَوَاهَا مِنَ الْمَأْثُورَةِ الْبَيْضِ مَرْقَدُ
وَلَوْ أَنَّ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ مُورِدُ

(١) الْأَنْوَارُ الْكَشَافَةُ

اطو خريطتها !

اوربا وباريز يوم نشوب الحرب العظمى

بقلم الاستاذ سليم عبد الأحد

درستها منذ صباى فعرفت حدودها من البحر إلى البحر ، ومن الشرق إلى الغرب . وكنت أتصورها دائماً رمزاً إلى الجمال فلا يتمثل لى فى حدائقها غير البنفسج ، ولا فى فضاءها غير البلابل . وقد أصبحت اليوم « بركاناً » هائلاً يتقيأ حمماً تذهب بجبال الطبيعة الفتانة

كذلك شاء الانسان . يهدم فى ساعة واحدة ما بناه آباؤه فى مئات من الاعوام . يحمل سيفاً يمينه ومعولاً يساره يقطع بذلك ويضرب بهذا . يقول حسناً أن ابنى ، وأحسن منه ان اهدم بهذا سوف يشهد التاريخ . ان ابناء المائة العشرين لم يبقوا شيئاً لابناء العصور المظلمة ، وان اله الحرب وضع احدى قدميه على ضفاف الرين والاخرى على شواطئ الفرات ثم أخذ يعمل معوله فى قصر السلام . هذه « ريمس » و « لوفان » و « لياج » قد ضاعت مواقعها على الخريطة . يقف السائح على اطلالها ويسأل أين كانت مرابع مدنتها ، ويلتمس العصفور مكاناً يبنى فيه عشه ، ونسور الجو تحوم فوق قبور كانت بالامس قصوراً

ماعهدى باوربا انها قبر لمدينة القرن العشرين . قد هدم المدفع قصورها وحصد السيف رقاب بنيتها ، فبُست مدينة النار والحديد . قد أصبحت مطعم الطامعين . كذلك الطير الذهبي اللون فانه مطعم أنظار الصياد

سلمت قصورك يابلاد الجمال . تحميك أسوار من قلوب ومن حديد . فكيف تطوى خريطةك من الوجود ؟ بل بشئ ما أنت فيه . أين جمالك الساحر وحسبك القتال ؟ أنت الآن سكرى برائحة الدماء . غداً تستيقظين من حلمك الرائع فتجدين حولك انقاضاً بالية وطولوا دارسة

بل غداً يرسمونك من جديد ، يزرعون اشلاء بنيك فى تربتك الصالحة فينبعث منهم جيل احرص على السلم ، وتنسى الشكلى أولادها الراحلين . يرجع العصفور إلى عشه ، والبلبل إلى ايكه ، والرين إلى صفائه . ترسب اشلاء القتلى فى قعر الانهار ، ويصنع الخوت ولية تذكرها أجياله من بعده ، وينسى الاحداث جغرافية أوربا ، لان السيف قد مزق خريطةها القديمة ورسم لها خريطة جديدة ،

وسينقش التاريخ على صروح الرين : « هنا آثار مدينة غابرة » وعلى ضفاف الدانوب : « هنا كانت
مملكة الرجل المريض » (١) هو ذا الاكفان معدة . في أوروبا اليوم مليوناً أرملة وثكلى . قد
اتسحن بالسواد ، ولكن وراء دموعهن عهد فرح وسلام لان فلذات اكبادهن انما دفنوا في قبور
المجد ، وذكركم على السنة الاحياء . وستشاد على بقاياهم مملكة السلام الجديدة

هنيئاً لهم فقد حرروا العالم من نير ثقيل . سينقش التاريخ ذكركم بأحرف من ذهب ويجعل
أعمالهم اقايصص تلقىها الممرضات على الاطفال . يتغنين بها لينام الطفل ويحلم أحلامه المبهجة
سلام على خريطة مزقها السيف . سلام على قصاصة سوف تضم الى سجلات الخلود
فارقت باريز منذ ثلاث سنوات ثم عدت اليها فوجدتها اجد شباباً وأكثر نشاطاً . كذلك
النسر في شيخوخته يتجدد صباه . وهل تعرف باريز هرما وهل يعبت الزمان بجهاها ؟

سل ما فيها من دور وقصور . ألم تضم بين جدرانها رهطاً من حملة التيجان الذين كانت الارض
تميد تحت أقدامهم ؟ لقد انطوى عهدهم ولباريز كل يوم عهد

ويج باريز مهبط النور والجمال - مدينة السحر والاحاد - تزينا الكنائس المزخرفة
مصب الذهب واللجين - يموت أولادها حياء . . متى كانت باريز غير نسخة من الجحيم ؟
اذا عطشت سقاها « السين » واذا جاعت ألقمها بنوها النضار . لها معدة تهضم التبر . هي بالوعة
قد رسبت فيها أقدار بابل ونيوى . . ويج جماها الشنيع ، وتقواها الآثمة ، وأغنياها المعوزين
قالوا ان لباريز نظيرات في الجمال ، كذبوا ، مالمسما شمساً ، ولا ليل قمران
أزل باريز عن الخريطة . ما الذى يبقى من العالم غير اطلال بالية ؟

أمح اسمها من بطون الاسفار ؟ ما الذى يبقى من شعر « هوغو » وغزل « لامارتين » ؟
تأملت في ظلمتها الدامسة وقد ساد عليها السكوت وهجمت في ابراجها النسور . رأيت السين
ينساب بين شاهقاتها وقد خفت خريره وطفئت المصابيح على ضفتيه ، لان باريز الجميلة مثقلة
بإعباء الهجوم . . متى كانت باريز مدينة السكوت ؟

اتصورها عابسة مظلمة ولم أعتد أن أرى على ثغرها غير الابتسام ولا شهدت في بنينا غير
السرور . فما أطول ليها الدامس ! انه ابدية ملة . والابدية تفغر فاها وتتساب لتبلع أولادها البائسين
أتولين وتبقى انقاض الهمجية ؟ أتندثرين وتبقى أطلال التوحش ؟ ما الذى يبقى من العالم اذا أزالوا
اسمك عن الخريطة ؟ وعلى من بعدك تنثر الشمس التبر من أشعتها الذهبية ؟

ليس ما يلهينى عن ذكرك الطيب . كل تذكاراتك طيب تطيب به النفوس . لتكن كل أيامك
أعياداً يا باريز . ليخز الغريب الناقم عليك ولينتشر في ربوعك السلام . ان كنت اليوم صامته فغداً
تتكلمين . غداً يراك العالم اكمل بهاء وأتم اشراقاً

(١) لقب النمسا قبل الحرب

فرعونيون وعرب

بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح ، ويبعثوا حربا من غير جند !!

حالا لبعضهم ذات يوم أن يكون بيزنطيا يجادل في الدجاجة والبيضة أيتهما أصل الاخرى : فقال على هذا القياس : أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية ؟ ! نعم قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة النفوس وأغنة الاهواء ، يقول لها كوني فرعونية فتكون ! أو كوني عربية فتكون ! ثم اشتهر بالرأى الفرعوني اثنان أو ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام . فبسطوه في المقالات ، وأيدوه بالمناظرات ، ورددوه في المحادثات ، حتى خال بنو الاعمام في العراق والشام أن الامر جد ، وان الفكرة عقيدة ، وان ثلاثة من الكتاب أمة . وان مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات ، والمساجد معابد ، والكنائس هياكل ، والعلماء كهنة ... !

مهلا بني قومنا لاتعتقدوا بشهوة الجدل على الحق . ورويدا بني عمنا لاتسيثوا بقسوة الظن الى القرابة ! إن الأصول والانساب عرضة للزمن والطبيعة : تواسج بينها القرون ، وتفعل فيها الاجواء ، حتى يصبح تحليلها وتمييزها وراء العلم وفوق الطاقة . فاذا قلنا فلان عربي أو فرنسي أو تركي فانما نعني بهذه النسبة انطباعه بالخصائص الثقافية والاجتماعية لهذا الشعب ، كاللغة والادب والأخلاق والهوى والدين . فبديع الزمان عربي وأصله فارسي ، وروسو فرنسي وأصله سويسري ، والامير فلان تركي وأصله مصري ، لان كلا من هؤلاء الثلاثة أصبح جزءا من شعبه ، ينطق بلسانه ويفكر بعقله ويشعر بقلبه . . . فبأي شيء من هذا يتماهى إخواننا الجدليون وهم لو كشفوا في انفسهم عن مصادر الفكر ومنابع الشعور ومواقع الالهام لرأوا الروح العربية تشرق في قلوبهم دينا ، وتسرى في دماغهم أدبا ، وتجري على ألسنتهم لغة ، وتفيض في عواطفهم كرامة

لانريد أن نحاجهم بما قرره المحدثون من العلماء من أن المصرية الجاهلية تترع بعرق الى العربية الجاهلية ، فان هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل . . . وكفى بالواقع المشهود دليلا وحيجة . هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرنا وثلاث من التاريخ العربي ، نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال .. وذلك هو ماضى مصر الحى الذى يصيح فى الدم ، ويشور

في الاعصاب ، ويدفع بالحاضر إلى مستقبل ثابت الأس شامخ الذرى عزيز الدعائم
أزهقوا إن استطعتم هذه الروح ، واحموا ولو بالفرض هذا الماضي ، ثم انظروا ماذا يبقى في يد
الزمان من مصر . هل يبقى غير أشلاء من بقايا السوط وأنضاء من ضحايا الجور ، وأشباح طائفة
ترتل « كتاب الاموات » وجياه ضارعة تسجد للصخور وتغنى للعجاوات ، وقبور ذهبية الاحشاء
ابتلعت الدور حتى زحمت بانتفاخها الارض ، وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت
الحياة ؟ وهل ذلك إلا الماضي الابد الذي تريدون أن يكون قاعدة لمصر الحديثة تصور بالوانه وتشدو
بالحانه وتحيا أخيراً بروحه ؟ ولكن أين تحسون بالله هذه الروح ؟ إن أرواح الشعوب لا تنتقل الى
الاعقاب الا في نتاج العقول والقرائح ، فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة
تحدثكم عن فلسفة كفلسفة اليونان ، وتشريع كتشريع الرومان وشعر كشعر العرب ؟ أم الحق أن
مصر القديمة دفن فيت روحه مع الآلهة وصحائف موت ذهب سرها مع السكينة ؟

لاستطيع مصر الاسلامية الا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربى ، لانها لا تجد مدداً لحيويتها
ولا سنداً لقوتها ، ولا أساساً لثقافتها الا في رسالة العرب . أما أن يكون لأدبها طابعه ، ولفنها لونه
فذلك قانون الطبيعة ولا شأن لمينا ولا لعرب فيه : لان الفنون ملاكها الخيال ، والخيال غذاؤه
الحس ، والحس موضوعه البيئة والبيئة عمل من أعمال الطبيعة يختلف باختلافها في كل قطر . فاذا
لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة . ويؤلف بين روحه وروح البيئة ، فانه (اللون المحلى) وهو
شرط لصدق الاسلوب وسلامة الصورة . وقديماً كان لون الادب في الحجاز غيره في نجد وفي العراق
غيره في الشام وفي مصر غيره في الاندلس . دون أن يسبق هذا التباين دعوة ولا أن يلحق به أثر
انشروا ماضنت القبور من رفات الفراعين . واستقطروا من الصخور الصلاب اخبار الهالكين .
وغالبوا البلى على ما بقى في يديه من أكفان الماضي الرميم ، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة
الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائماً أن الروح التى تتفخونها في
مومياء فرعون هي روح عمرو . وأن اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر . وان القيثارة
الذى توقعون عليه ألحان النيل هو قيثارة امرئ القيس . وان آثار العرب المعنوية التى لا تزال تعم
الصدور وتملأ السطور وتغذى العالم هى أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر

انما تتفاضل الامم بما قدمت للخليفة من خير وتتفاوت الاعمال بما أجدت على الانسان من نفع .
ليس (الحزان) خيراً من الكرنك والازهر أفضل من الاهرام . ودار السكتب أنفس من دار
الآثار ؟ - وبعد فان ثقافتنا الحديثة انما تقوم في روحها على الاسلام والمسيحية . وفي أدبها على
الآداب العربية والغربية . وفي علمها على القرائح الاوربية الخالصة . أما ثقافة (البردى) فليس
يربطها بمصر العربية رباط ، لا بالمسلمين ولا بالاقباط

مقياس الرقي^(١)

للاستاذ احمد امين

سألني أديب سوري ، بمناسبة مقال كتبه عنوانه « المسلمون أمس واليوم »
بم تعد أمة أرقى من أمة ، وما العوامل التي نحسبها ونقيس بها الرقي ؟ وفي الامة الواحدة -
إذا سئلنا أ كانت بالأمس خيراً منها اليوم ، أم هي اليوم خير منها أمس . فأى النواحي نرعاها
عند النظر ؟ والحق أنها أسئلة في منتهى الصعوبة ، يحار المحيب عنها أى العوامل يحسب وأيها يترك ،
وأيها له قيمة كبيرة الأثر وأيها ضعيف الأثر ؟

قد يحيب محيب اجابة سهلة من طرف اللسان فيقول : « مقياس الرقي في الامم الاخلاق » فأرقى
الامم أحسنها خلقاً ، واسكن هذه الاجابة لانقع ، فالاخلاق متغيرة ، وكل عصر له أخلاق يتطلبها
وواجبات ينشدها ، وما علينا الآن من واجبات أضعاف ما كان على أجدادنا منها . أصبح واجباً
علينا أن نعلم أولادنا في المدارس ، وما كان ذلك واجباً من قبل إنما كان تبرعاً من الاب . وأصبح
واجباً علينا ترقية الوطن من جهات متعددة ، وما كان ذلك واجباً من قبل وإن كان واجباً فواجب
غامض ليس محدود المعنى ولا معين الاتجاه . وكان آباؤنا يعدون من ارقى الاخلاق في الامة حجاب
نساءها وبناء سور متين بين الرجل والمرأة ، فأصبحنا نرى الواجب أن تتعلم المرأة كما يتعلم الرجل .
ومن حقها أن تسمع المحاضرات مع الرجل وأن تتمتع بالحياة البريئة كما يتمتع الرجل . فإذا قلنا
مقياس الرقي الاخلاق كانت كلمة عامة تدل على كل شيء ولا تدل على شيء

وقوم يقيسون الرقي بالدين وهي كذلك كلمة عامة يختلف مدلولها باختلاف أنظار الناس ، فيضيق
عند بعض الناس حتى لايسع إلا الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويتسع عند بعضهم حتى يشمل كل شيء
وفي الحق أن هناك مناحي للحياة مختلفة متعددة يجب أن ينظر اليها كلها لتقويم الرقي - ففي
كل أمة مجموعة من المرافق . يعد كل مرفق منها كالحليسة في الجسم الحي : من حكومة وتعليم ولغة
ودين وأسرة ونظام اقتصادي ونحو ذلك . كلها تتغير وكلها ترقى أو تنحط . وكلها في حركة مستمرة
دائماً أما الى الامام وأما الى الخلف . وكلها تتفاعل تفاعلاً قوياً ، يؤثر قواها في ضعيفها وضعيفها
في قوياها - وهذا التغير الدائم في كل هذه المرافق هو مقياس الرقي والانحطاط . فإن كان تغيراً الى
سمو فريقي وإن كان تغيراً الى تدهور فالنحطاط

(١) اخترناها له . . .

وحسبان هذا ليس بالامر اليسير . فقد تتدهور بعض المرافق لاسباب خاصة وتسمو بعض المرافق لاسباب كذلك . ثم تتفاعل عوامل الضعف والقوة فينشأ من ذلك عملية حسابية من أصعب المسائل حلا . والمثل الأعلى للامة أن يكون كل مرافق من مرافقها الاجتماعية يؤدي عمله خير اداء ، ويتنقل في سمو أبدا ، وان يكون سيره ورقيه في حالة ملائمة ومناسبة لسائر المرافق الاجتماعية ، لا يظفر عنها ولا يقعد بها — فالامة التي تختار أحسن النظم في التربية والتعليم ولا تساعد اللغة على المصطلحات الحديثة لا ترقى في التربية والتعليم حتى تحل مشكلتها اللغوية . والامة التي تختار أحسن النظريات الفقهية وخير النظم القضائية ثم لا يعينها على ذلك حالة الاسر الاخلاقية وحالة المعاملات بين الافراد ، لا يمكن أن ترقى بنظرياتها الفقهية من الناحية القضائية . والامة التي تسن أرقى أنواع الاصلاحات الاجتماعية ثم لا تعينها الناحية الاقتصادية تصبح اصلاحاتها تسر القارىء ولا تسر الناظر . وهكذا

وهناك دلائل قوية تدل الباحث على رقى الامة وتدهورها وسيرها الى الامام او الخلف . اما بمقارنتها بغيرها من الامم في نواح معينة أو بمقارنتها بنفسها في عصرها الحاضر وعصرها السابق . والمقارنة الاولى تدلنا على الدرجة التي تقف عليها الامة في سلم الرقي العام . والمقارنة الثانية تدلنا على اتجاه سيرها : الى فوق أو تحت

من أهم هذه الدلائل تعرف موقف الامة ازاء ما يحيط بها من ظروف طبيعية واجتماعية : هل هذا الجيل أحسن استخداما لبيئته وما يحيط به ؟ هل استطاع أن يوجد منابع لثروته وسعاداته أكثر مما استطاع أسلافه ؟ هل استخدم المنابع القديمة خيرا مما استخدمها آباؤه ؟ هل كان في حله لما يعرض له من المشاكل الاجتماعية والطبيعية أكثر توفيقا ؟ لما عرضت هذه المصاعب أو أمثالها لنا ولا بآئنا كيف حلوها وكيف حللناها ، وما منهجهم في الحل وما منهجنا ؟ ما مقدار تضامن الافراد يومذاك في التغلب عليها ، وما مقدار تضامنا اليوم ؟ لسكل أمة مقدار من الثروة ، فهل زادت ؟ وهل استطاعت اليوم أن تسعد بشروتها أكثر مما كانت تسعد بها من قبل ؟ هل استخدمت العلم أحسن مما استخدمه آباؤها . فقلت الوفيات وتحسنت صحتها ، وجل منظرها ، ونظفت عيشتها ، وأصبح نيل القوت أسهل وأيسر حتى تفرغ كثير من أبنائها وبناتها للعلم والفن والادب ؟ أظن ان هذه الاسئلة متى حددت بهذا الشكل لم تكن الاجابة عليها عسيرة ، وبذلك نستعين على تعيين مقدار الرقي ومن ناحية أخرى ، ربما عد من أكبر دلائل الرقي في الامة « تذليل العقبات أمام الكفايات » فخير الامم من أفسحت السبيل أمام افرادها ليرقوا كما يشاءون حسب استعدادهم وجدهم ، في التعلم ، في الوظائف ، في النواحي السياسية والاجتماعية — وقد قطعت الامم المتقدمة في ذلك خطوات واسعة فازالت احتكار الارستقراطية للمناصب العليا ، وسهلت وسائل التعلم لمن شاء ، واعتمدت في تقدير الاشخاص على مزاياهم لا على بيتهم — الى درجة كبيرة — وحاربت « المحسوبية » والنزعات الارستقراطية

وقضت على النظام الاقطاعي الذي يميز بين الطبقات ويضع حداً فاصلاً بينها لا يمكن تخطيه ، ووضعت
النظم الاقتصادية الحديثة ، وفيها يمكن كل فرد بذكائه ومواهبه ان يصل إلى ما يستطيع من رقي
— وان كانوا هم أنفسهم يصرحون بأنهم لم يبلغوا الغاية في ذلك ، وأن أمامهم عقبات شاقة ومسافات
طويلة يجب ان يقطعوها حتى يسهل على كل فرد تحقيق غايته وبلوغ شأوه

وربما كان كذلك من أهم دلائل الرقي النظري ثروة الامة ومقدار ما يصرف منها على « الصالح
العام » من مدارس ومصانع ومساجد ومنتزهات وحدائق وماء وانارة ونحو ذلك . ولست أعني النظر
إلى كمية ما يصرف فحسب ، ولكن أعني أيضاً كيفية الصرف ، وهل انفق هذا القدر في احسن السبل
وهل هناك وجه آخر خير منه ؟ . كذلك لست أعني ما ينفق في ذلك من ميزانية الحكومة فقط ،
ولكن أعني أيضاً مقدار شعور الافراد في هذا الباب ومقدار ما يتبرعون به من أموالهم لهذا الصالح
العام ، فليست ثروة الامة مقصورة على ميزانية الحكومة ولكنها تشمل ثروة الافراد وفي أموالهم
حق معلوم ، لوسائل والمحروم ، فالامة التي لا يشعر أغنيائها بواجب في أموالهم لفقرائها ، أو يشعرون
شعوراً ضعيفاً لا يقوى على استخراج المال من جيوبهم ، أمة منحلة إذا قيست بغيرها من الامم
التي كثر فيها المدارس والاندية والمستشفيات والجمعيات الخيرية من مال أغنيائها

ومما يتصل بهذا الامر ، النظر في ميزانية الاسر في الامة وكيف تنفق ، فامة خير من أمة اذا
عرفت أسرها كيف توازن بين دخلها وخرجها ، وكيف تفرق بين الضروري والكلي وما ليس
بضروري ولا كلي ، ولم تسمح لنفسها أن تصرف في الكلي حتى تستوفي الضروري ، ولا في غير
الضروري والكلي حتى تستوفي الكلي ، فذلك — من غير شك — يجعل الاسر أسعد حالاً ،
وأهدأ بالاً ، واكثر استعداداً للرقى ، وهل الامة الا مجموعة من الاسر ؟ وهل رقي الامة الا حاصل
جمع رقي الاسر ؟ وكما أن أسرة قد تكون أسعد من أسرة مع أن دخلها أقل وثروتها أضعف ،
ولكن عقلها أكبر ، وتصريفها لما لها أدق ، فكذلك الامم ليس خيرها أغناها ، ولكن خيرها من
عرفت كيف تستخدم ما لها وأحاطت ماتملك بوسائل اجتماعية ، وكمية كبيرة من الاصلاح تجعل
ما لها يتضاعف في القيمة وان لم يتضاعف في العدد — فكم من أمة لها ثروة كبيرة طبيعية ولكن
لم تعرف كيف تستخدمها ولا جزءاً منها ، ولو حلت محلها أمة أخرى لصيرت صحراها بستاناً
وجباها جناناً ، ولجعلت ترابها ذهباً وأرضها عجياً . ومن أجل هذا لم يخطئ كثيراً من حصر مقياس
رقي الامة في مقدار تغلبها على طبيعة بلادها وتعديل نفسها حسب ما يحيط بها — لانها لا تصل إلى
ذلك الا بمقدار كبير من العلوم الطبيعية يمكنها من الانتفاع بأرضها وجوها ، وبقدر وافر من العلوم
الاقتصادية يبين لها كيف تستغل منابعها ، وبمقدار صالح من النظم السياسية والاجتماعية والاخلاقية
يهيئ للافراد سبل الانتفاع بما حولهم ويعدهم خير اعداد للنظر في مصالحهم

فليتساءل الشرقي في ضوء هذا : أين هو في نفسه ، وأين هو في أمة ، وأين أمة في العالم ؟

عظيم... (١)

بقلم الدكتور طه حسين

كان حازماً إذا قال أو فعل ، وكان عازماً إذا هم أو مضى ، وكان أليماً إذا سيم الضيم ، عصياً إذا دعى الى الحسف ، عزيزاً إذا أريد على الهوان ، جمع الله له قلباً زكياً ، وأنفاً حمياً ، وضميراً نقياً وخلقاً رضيعاً

ولساناً صيرفياً صارماً كحسام السيف ما مس قطع

ثم رماه بالاحداث والخطوب فلم تلن قناته ، ولا فلت شباته ، ولا صدعت صفاته ، ولا صرفته عمارسم لنفسه من طريق ، ثم رمى به الاحداث والخطوب ، فلم تثبت له . وانما ولت عنه نافرة . وانهمزمت أمامه ممعة في الفرار . وليست الخطوب التي تعترض عظماء الرجال شراً كلها . وليست الخطوب التي تتاح لعظماء الرجال خيراً كلها . فهذه النعمة السابغة التي يتمها الله على الرجل العظيم نوع من أنواع المحنة وضرب من ضروب الفتنة ، لانها خليفة أن تغريه بالاشتر والبطر ، وتزين له الكسل والفتور . وهذه النعمة القائمة التي يمتحن الله بها الرجل العظيم نوع من أنواع المحنة وضرب من ضروب التشجيع ولون من الوان التمحيص ، خليفة أن تعودده احتمال المكروه والصبر للنوائب والتفوق في مصارعة الاحداث . وقد ابتلى سعد بالنعم السابغة فلم تفسد عليه من امره شيئاً ، وابتلى سعد بالنقم الملحة فلم تقل له حداً ، ولم تضعف له عزماً ، ولم تجعل لليأس الى نفسه العظيمة سبيلاً أجمع المصريون على حبه وإكباره ابان الثورة لانه كان زعيم صفوتهم وقائد خلاصتهم الى مثابها الأعلى من الحرية والكرامة ومن العزة والاستقلال . اليه آوى قاسم حين كتب تحرير المرأة فتذكر له الدهر وأهله ، وبه لاذ محمد عبده واصدقاؤه القليلون الذين كانوا يمثلون في آخر القرن الماضي وأول هذا القرن آمال مصر ومثلها العليا في الحياة الكريمة الراقية

وأجمع المصريون على حبه وإكباره ابان الثورة لانه كان يقود الشعب كله الى هذا الامل العزيز الذي كان مقصوراً قبل الحرب على الخلاصة والصفوة ثم شاع بعد الحرب في الناس جميعاً

ثم اختلف المصريون فيه بعد الثورة فسلمت له كثرتهم الضخمة وعددهم الرائع . ونهضت له جماعة منهم تقاومه وتخاصمه ، وتحاوره وتساوره ما وسعها المقاومة والمخاصمة ، وما أطاقت المحاورة والمساورة . وأغريت به أقوى أمم الارض وأشدّها بأساً وبطشاً وأعظمها حولاً وطولاً وأوسعها

(١) اخترناها له . وقد نشرت في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٣

سلطاناً ومملوكاً . نفته ثم رده ثم ضاقت به فابعدته ثم عجزت عن اسره فاطلقت . وظل هو طول حياته باسماء للنعمه باسماء للنقمة لا تدفعه تلك الى أشر ولا بطر ، ولا تضطره هذه الى ضعف ولا خور . وظل طول جهاده ثابتاً لخصومه من مواطنيه ساخراً بهذه الكوارث التي كان يسلطها عليه اعداؤه من الاجانب حتى أعيأ أولئك وهؤلاء جميعاً

واذا أولئك يقبلون عليه ويضعون أيديهم في يده ويؤمنون له بالزعامة والتقدمة ويتعاونون معه على البر والمعروف . واذا هؤلاء يسعون اليه ويعترفون له بالسلطان على نفس الشعب المصرى وقلبه ويسجلون ان ليس لهم الى ارضاء هذا الشعب سبيل الا أن يرضوا هذا الرجل ، ولا الى الاتفاق مع هذا الشعب سبب إلا أن يتفقوا مع هذا الرجل . واذا هو يقضى الشطر الاخير من حياته العظيمة وقد سلم له اجماع الشعب كله على حبه واكباره لم يشذ منه أحد ولم يند منه انسان ، واذا هو قد قهر عدواً عنيفاً وخصماً عنيداً . كان ما يزال ثملاً بأعظم انتصار عرفه التاريخ في اعظم حرب عرفها التاريخ

ثم يقضى هذا الرجل العظيم فتبكيه مصر كلها لانها فقدت اعظم ابنائها لافي عصرها الحديث ولا في عصورها الوسطى بل منذ فقدت استقلالها في التاريخ القديم . ويأسى لفقد الانجليز الذين خاصموه وقاوموه وضاقوا به وسلطوا عليه ألوان الكيد وفنون العذاب لانهم فقدوا خصماً كريماً قد كان يوشك أن يكون لهم صديقاً حميماً ، وأن يجعل لهم من الشعب المصرى صديقاً حميماً أيضاً وكذلك ابتسم الدهر لهذا الرجل العظيم فلقى ! ابتسام الدهر عظيماً ، وعبس الدهر لهذا الرجل العظيم فلقى عبوس الدهر عظيماً . وكذلك عرف هذا الرجل كيف يكون كريماً في المسألة كريماً في المحاصمة كريماً في الجهاد كريماً في الهدنة ، وكيف يذوق البغض كأشد ما يكون فلا يفسده البغض ، وكيف يذوق الحب كاحسن ما يكون فلا يبطره الحب ، وكيف ينصرف عن هذه الحياة وقدملاً قلوب الاحياء ، وكيف تمضى الايام والشهور والاعوام على موته فلا تنقص من مكانه في القلوب بل تزيد ولا تضعف من سلطانه على النفوس بل تقويه ولا تغري بذكره النسيان بل تذوده عنه وتجعل شخصه ماثلاً دائماً أمام الشعب المصرى ، وامام الشعوب الشرقية كلها تلتبس عنده الاسوة الحسنة والقذوة الصالحة ، وتتعلم من سيرته الصبر على الحزن والفقر ، والجد في الذود عن الوطن والازدراء لكيد الاعداء والثبات لمكر الخصوم

انما الرجل العظيم كتاب خالد ، لم يضعه الدهر لجيل بعينه ولا لشعب بعينه . وانما وضعه للاجيال جميعاً وللشعوب جميعاً . يعرف الناس أوله ولكنهم لا يعرفون له آخراً . يستطيعون أن يعرفوا أول هذا الكتاب حين يعرفون مولد هذا الرجل ونشأته ، ولكنهم لن يعرفوا آخر الكتاب اذا عرفوا موته لان هذا الموت لا يختم حياة العظماء ، ولعله يبدأها . أو يبدأ خير أجزائها وأعظمها غناء . لانه يزيل منها العناصر الفانية ويبقى منها العناصر التي لا تقبل الفناء . فاذا عرف الناس أن سعداً قد

ولد عام كذا ومات عام كذا ، فانهم قد بدأوا كتاب سعد ولكنهم لن يختموه إلا اذا كان للخلود ختام
فقد تختلف الخطوب على مصر والشرق ، وقد تلم بهما الاحداث وقد يصيدهما الخير والشر
ويتناوبهما البؤس والنعيم . ولكنهما سيذكران دائما ان هذا الرجل قد فتح لهما باب الحياة العزيزة
الكريمة وعلمهما كيف يبتغيان لها الوسائل ويسلكان اليها الطرق ويصبران في سبيلها لما يفرض
عليهما من تضحية وما يلم بهما من آلام

وستبحث مصر وسيبحث الشرق عن عظمة سعد هذه من أين جاءت وكيف أتت له .
وسيجدان هذه العظمة في كل ما يعرفان وما سيكشف لهما التاريخ من حياة سعد ، سيجدان في
صبره الذي لم يكن يعرف ضيقا بالحوادث ولا اشفاقا منها ، وفي مضائه الذي لم يكن يعرف وقوفا
عن السعي ولا التواء عن قصد السبيل ، وفي حلمه الذي لم يكن يعرف بطشا بالجاهل حين يقدر
على البطش ، وفي غضبه الذي لم يكن يعرف هوادة في الحق حين يأبى الحق الهوادة على طلابه ، وفي
لسانه الذي لم يعرف وقوفا ولا ترددا حين يجب القول ، وفي قلعه الذي لم يكن يعرف اضطرابا حين
يجب المضي ، وفي عقله الذي لم يكن يعرف كلالا حين يجب التفكير ، وفي فطنته التي لم تكن تعباً
بمشكلة ولا تفر عن معضلة ولا تعجز عن النفاذ الى أعماق ما يعترضها من الامور ، وفي غير ذلك
مما يعرفه الناس ومما لا يعرفونه . وأكبر الظن أن الناس لم يعرفوا من أمر هذا الرجل الا أقله
لان حياة العظماء لا يكشف عن أمرها للناس ولا تبدو أسرارها ودخائلها الا حين يبعد بها العهد
وحين يتعرض غيرها من حياة الناس لعبث النسيان

ليذكر المصريون سعداً اليوم ، وليذكروه غداً فانهم لا يحسنون بذلك الى سعد كما يحسنون
بذلك الى أنفسهم ، فقد انتقل سعد الى هذه الدار الخالدة التي لا يفيد العظماء فيها من ذكر الناس لهم
شيئا ، وانما يفيد الناس من ذكرهم العظماء ، لانهم يجدون من سيرتهم ما يعلمهم الصبر حين يحتاجون
الى الجهاد ، وازدراء الكوارث حين يحتاجون الى ازدراء الكوارث . وما أشد حاجة المصريين في كل
يوم وفي هذه الايام خاصة الى ان يذكروا سعداً وبطلوا النظر في سيرته ليعرفوا كيف يكون الصبر
حين تلم الخطوب ، وكيف يكون الجهاد حين يتألب العدو ، وكيف يكون حسن البلاء حين يطالب
الوطن أبناءه بأن يبذلوا ما يملكون من قوة وجهد ومن مال وروح ليحفظوا عليه عزته وكرامته
وليلبغوا به ما يريد من حرية واستقلال

ليلة البدر (١)

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

هات لي الذكرى وجدد ما مضى عندك الذكرى ورجعها معا
هات ما كان كما كان انقضى أو فجدد غيره مبتدعا
ليلة البدر وقد كان الرضى موعد الاهرام نبغي مطلعا
فقضى الله سواء غرضا

قد نوينا ونوى الغيب لنا نية أمتع للمستمتع
خسف البدر وأمست أنا أدعي من نشوة ما أدعي
كلما ناديتني هيا بنا ! قلت : هيا ! وأنا في موضعي
السنى عندي فمالي والسنى ؟ !

خسف البدر وما كان الخسوف شيمة البدر الذي بين يدي
نشر الناس وطافوا بالدفوف وأنا والبدر في نشر وطي
خل من شاء كما شاء يطوف إن بدرى طالع منه إلى
لا أحب البدر ترعاه الالوف

(١) من ديوان (وحي الاربعين)

يا سمير الليل يا نعم السمير مالنا والصبح ما دمت أراك
أنا في نور وروض وعبير حينما ألقاك لا التي سواك
رشفة من ثغرك العذب النضير أو من الكأس احتوتها شفتاك
وسلام أيها الكون المنير !

هات لي من فيك أنفاس الغرام أو قل إن شئت أنفاس الحياة
واسقني الحفرة من أعذب جام لا من البلور في أيدي السقاة
ثغرك الضاحك كأس ومدام ونديم لي ، وراو في الرواة
ينشد الشعر فيشجيني الكلام

ينشد الشعر جديداً كالصبا وأنا ناظمه منذ سنين
بث فيه من صباه عجباً فإذا قلت ارتجالاً لا تمين
هات لي الحسن وهات الادبا واسقني الحفر من الثغر المبين
ذاك حسبي في زماني مطلباً !



جراف تسيلن

تحية الرهبة والاعجاب الى الدكتور هوجو اكنر

بقلم الـآنسة مى

روعت القلوب ، أنت الذى لا تأخذك روعة ، ولكنها روعة العجب . وضععت الافكار ،
أنت الذى لا ينتابك تضعع ، ولكنه تضعع الطرب
تجمع الافق خاشعا عند مرورك ، فكأنه قد انقلب ميدانا أعد لبديع ابلائك ، واشرايت
السحب ، وشحب قرص الشمس . وبهت لمعان الاشعة لانها جميعا لمحت فيك دليلا على قدرة الله
فى الانسان

يا مهاجم العواصف والاطار . ومنازل الزعازع والاقدار ، وقاهر العناصر والطبيعة الجبار
لكثر ما انشد مواطنوك : « المانيا فوق الجميع » وها أنت اليوم تجوب السماوات العلى باحثاً
عن مقر لمطلبك ، فاضاً على النجوم افساح المكان لرايتك ، مرغماً حتى مجاهل الخليفة على الاعتراف
بعبقريتك وشكيمتك

قوة فى رشاقة . ورهبة فى أنس . وهول فى جمال . وتهديد فى مصافاة . واقدام فى جبور .
واقترام فى رزانة . وتعظيم فى اناقة . واقتراب فى تباعد . واسراع فى هواده . وسيطرة فى وداعة -
ذاك هو مظهرك المتعدد ، عندما انقلب الفضاء لاجلك بحراً تسبح فيه أنت كأفخم السباحات
حلقت فوق القاهرة الخالدة ، فأشرت اليها بأن للخلود استكمالاً تبدى شئ كثير منه فيك .
وحمت فوق مرابض الروحانية والاسرار ، فأومأت بأن للروحانية والاسرار امتداداً فوق الارض .
وناجيت بعبورك الجدران العظيمة والهياكل الرائعة والتماثيل الصامتة ، لتقول ان الانسان المقدم
لا يكتفى بكونه ولا يستقر فى مكان وأنه مضى يستطلع فيافي الافلاك ليضرب فيها خيامه
منذ عديد القرون وأبو الهول رابض فى إيوانه السنى يتربص صامتا بادرة مجهولة لا بد أن تقبل
عليه . أفأنت تلك البادرة أم أنت رائدها الاول ؟

ومثلثات الاهرام قائمة عند مدخل الصحراء تنطق بحديث لا يفهمه أحد منذ ابتداء الدهور
أأنت استطعت أن تلم بلمعنى القديم من حديثها الصامت ، وكما غلبت العناصر تغلبت كذلك على
ذكاه العصور ؟

تخليقك أمثلة للثبات ، ومشهدك أمثلة للثبات ، وفوزك أمثلة للثبات ، وتحيتك الينا حث على
الثبات ، فكل من شهدك وراقبك وسمعك استفاد ، وتلك أمثلة رسبت فينا
ما أثقل الاخشاب والمعادن وزنا ، وما أجمدها حركة وأفزعها روحا في مكانها . وما أخفها وزنا
وألطفها حركة وأوعاها حساً !

طر وحلق واسبح وحم وتجول وطف أيها المعجزة المتحركة على الدوام . بك أدركنا أن
للميكانيكا نبضا كنبض الحياة . بك أدركنا أن احلام الشعراء وخيالات المتخيلين هي الحقائق الراهنة
عند العلماء وعند الشرعيين !

طر وحلق واسبح وحم وطف وتجول ، لتحمل بني الانسان على خلق كلمات جديدة في
لغاتهم يصفونك بها ويمجدون

طر وحلق واسبح وحم وتجول وطف واخلق فينا رعشات جديدة واعجاباً جديداً وعزماً
جديداً وادراكاً جديداً للاقدام والنشاط . فما استطاع امرؤ أن يرتفع ويخلق دون ان يرتفع
ويخلق مثله النابهون من معاصريه

طر وحلق واسبح وحم وتجول وطف في القريب والسحيق من الاجواء . فانت في كل مكان
الاعجوبة الجبارة التي تلقى الروعة في النفوس ، وتعلو بالعقول الى ما فوق محيطها المألوف ، وتهتف
بكل من يرى ويسمع ويعي : الثبات الثبات !

اذهب بعيداً في تجوالك فانت ما زلت عند أول غزواتك الفلكية . وللعبقريه والبطولة حق
أن تطوى شاسعات الابعاد . وليس عزيزاً عليها حتى الوصول إلى عتبات الغيوب !
اذهب بعيداً وتجول كثيراً وكن في كل جولة وكل تطواف رسولا بين المعلوم والمجهول . اذهب
وطر وترنم وانشد ناشراً رسالة الارض في متراميات المدى . ولا تكن أبداً حرباً ونقمة بل كن دائماً
سماً ونعمة على العالمين

ذكرى ...

أباعدتمونا ما أقل وفاءكم فليس على أنا نباعدكم ندم

ولكن وداً كان ياليت لم يكن تمر له ذكرى ويتبعها ألم

حسين شفيق المصري

دمعتي

للمستأذ جميل صدقي الزهاوي

انت ما إن تخفين مصابي
أنت لا تدريين عني دائي
أنت لا تجدينني في شقائي
أنت لا تدفعين وطأة شيبتي
أنت لا تقدرين أن تهينني
إمّا أنت قطرة ستبلين
أو تضيعين بين لحيتي البيضاء
ارجعي فالحياة ليست تساوي
لا تخزي وان قضى أن تخزي
إن نفسي لا ترتضي أن تهوني
يا ابنة الهم إن غرفتك القلّة
دمعتي لا تعولى في رزايا
فارجعي في مهل إلى القلب مني
أتريدن من مقرك في نفد
أنا لم أسأل العيون بكاء
وإذا ما هبطت بالرغم عني
إنني إن بكيت أبكي بشعري
كل بيت منه إذا عصره
بين شعري وما يجيش بصدري
أنا عنه محدث وهو عني

دمعتي فارجمي على الأعقاب
أنت لا تصلحين منه خرابي
أنت لا تنقدينني من عذابي
أنت لا ترجعين عهد شبابي
راحة أو تسكني أعصابي
إذا سلت بقعة من ثيابي
أو تنضبين فوق التراب
أن تخزي من حائق كالشهاب
سبب قاهر من الاسباب
كشجوني وإن ملأنا أهالي
ب فلا تخرجني إلى الابواب
ك على وعد دهرك الكذاب
أنت لا تخلقين بالتسكاب
سي فراراً ينجيك من حرماي
لتكوني عن السؤال جوابي
طال يا دمعتي عليك عتاي
ولقد أهديه إلى الاحقاب
دمعة ثرة على الآداب
من شعور وشائج الانساب
وكلانا في القول غير محاب

الساقون الثلاثة

بقلم الاستاذ توفيق الحكيم

« جرسونات » ثلاثة في قهوة الدنيا ، إذا ناديتهم اقبلوا « بالطلبات » وهم يرقصون ، وفي عيونهم وشفاههم بسمات خفية ساخرة لا ترتاح لها نفس .. اول « جرسون » من هؤلاء طفل . وهو ابدأ طفل وعمره ابدأ خمس سنين .. ويدعونه « الحب » . والثاني رجل وهو ابدأ رجل وعمره ابدأ أربعون سنة .. ويسمونه « الشيطان » . والثالثهم لا عمر له ويدعى « الموت » . والموت هو « الجرسون » الوحيد من بين الثلاثة الذى لم أفكر يوماً فى تكليفه بأى طلب .. منظره لا يعجبني وحسبى منه وقفته الوقحة و « فوطته » القذرة التى بها الف خرق ، وضحكته التى كسعال المسلولين وأسنانه الصفراء العفنة من تأثير إدمانه على التدخين والمغيبات .. انه « يقرقنى » ومحال أن أتناول شيئاً من يده طوعاً واختياراً ..

أما « الشيطان » فيعجبني بطلاقة وزلفاء وذكائه .. ولولا علمى أنه محكوم عليه غايياً .. وأنه من أرباب السوابق فى جرائم النصب والاحتيال .. لركنا اليه .. أنا وكافة « الزبائن » .. أما « الحب » فالويل من هذا الطفل الجاهل الجميل .. إنه يأسرنى بلطفه ورقته .. أجل إنه الساقى الوحيد الذى أتناول من يده كل شئ .. وبلا تحفظ غير مبال إن كان ما يعطينى سما أو « شمبانيا » ..

ناديته فى الربيع الماضى فأقبل يحمل الى الكأس .. ووقف ينظر إلى برقة ساحرة ويتسم إلى بابتسامة خلافة تحوى أشياء لم أكن لأدركها فى ذلك الحين :

— ماذا تريد ؟ .. (البقشيش) ؟ ..

— كلا .. أريد أن لا تطلب إلى شيئاً بعد ذلك .. إياك أن تطلب قليلاً من الثلج .. إن

طلبت قليلاً من الثلج فلن آتى لك بطلبك ..

— اطمئن .. لن أطلب اليك شيئاً .. ابدأ .. لا (ثلج) ولا (سيفوف) .. وأقبلت

على الكأس ..

لكنه استوقفنى أيضاً ، وغافلنى وحمل الكأس وجرى قليلاً .. ثم ضحك ضحكة صبيانية وقال

فى نبرة ملائكية :

— سأعذبك ..

غير أنى لم أسمع ولم أر ولم أدرك الا شيئاً واحداً : انه حمل الكأس وابتعد ، فارتجفت وصحت
مدفوعاً بالرغبة والظماً ..

— هات الكأس يا جرسون ..

فاقترب به من شقى .. وقال بنفس الصوت الموسيقى العذب ..

— سأعذبك !

— هات الكأس يا جرسون !!

— سوف تلغنى ..

— أنا ؟ ؟ ؟ !

— سوف تمقتنى ..

— أنا عبدك ..

— سأعذبك ..

— هات الكأس ..

— خذ !

ومضى عام :

— يا جرسون . يا جرسون !

— ماذا تريد ؟

— الثلج .. فى الحال .. الثلج !

— لقد أنذرتك

— أرجو منك .. قطعة واحدة من الثلج !

— قد أنذرتك

— قطعة .. ولك ما تريد ..

— عند النجوم ماتروم !

— لا تبعد ! .. لا تهزأ بى لن تتركنى قبل احضار الثلج

— عند النجوم ماتروم !

— لقد خدعتنى .. ما كنت أظن طفلاً بريئاً جميلاً يجرؤ على هذه الجريمة : يقدم الى بدل ماء

الورد ماء النار !

— الورد والنار .. يالك من غرساذج ! .. الورد والنار هما عنصرى حياتى . وهما لون خدودى

ولون شرابى !

— قطعة من الثلج .. ولك ما شئت !

— محال ... !

— رحماك !

— لو كنت عاقلاً لادركت أن الثلج ليس في عهدتي

— لماذا؟؟ لماذا؟؟ ..

— سل صاحب القهوة ..

— أنقذنى .. لعنة الله عليك ..

— الثلج لا يمكن أن يكون في عهدتي ..

— آه ياملعون !! وما العمل ؟

— عليك بحرسون آخر ؟؟

— حرسون آخر .. من؟؟ من؟؟

(يجرى « الحب » الى « الشيطان » ويسر اليه كلاماً .. ثم يشير بيده الى « الزبوت » ثم

يتقدم « الشيطان »)

— أنا .. هو .. ماطلبك ؟ .. أنا القدير على تنفيذ رغبتك .. مرني أطع أيها السيد النبيل !

— الشيطان !!

— خادمك ! — كلا مستحيل أنت من أرباب السوابق

— مظلوم ! .. وربك لم يثبت ضدى شيء . لا تصدق وشايات الناس . وربك إني متهم

زوراً وبهتاناً

— ما الدليل على براءتك ؟

— هاك .. رخصتى .. بيضاء كقلب الجنين ! ! !

— أليست .. مزورة ..؟؟؟ على كل حال أنا في حاجة اليك الآن ! انى في حاجة شديدة

اليك .. أسمع ؟؟

— محسوبك ...

— .. الحب .. هزأبى .. انتقم لى ...

— آسف ! والله ! الحب زميلى وليس لى سلطان عليه ..

— ما العمل اذن ؟ ... — دع الانتقام .. وفكر فى الدواء ..

— الدواء .. الثلج .. قطعة من الثلج .. اذن ! !

— الثلج ليس بالدواء .. الدواء هو ...

— هو ! ! هو ماذا ؟ — هو الدواء .. ودأوها بالتى كانت هى الدواء ..

— ماذا تعنى .. ؟ — أطلب من « الحب » كأساً أخرى !

— قل سما آخر ، ناراً أخرى سائلة تطفو عليها الورود ؟ .. لا .. أيها النصاب لقد خدعت مرة ..

— ومن ادراك ؟ .. ربما هذه المرة !

— اخرس . يامنافق .. دوائى الثلج .. وأنا أدري الناس بدوائى .. أعطنى قطعة من الشاي .. أسرع بالثلج ..

— محال .. — أنت أيضا ..

— الثلج ليس فى عهدتى .. — كيف ذلك .. كيف ذلك ؟ ..

— سل صاحب القهوة ! .. — وما العمل ؟ .. ارحمنى ! ..

— أدلك على « جرسون » آخر .. وأوصيه بك خيراً .. فلطالما أوصيته عند اللزوم بزبائننا الكرام ..

(يجرى مهرولاً إلى « الموت » ويسر اليه كلاماً ويشير الى « الزبون » ثم يتقدم « الموت » فى بطء وهو يتسهم ساخراً)

— من ذا الذى يطلبنى ؟ — الموت !! آه .. لا ، لا .. لا .. أبداً ..

— عجباً لكم .. يا معشر الزبائن .. ! كلكم متشابهون .. تطلبون ثم تسكرون ! ألم تطلبنى

أيها « الزبون » ؟؟ ها .. حا .. حا .. حا ..

— لا تسعل فى وجهى .. أغرب عنى ..

— عجباً لك ! . حا . حا . سعالى يخيفك .. تحسبنى مسلولاً .. لا .. اخطأت . ! هذا من

الافيون .. نعم .. ها . حا .. حا .. لا تحب تعاطى الافيون . ؟

— بالله .. ابتعد .. أسنانك الصفراء .. ابتعد .. ابتعد ..

— والثلج .. لا تطلب الثلج .. هو فى عهدتى ألا تريد ؟؟ ..

— فى عهدتك ؟؟ ..

— فى عهدتى دائماً ؟ .. من يوم (نزولى الخدمة) بهذه القهوة ..

— كلا لا تقربنى .. قلت لك .. لا تقربنى . أستودعك الله !

— إلى أين ! ؟ حا . حا

— ابتعد عنى .. انت لا تطاق .. رائحتك كريهة ..

— والثلج .. حا .. حا .. ألا تطلب ثلجاً .. ابيض .. تعال لا تخف .. تعال .. ثلجاً

ابيض مثل الكفن !!

— النجدة .. النجدة .. الى يا جرسون « حب » يا جرسون « شيطان » يا صاحب القهوة ..

انقذونى من هذا الجرسون الفظيع .. كل شئ يطاق الا هذا الجرسون البارد الفظيع ..

حديث قطين^(١)

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

جاء في امتحان شهادة إتمام الدراسة الابتدائية لهذا العام في موضوع الانشاء ما يأتي :
« تقابل قطان أحدهما تبدو عليه آثار النعمة ، والآخر نحيف يدل منظره على سوء حاله .
فإذا يقولان اذا حدث كل منهما صاحبه عن معيشته ؟ »

وقد حار التلاميذ الصغار فيما يضعون على لسان القطين ، ولم يعرفوا كيف يوجهون الكلام بينهما ، والى أى غاية ينصرف القول في محاورتهما ، وضاقوا جميعاً - وهم أطفال - أن تكون في رموسهم عقول السنائر ، وأعيانهم أن تنزل غرائزهم الطيبة في هذه المنزلة من البهيمية ومن عيشها خاصة . فيكتبونها تدبير هذه القضاة لحياتها . وينفذوا الى طبائعها . ويندجوا في جلودها .
ويأكلوا بأنيابها . ويمزقوا بمخالبها

... إن مثل هذا الموضوع يشبه تكليف الطالب الصغير خالق هرتين . لا الحديث عنهما . فإن اجادة الانشاء في مثل هذا الباب ألوهية عقلية تخلق خلقها السوى الجليل نابضاً حياً كأنما وضعت في الكلام قلب هر ، أو جاءت بالهر له قلب من الكلام . وأين هذا من الاطفال في الحادية عشرة والثانية عشرة وما حولهما ؟ وكيف لهم في هذه السن أن يمتزجوا بدقائق الوجود . ويدخلوا أسرار الخليقة . ويصحبوا مع كل شيء رهناً بعلله ، وعند كل حقيقة موقوفين على أسبابها . وقد قيل لهم من قبل في السنوات الخالية : « كن زهرة وصف واجعل نفسك حبة قمح وقل » . وإنما هذا ونحوه غاية من أبعد غايات النبوة أو الحكمة ، إذ النبي تعبير إلهي تتخذ الحقيقة الكاملة لتتلق به كلماتها التي تسمى الشريعة ، والحكيم وجه آخر من التعبير . تتخذ تلك الحقيقة لتلقى منه الكلمة التي تسمى الفن

وقد كان في القديم امتحان مثل هذا . لم ينجح فيه إلا واحد فقط من آلاف كثيرة . وكان الممتحن فيه هو الله جل جلاله . والموضوع حديث النمل مع النملة . والناجح سليمان عليه السلام « قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم . لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها »

(١) اخترناها له . . .

إن السكون كله مستقر بمعانيه الرمزية في النفس الكاملة . إذ كانت الروح في ذاتها نوراً .
وكان سر كل شيء هو من النور والشعاع يجري في الشعاع كما يجري الماء في الماء . وفي امتزاج
الاشعة من النفس والمادة تجاوب روحاني هو بذاته تعبير في البصيرة وإدراك في الذهن . وهو
أساس الفن على اختلاف أنواعه : في الكلمة والصورة والمثال والنعمة ، أي الكتابة والشعر
والتصوير والحفر والموسيقى

ومن ذلك لا يكون البيان العالی أتم إشراقاً إلا بتمام النفس البليغة في فضيلتها أو رذيلتها على
السواء . فان من عجائب السخرية هذا الإنسان أن يكون تمام الرذيلة في أثره على العمل الفني —
هو الوجه الآخر لتمام الفضيلة في أثره على هذا العمل . والنقطة التي ينتهي فيها العلو من محيط
الدائرة هي بعينها التي يبدأ منها الانحدار إلى السفلى . ومن ثم كانت الفنون لا تعتبر بالأخلاق
حتى قال علماءنا : إن الدين عن الشعر بمعزل . فالأصل هناك سمو التعبير وجماله وبلاغة الأداء
وروعتها . ولا يكون السؤال الفني ما هي قيمة هذه النفس . ولكن ما طريقته الفنية ؟ وأي
عجيب في ذلك ؟ اليس لجهنم حق في كبار أهل الفن . كما للجنة حق في نوابغها . وإذا قالت الجنة :
هذه فضائلي البليغة أفلا تقول الجحيم وهذه بلاغة رذائلي ؟ وكيف لعمرى يستطيع إبليس أن
يؤدي عمله الفني . . . ويصور بلاغته العالية إلا في ساقطين من أهل الفكر الجميل . وساقطات من
أهل الجسم الجميل ؟

لقد بعدنا عن القطين . وأنا أريد أن أكتب من حديثهما وخبرهما

كان القط الهزيل مرابطاً في زقاق . وقد طارد فأرة فأنجحرت في شق . فوقف المسكين
يتربص بها أن تخرج . ويؤامر نفسه كيف يعالجها فيبتزها . وما عقل الحيوان إلا من حرفة
عيشه لا من غيرها . وكان القط السمين قد خرج من دار أصحابه يريد أن يفرج عن نفسه بأن
يكون ساعة أو بعض ساعة كالقططة بعضها مع بعض . لا كاطفال الناس مع أهلهم وذوي عنايتهم
وأبصر الهزيل من بعيد فاقبل يمشي نحوه ، ورآه الهزيل وجعل يتأمله وهو يتخلع تخلع
الأسد في مشيته وقد ملأ جلده من كل أقطارها ونواحيها ، وبسطته النعمة من أطرافه ،
وانقلبت في لحمه غلظاً ، وفي عصبه شدة ، وفي شعره بريقاً ، وهو يموج في بدنه من قوة وعافية
ويكاد إهابه ينشق سمناً وكدنة . فأنكسرت نفس الهزيل ، ودخلته الحسرة ، وتضعض لمراى
هذه النعمة مرحلة مختالة . وأقبل السمين حتى وقف عليه ، وأدركته الرحمة له إذ رآه نحيفاً منقبضاً
طاوى البطن ، بارز الاضلاع ، كأنما همت عظامه أن تترك مسكنها من جلده لتجد لها مأوى
آخر . فقال له : ماذا بك ؟ ومالى أراك متيسراً كالميت في قبره غير أنك لم تمت ! ومالك أعطيت
الحياة غير أنك لم تحي ! أوليس الهر منا صورة مختزلة من الأسد . فمالك — ويحك — رجعت

صورة مخزنة من الهر ! أفلا يسقونك اللبن ويطعمونك الشحمة واللحمة ويأتونك بالسّمك ويقطعون لك من الجبن أبيض وأصفر ويفتون لك الخبز في المرق ويؤثرك الطفل ببعض طعامه وتندلك الفتاة على صدرها وتمسحك المرأة يديها ويتناولك الرجل كما يتناول ابنه ؟ وما لجلدك هذا مغبراً كأنك لا تلمطه بلعابك ولا تتعاهده بتنظيف . وكأنك لم ترقط فتى أو فتاة يجرى الدهان بريقاً في شعره أو شعرها فتحاول أن تصنع بلعابك لشعرك صنيعهما ! وأراك متزايلاً الأعضاء متفككاً حتى ضعفت وجهت . كأنه لا يركبك من حب النوم على قدر من كسلك وراحتك . ولا يركبك من حب الكسل على قدر من نعيمك ورفاهيتك . وكأن جنينك لم يعرفاً طنفسة ولا حشية ولا وسادة ولا بساطاً ولا طرازاً . وما أشبهك بأسد أهلكه ألا يجد إلا العشب الأخضر والهشيم اليابس . فما له من لحم يجيء من لحم ولا دم يكون من دم . وانحط فيه جسم الأسد وسكنت فيه روح الخمار !

قال الهزيل : وإن لك لحمة وشحمة ولبناً وسمكاً وجبناً وفتاتاً . وإنك لتقضى يومك تلمط جلدك ماسحاً وغاسلاً . أو تنطرح على الوسائد والطنافس نائماً ومتمدداً . أما والله لقد جاءتك النعمة والبلادة معاً . وصلحت لك الحياة وفست منك الغريزة . وأحكمت طبعاً ونقضت طباعاً . وربحت شعباً وخسرت لذة . عطفوا عليك وأفقدوك أن تعطف على نفسك . وحملوك وأعجزوك أن تستقل . وقد صرت معهم كالدجاجة تسمن لتذبح . غير أنهم يذبحونك دلالة وملا لا . إنك لتأكل من خوان أصحابك . وتنظر إليهم يأكلون . وتطمع في مؤاكلتهم . قشبع بالعين والبطن والرغبة ثم لاشيء غير هذا . وكأنك مرتبط بحبال من اللحم تأكل منها وتحتبس فيها . إن كان أول مافي الحياة أن تأكل فأهون مافي الحياة أن تأكل . وما يقتلك شيء كاستواء الحال ولا يحبك شيء كتفاوتها . والبطن لا يتجاوز البطن . ولذته لذته وحدها . ولكن أين أنت عن إرثك من أسلافك . وعن العلل الباطنة التي تحررنا إلى لذات أعضائنا ومتاع أرواحنا . وتهينا من كل ذلك وجودنا الأكبر . وتجعلنا نعيش من قبل الجسم كله لا من قبل المعدة وحدها ؟ قال السمين : تالله لقد أكسبك الفقر حكمة وحياة . وأراني بازائك معدوماً بزوال أسلافي مني . وأراك بازائي موجوداً بوجود أسلافك فيك . ناشدتك الله إلا ما وصفت لي هذه اللذات التي تعلو بالحياة عن مرتبة الوجود الأصغر من الشبع . وتستطيل بها إلى مرتبة الوجود الأكبر من الرضى ؟

فقال الهزيل : انك ضخم ولكنك أبله . أما علمت - وبحك - أن المحنة في العيش هي فكرة وقوة . وأن الفكرة والقوة هما لذة ومنفعة . وأن لطفة الحرمان هي التي تضع في الكسب لذة الكسب . وسعار الجوع هو الذي يجعل في الطعام من المادة طعاماً آخر من الروح . وأن ما عدل به عنك من الدنيا لا تعوضك منه الشحمة واللحمة . فان رغباتنا لا بد لها أن تجوع

وتغتنى كما لا بد من مثل ذلك لبطوننا . ليوجد كل منهما حياته في الحياة . والأمور المطمئنة
كهنه التي أنت فيها هي للحياة أمراض مطمئنة . فان لم تنقص من لذتها فهي لن تزيد في لذتها .
وسر السعادة أن تكون فيك القوى الداخلية التي تجعل الأحسن أحسن مما يكون . وتمنع
الأسوأ أن يكون أسوأ مما هو . وكيف لك بهذه القوة وأنت وادع قار محصور من الدنيا بين
الأيدي والأرجل ؟ أنك كالأسد في القفص ، صغرت أجمته ولم تزل تصغر حتى رجعت قفصاً
يحدّه ويحبسه ، فصغر هو ولم يزل يصغر حتى أصبح حركة في جلد . أما أنا فأسد على مخالي
ووراء انيابي . وغيضتي أبداً تتسع ولا تزال تتسع أبداً . وإن الحرية لتجعلني أنشم من الهواء
لذة مثل لذة الطعام . وأستروح من التراب لذة كلذة اللحم . وما الشقاء الا خلتان من خلال
النفس : اما واحدة فان يكون في شرهك ما يجعل الكثير قليلاً . وهذه ليست لمثلي مادمت على
حد الكفاف من العيش . واما الثانية فان يكون في طمعك ما يجعل القليل غير قليل . وهذه
ليس لها مثلي مادمت على ذلك الحد من الكفاف . والسعادة والشقاء كالحق والباطل . كلها من
قبل الذات . لا من قبل الاسباب والعلل . فمن جاراها ساعد بها . ومن عكسها عن مجراها فبها يشقى
ولقد كنت الساعة اختل فأرة انجحرت في هذا الشق فطعمت منها لذة وإن لم اطعم لحماً .
وبالأمس رمانى طفل خبيث بحجر يريد عقري فاحدث لى وجعاً . ولكن الوجع احدث لى
الاحتراس . وسأغشى الآن هذه الدار التي بازائنا فأية لذة في السلة والخطفة والاستراق
والانتهاز ثم الوثب شدا بعد ذلك ؟ هل ذقت أنت بروحك لذة الفرصة والنهزة ، أو وجدت
في قلبك راحة المخالسة واستراق الغفلة من فأرة او جرذ ، أو ادركت يوماً فرحة النجاة بعد
الروغان من عابث او باغ او ظالم ؟ وهل نالتك لذة الظفر حين هولك طفل بالضرب فهو لته
انت بالعض والعقر فقر عنك منهزماً لا يلوى ؟

قال السمين : وفي الدنيا هذه اللذات كلها وانا لا ادري ؟ هلم اتوحش معك . ليكون لى مثل
نهرك ودهائك واحتيالك . فيكون لى مثل راحتك المكدودة ولذتك المتعبة وعمرك
المحكوم عليه منك . وسأتصدى معك للرزق اطارده واوائه . فقطع عليه الهزيل وقال :
يا صاحي ، إن عليك من لحمك ونعمتك علامة اسرك . فلا يلقانا اول طفل الا هو لى لك
فاخذك اسيراً واهوى على بالضرب لا نطلق حراً فانت على نفسك بلاء وانت بنفسك بلاء على
وكانت الفأرة التي انجحرت قد رات ما وقع بينهما . فسرهما اشتغال الشر بالشر .. وطالت
مراقبتها لهما حتى ظنت الفرصة ممكنة فوثبت وثبة من ينجو بحياته . ودخلت في باب مفتوح
ولحها الهزيل كما تلح العين برقاً او مض وانطقاً . فقال للسمين : اذهب راشدا . فحسبك الآن
من المعرفة بنفسك وموضعها من الحياة ان الوقوف معك ساعة هو ضياع رزق . وكذلك امثالك
في الدنيا . هم بالفاظهم في الأعلى وبمعانيهم في الأسفل . .

المدنية المصرية القديمة

ومسلك المدينتين اليونانية والرومانية معها
هي الاصل فيهما، ولكنهما تجاهلتاها

بقلم الاستاذ عبد القادر حمزة

كل الذين قرأوا شيئاً من الفلسفة العربية يعرفون أنها كلها تقريباً منقولة في الاصل عن الفلسفة اليونانية، وأن القليل الذي لا يكاد يذكر منها هو الذي نقل عن الحكمة الهندية والحكمة الفارسية. كما يعرفون أن العرب كانوا في هذا النقل مثلاً عالياً لصفتين شريقتين هما الصراحة والامانة. فأما الصراحة فهي أن العرب لم ينتحلوا شيئاً ليس لهم بل نقلوا الفلسفة اليونانية معزوة كل كلمة منها الى صاحبها ولم يدعوا لأنفسهم إلا الشيء الذي زادوه عليها. وأما الامانة فهي أنهم بذلوا جهداً كبيراً في تحري الدقة والتوسع في جميع ما نقلوه، حتى كانت الفلسفة اليونانية لا تعرف في أوربا في العصور الوسطى وفي أول عصر النهضة Renaissance إلا في الكتب العربية، ولم تدرس في كتبها اليونانية إلا بعد ذلك

وللرئيس ابن سينا كتب عديدة كلها ترجمة لآراء الفلاسفة اليونانيين وخاصة آراء أرسطو الذي يسميه العرب « المعلم الاول ». ولابن رشد عشرات من الكتب كلها كذلك ترجمة لآراء أرسطو وما نخص بالذكر هنا ابن سينا وابن رشد الا لانهما أكبر فلاسفة العرب، والا فالحقيقة أنك لا تجد واحداً من الذين اشتغلوا بالفلسفة في العرب الا ومن محصوله العلمي نقل عن هذا أو ذاك من فلاسفة اليونان. وكتب ابن رشد عن أرسطو هي التي نقلها بعض تلاميذه - بعد أن نكبه المنصور - الى أوربا فترجمت فيها الى اللاتينية ومنها عرف الاوربيون في ابتداء نهضتهم أرسطو وآراءه. فاستمروا يدرسون فيها هذه الآراء زمناً طويلاً الى أن اهتموا بعد ذلك الى كتب أرسطو في لغته ومعنى هذا أن المدنية العربية حملت الفلسفة اليونانية في جوفها معزوة الى أصحابها حتى أدتها بعد ذلك الى المدنية الاوربية. فكانت في هذه التأدية، كما قلنا، مثلاً عالياً للصراحة والامانة، وكانت خدمتها للمدنية اليونانية لا تقدر. ولسنا ندرى ما الذي كان يحدث لو أن المدنية العربية كانت غير صريحة ولا أمينة فنقلت ما نقلته عن أرسطو وأفلاطون وسقراط وسولون وأرسيميدس وغيرهم فلم

تعزوه اليهم ولم تذكر أسماءهم بل ادعته لنفسها وصاغته صياغة أخرى مبالغة منها في إخفاء المصادر التي أخذت عنها . لسنا ندرى حينئذ هل كانت المدنية الحديثة تعرف الفلاسفة اليونانيين كما تعرفهم الآن وتعرف كل واحد منهم بأرائه ، او كانت تجهلهم فلا يبقى مذكوراً منهم ومن آرائهم الا شيء مبهم كالذي يذكر الآن عن حكماء المدن القديمة الفارسية والكلدانية والهندية والصينية وغيرها !

وانما نقول هذا لانه كان قد جاء وقت طويت فيه أسماء الفلاسفة اليونانيين وطويت فيه كتبهم حتى في اليونان نفسها . وما تنبه الاوربيون اليهم إلا بعد ان اطلعوا على الكتب العربية مترجمة الى اللاتينية ، فلو أن هذه الكتب لم تذكر الفلاسفة اليونانيين ولم تنقل آراءهم نقل صراحة وامانة لكنت النتيجة أن يتأخر على الاقل تنبه الاوربيين اليهم مائة سنة أو مائتين أو أكثر . ولا يعلم أحد ما يمكن حينئذ أن يصيب كتبهم في هذا الزمن ، فقد كان ممكناً أن تذهب الحوادث بجزء منها أو بها كلها كما ذهبت قبل ذلك بعلوم المصريين

ذلك ما فعلته المدنية العربية مع المدنية اليونانية . والان فلنرجع الى الخلف قليلا ولننظر ماذا فعلته المدينتان اليونانية والرومانية مع مدنية سبقتهما هي المدنية المصرية

يقدر بعض الباحثين الزمن الذي استمرت فيه المدنية المصرية من وقت نشوئها في عهد الملك مينا الى أن انطفأت آخر شعلة من نورها على يد الرومانيين ، بنحو أربعة آلاف سنة . ويرى الدكتور جوستاف لوبون في كتابه « الحضارة المصرية » أن التقدير الصحيح يجب أن يكون أكثر من هذا لان هذه الاربعة آلاف سنة تبتدىء من وقت يقول التاريخ ان مصر فيه كانت عزيزة الجانب ، وتدل آثاره التي ما تزال باقية على أن المصريين فيه كانوا أهل علم راق وصناعة راقية ، ولا يقبل العقل أن يكون هذا العلم وهذه الصناعة قد وجدا فجأة ، فلا بد لهما من زمن تدرجا فيه بعد ان تمهدت لهما الاسباب . واذن يكون هناك في رأى جوستاف لوبون عصر من المدنية المصرية سابق على العهد الذي نعرفه مبتدئاً بحكم الملك مينا . وهو عصر جهلناه لان التاريخ لم يحدثنا بشيء من أخباره

وكما كانت المدنية المصرية طويلة العهد ، كانت طويلة الاحتضار حتى لقد شهدت في احتضارها هذا مدينتين : احدهما المدنية اليونانية من نشوئها الى نضجها الى سقوطها ، والثانية المدنية الرومانية من نشوئها الى بلوغها الاوج على يد يوليوس قيصر . وكانت النكبات التي حلت بها والحروب والغزوات التي عانتها وحوادث النهب والتدمير والاحراق التي تناولتها عديدة طويلة ، لم تقض فقط على مدينتها بل قضت فوق ذلك على العلوم التي قامت بها هذه المدنية . ثم تبدلت لغة المصريين بعد هذا فانقطعت الصلة بينهم وبين ماضيهم ، ثم نسيت اللغة القديمة حتى ماتت ولم يبق من يعرفها فانقطعت الصلة بين العالم كله وبين المدنية المصرية وعلومها ، ولم يبق من هذه المدنية غير آثارها يراها الناس فيحكمون بانها كانت مدنية علم راق ولكنهم لا يعرفون من هذا العلم شيئاً

ومع أننا عرفنا الآن اللغة المصرية القديمة فاننا لم نقف على شيء يستحق الذكر من علوم المدنية

المصرية . وقد قال الدكتور جوستاف لوبون في ذلك : « لم يؤلف كتاب عن مصر الا وفيه اطراء عظيم لمعارف المصريين . ولكن اذا أريد تجديد مدى هذه المعارف بالدقة أعوزت المصادر والمستندات . فالأكتفاء ببعض صحف امر لا بد منه لان الكتابة المستفيضة في علوم المصريين تقرب من الحال » ثم قال في موضع آخر : « لم يبق لنا من علوم المصريين الا ما دون في اثنتين او ثلاث من ورق البردى ، وهو بسط لمبادئ أولية يرجح أنها كانت للتعليم في مدارس الاطفال . ولكننا اذا حكمنا على علم المصريين بآثاره ونتائج لم يسعنا الا ان نقول انه كان بالغاً الغاية القصوى في التقدم »

فعلوم المدنية المصرية غير معروفة . والعلماء والمفكرون في هذه المدنية التي سادت العالم أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، والتي استمر احتضارها عدة مئات من السنين لا يعرفهم الناس كما يعرفون كتاب اليونان وفلاسفتهم كلا منهم باسمه ورأيه والعلم الذي نبغ فيه . واذن نسأل ماهو موقف المدنية اليونانية في هذا وهي التي جاءت تالية للمدنية المصرية ونشأت وقت احتضارها ؟ هل فعلت ما فعله العرب معها فحملت علومها الى الذين يأتون من بعدها أم لم تحمل شيئاً ؟ وان كانت لم تحمل وكانت كتبها قد اغفلت العلوم المصرية والعلماء المصريين اغفالا تاماً فهل ذلك ناشئ من أنها لم تتصل بالمدنية المصرية ولم تستق شيئاً منها أم هي بالعكس اتصلت بها واستقت منها جميع عناصرها الحيوية ولكنها مع ذلك أغفلتها ؟

يمر الانسان بكتب الفلاسفة اليونانيين جميعاً فلا يجد فيها شيئاً يسمى علوماً مصرية وعلماء مصريين ، بل يجد آراء مبسوبة في كل علم وفن على انها ابتكارهم وابتكار مدنيته لم يستندوا فيها الى شيء سابق . ولم يخالف هذه القاعدة فيما نعلم الا اثنان هما هيرودوت الذي يلقب أبا التاريخ وديودور الصقلي . وهذان مؤرخان عاشا في الزمن الذي كانت المدنية المصرية فيه تحتضر . وقد الف كل منهما كتباً في التاريخ فكان من الضروري أن يعرضا لمصر . وقد عرضا لها فعلاً ولكن على أنهما مؤرخان يعنيهما ذكر الملوك والحروب وشيء من عادات الشعب وأوصاف البلاد الجغرافية ولا يعنيهما شيء من العلماء والعلوم

ولهذا فان قارئ مؤلفات نوابغ المدنية اليونانية كارسطو وافلاطون وسولون وفيثاغورث وارشميدس وغيرهم يتخيل أن المدنية اليونانية أول عهد العالم بالعلم الصحيح ، وأن المدنيات التي سبقتها لم تعرف هذا العلم على أي وجه من الوجوه . ونظن أنه يكفي أن يفكر الانسان قليلاً ليعلم أنه يستحيل أن يكون اليونانيون قد أنشأوا علومهم وفلسفتهم كلها من عند أنفسهم ، ولكن هذا ليس موضوع بحثنا الآن وانما موضوع البحث هو موقف الفلاسفة والعلماء اليونانيين من علوم المدنية المصرية ، وهذا الموقف يتلخص في أنهم اغفلوها ولم يشيروا اليها في شيء مما كتبوه

بقي ان نعرف هل سبب هذا الاغفال أنهم لم يتصلوا بالمدنية المصرية ولم يستقوا من علومها ؟ أم هم بالعكس اتصلوا بها واستقوا منها ولكنهم مع ذلك أغفلوها ؟

تتابع المدينة اليونانية من أول نشوئها فنرى في هذا النشوء رجلين بارزين : أحدهما سولون
Solon واضع القوانين والنظم لحكومة أثينا وقد عاش من سنة ٦٤٠ الى سنة ٥٩٩ قبل الميلاد،
والثاني تاليس المليطى Thales de Milet أول وأقدم فيلسوف يونانى، وقد عاش من سنة ٦٤٠ الى
٥٥٠ قبل الميلاد. فى ذلك الوقت كانت اليونان كالطفل الذى أخذ يحبو أو كالزهرة التى بدأ نباتها
يظهر. فأين تعلم سولون وتاليس المليطى ؟ وفى أى المدارس تتقفا وعلى أى الاساتذة تخرجا ؟

يقول التاريخ الذى لا شك فيه إنهما تعلما فى مصر فى مدرسة عين شمس . وفى ذلك يقول
شمبوليون صاحب حجر رشيد بعد كلام عن الذين تخرجوا على الاساتذة المصريين : « . . . تعلم بها
(أى بمصر) أيضاً سولون وتاليس المليطى كل ما علماه لليونانيين . . . »

وتاليس المليطى هذا هو واضع الفلسفة القديمة التى تقول ان اصل الكائنات عنصر واحد بسيط
هو الماء، وهى فلسفة ظلت رائجة حتى جاء امبدكليس Empedocles (٤٩٠ - ٤٣٠ ق. م.)
فعارضها وقال بالعناصر الاربعة الماء والهواء والنار والتراب

ندع هذا وننتقل خطوة أخرى فنصل الى فيثاغورس Pythagore (٥٤٠ - ٤٩٠ ق. م.) وهو
رجل من اهل جزيرة ساموا نبغ فى الرياضة والفلك نبوغا سوف يبقى به اسمه خالداً الى الابد.
وقد قال بكونية الارض وعالج فهم نظام الكون، فقال انه على شكل كرة فى مركزها النار وان
اجراما عشرة تدور حول هذه النار : اولها الارض ثم القمر ثم الشمس ثم الخمسة المتحيرة (أى
الكواكب السيارة) ثم النجوم الثوابت. وجميع هذه الاجرام تدور حول النار المركزية. فلو انك
وضعت فى هذا النظام الشمس بدل النار لوجدت فكرة كوبرنيخ التى تعد من اعظم اكتشافات
العصر الحاضر

فأين تعلم فيثاغورس هذا وعلى يد من تخرج ؟

اجاب شمبوليون عن هذا السؤال فقال ما يأتى حرفياً : « تعلم فيثاغورس بمصر كل ما استطاع
معرفة » وفى الواقع ان التاريخ الذى لا شك فيه يقول لنا ان فيثاغورس تعلم فى مصر بمدرسة عين
شمس . ولم يستمر تعلمه فيها سنة أو سنتين او خمسا او عشرأ وانما استمر اثنتين وعشرين سنة . ثم
غادرها بعد ذلك الى ايطاليا وجعل يكتب مؤلفاته فلا يقول فيها ان اساتذته فى مصر علموه
شيئا وانما يقول انه هو يرى كيت وكيت

نتقدم بعد ذلك خطوة اخرى فنصل الى ديمقراطيس Democretie فى القرن الخامس قبل
الميلاد . وهو أحد الفلاسفة المعنودين وأول من عارض القول بان المادة قابلة للتجزئة الى مالا نهاية
له وقرر وجود الجزء الذى لا يتجزأ أو ما سمي فى الفلسفة العربية الجوهر الفرد

فأين تعلم ديمقراطيس هذا وعلى يد من تخرج ؟ تعلم فى مصر كما تعلم زملاؤه السابقون
ونتقدم خطوة أخرى أيضا فنصل الى أفلاطون Platon (٤٢٩ - ٣٤٧ ق. م.) كبير فلاسفة

اليونان واستاذ أرسطو وصاحب الفلسفة المعروفة باسمه والتي مازالت تدرس الى اليوم . قد يقول قائلون انه تلميذ لسقراط Socrate متخرج على يده ، ولكن كلا ، فان أفلاطون لم يلازم سقراط إلا بعد أن كان قد تعلم وصار جديرا بان يسمى زميلا له لا تلميذا . أما البلاد التي تعلم فيها فهي مصر ، وأما المدرسة التي علمته فهي مدرسة عين شمس ، وقد قال شموليون في ذلك : « »
إننا نعرف اسماء الاساتذة الذين تلقى عليهم أفلاطون بمصر علمه في مدرسة هليوبوليس ،

فأفلاطون تلميذ مصر لا تلميذ سقراط ، وقد كتب مؤلفات تعد بالعشرات ولكنه لم يذكر منها شيئا عن علم عرفه في مصر ولا عن أساتذة عرفهم من المصريين

وخطوة أخرى فنصل الى ارشميدس Archimedes (٢٨٧ - ٢١٢ ق.م .) أكبر المكتشفين الرياضيين في المدينة اليونانية ومخترع المنجنيق ، والآلات الرافعة للثقال ، والطنبور ، والمرايا المحرقة التي يقال انه احرق بها الاسطول الروماني عندما كان يحاصر وطنه سرقوسة . هو أيضا تعلم علمه كله في مصر ، ولكن في مدرسة الاسكندرية . ونلاحظ أن المدينة اليونانية كانت في ذلك الوقت قد بلغت أوجها فأخرجت أفلاطون وارسطو ومع ذلك لم يقصد اليها ارشميدس ليتعلم فيها وإنما قصد الى مصر

واذ قد ذكرنا مدرسة الاسكندرية فان هذه الكلمة الموجزة لا تتسع لذكر أسماء العشرات من العلماء اليونانيين الذين تخرجوا فيها . فلا محيص لنا من أن نكتفي بالإشارة الى بعض البارزين منهم . فمن هؤلاء اقليدس Euclid المعروف عند العرب باقليدس الصوري وهو صاحب كتاب « الاصول » الذي ترجمه العرب والذي يعتبر أساسا للهندسة . وابلونيوس Apollonios صاحب كتاب « المخروطات » الذي ترجمه العرب وهو من الاسس في علم الهندسة أيضا . وبطليموس Ptolémée الذي يسميه العرب بطليموس القلوزي ، وهو عالم رياضي وفلكي الف كتاباً وصف فيه السماء وآلات الرصد ومساحة المثلثات المستقيمة الخطوط ، وقد ترجمه العرب ومنه صنفوا كتاب « المجسطي » الذي كان مادة الدراسة في جامعات أوروبا في العصور الوسطى . وايروستينس Erototheses وهو أول من قاس محيط الكرة الأرضية بواسطة قياس الدرجات بين الاسكندرية واسوان فوجده ٤٢ الف كيلو متر وهو غير بعيد من الحقيقة . وايرخس Hipparchis المشهور بخريطته التي وضعها للنجوم . وتسبيوس Ctesibius مخترع السيفون والمضخة الكابسة ومضخة الحريق . وهيرون Heron أول مفكر في صنع الآلات البخارية وقد صنع آلة منها فعلا . واريستارك Aristarque de Samos أول القائلين بان الارض كوكب من كواكب النظام الشمسي وان الشمس مركز تدور حوله الكواكب الاخرى . وتيوفراست Théophraste الذي يعتبر أول واضع لاساس علم النباتات فهذه كما ترى سلسلة طويلة من العلماء اليونانيين جاءوا كلهم مصر فدخلوا مدارسها وتعلموا علومها وكانت هذه العلوم هي التي جعلت منهم بعد ذلك علماء وفلاسفة . فليس لقائل أن يقول ان

اليونانيين لم يتصلوا بالمدينة المصرية وانهم من أجل ذلك أغفلوها . اذ الحق انهم لم يتصلوا بها فقط وانما استقوا منها كما استقى منهم العرب بعد ذلك . فلو انهم فعلوا ما فعله العرب معهم فحملوا العلوم المصرية في كتبهم معزوة الى أصحابها والمبرزين فيها لانتقلت منهم الى العرب ثم من العرب الينا بعد ذلك ننقل الآن إلى المدينة الرومانية لنترى كيف كان مسلكها نحو العلوم المصرية . نشأت المدينة الرومانية في الوقت الذي كانت فيه المدينة المصرية تلفظ نفسها الاخير . ويقول بعض المؤرخين ان الحرائق التي أشعلها يوليوس قيصر في الاسكندرية هي التي دمرت مكتبتها الكبيرة التي كانت تحوى من اوراق البردى ما يشتمل على كل علوم المصريين ، وينفى الاستاذ برشيا الآن هذه التهمة عن يوليوس قيصر في كتابه الذي وضعه منذ سنوات عن الاسكندرية وتاريخها . ولكن الذي يهمنا هنا هو أن المدينة الرومانية وان كانت قد نشأت في الجزء الاخير من عهد المدينة اليونانية الا أن نشوءها هذا شهد احتضار المدينة المصرية وشهد على الخصوص مدرسة الاسكندرية

ولما بلغت المدينة الرومانية اوجها كانت مدرسة الاسكندرية قد دمرت وكانت دور الكتب المصرية قد أحرقت وكانت اللغة المصرية نفسها قد دخلت في دور الاحتضار

ولم يكن اتصال المدينة الرومانية بالعلوم المصرية وثيقا كما هو الشأن مع المدينة اليونانية . ولكن مما لا شك فيه أن الرومانيين كانوا ينظرون في ذلك الوقت الى مصر باعتبار انها بلد العلم والحضارة ، وكانوا يرون مجدها كأنه لا يزال حاضراً أمام أعينهم فلا يقبل العقل الا انهم اخذوا منها واقتدوا بها في تأسيس مجدهم اساسه العلم والحضارة

وقد كان القانون الرومانى من اعظم مخلفات المدينة الرومانية من العلم اذا لم نقل انه اعظمها جميعا ، فانظر مايقوله فيه الاستاذ ريفيو (١) احد العلماء الذين كتبوا عن مصر . قال : « ان كل ما يسمى قانونا في وصايا الالواح الاثني عشر انما اخذ من قانون مصر . حقوق الافراد وحقوق الامم التي يتكلم عنها المشرعون الرومانيون وحق المدينة لم تكن من مخترعات عقولهم بل من الحقوق التي وضعت من قبلهم . والمستندات الكثيرة والنصوص والوثائق القضائية التي وصلت اليها من مصر وكلدة تدل على ان المصريين والكلدانيين هم الذين ابتدعوا تلك القوانين من آلاف السنين ، عدا انهم اساتذة الاغريق وائمتهم وقودتهم في كل امور المدينة »

ومن هنا يمكننا ان نعرف ان مسلك المدينة الرومانية مع العلوم المصرية لا يختلف عن مسلك المدينة اليونانية

وهذا المسلك يتلخص في ان هاتين المدينتين اتصلتا بالمدينة المصرية واخذتا من علومها كل عناصر حياتهما ولكنهما تجاهلتاها . وبحسبنا ان نكون قد اثبتنا هذا التجاهل لاننا لا نريد غرضا آخر

(١) نقلنا هذا عن الدكتور جوستاف لوبون في كتابه « الحضارة المصرية »

يا زمان !

للاستاذ فهد الدين الزركلي

متى ترى ، تبسم لي ، يا زمان ؟
ألا حنان !
أسلمتني ، لا أنس لي ، لا أمان ،
للحدثان !
عيناي - لما تبرحا - تجريان ،
نضاًختان !
أبكي ربوعاً لا تطيق الهوان ،
رهن امتهان !

أبكي دياراً خلقت للجمال
أبهي مثال
أبكي ثراث العز ، والعز غال
صعب المنال !
أبكي نفوساً قعدت بالرجال
عن النضال !
أبكي جلال الملك كيف استحال
إلى خيال !

مالرحابي ورجان الرحاب
أضت يباب !

ما لبنِها ، كلمهم في اكتباب
أسرى عذاب !
أين أولو طعانِها والضِراب
أين الحِراب !
ما بالُ شيبِ عُرْبِها والشباب
غيرَ غضاب !

ضاعتُ بلادِي يا زمان الصَّغارُ
والاندثارُ !
الناسُ يبنونَ ، وما في الديار
غيرُ الدَّمار
أما ترى الغربَ تعلَّى وطار
فوقَ البحار
وأمتي هاوية في انحدار
بئسَ القرار !

يا زَمَنَ الشُّومِ ، سقيتَ الشَّامَ
كأسَ حَمَامٍ !
القبلتان اشتكتا ، والمقام !
مما نسام !
إلى متى نبقى أسارى انقسام
ونستضام ؟
مصر تناجيك ودار السلام :
مل المقام . . ؟

بأي ميزان تزن الحياة^(١)

بقلم الاستاذ توفيق دياب

اخواتي واخوتي

ذلك السر الغامض الذي يبدأ بالميلاد وينتهي بالوفاة ، ذلك السر الغامض الذي نسميه الحياة ، ونرى أنفسنا في غماره متدافعين الى الامام أو متراجعين الى الوراء ، ذلك البحر الخضم الذي تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبجنا فيه شوطاً قصر أو طال ، نزعنا منه تلك القوة الخفية حين يحل الأجل ، هذه المعركة التي نساقي اليها غير مختارين ، ونفصل عنها غير مختارين ، هذه الحياة ما هي ؟ وما غايتها ؟ ولماذا ولدنا ؟ ولماذا نموت ؟

ليت أحداً يستطيع الجواب عن هذا السؤال في كلمة أو كلمات . إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة في كنه الحياة . فقدماً كان . وإلى اليوم ما زال هذا السر الرهيب موضوع البحث الملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين . وليس عجباً أن يفكر الفلاسفة في مرمى الحياة ، وإنما العجب أن لا يفكر في مرمى الحياة جميع الناس !

نولد أجنة وندرج أطفالاً وننشأ صبية ونراهق فتیاناً ونستوى رجالاً ونبلغ الكهولة وتدركننا الشيخوخة ، ان قدر لنا أن نعلم ، ثم ماذا ؟ ثم تجف الشجرة وتذوى الازاهير ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس أخير نلفظه فإذا نحن رفات ! وذلك دون أن نفكر يوماً لماذا ولدنا ولماذا حينئذ نموت ، ودون أن نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود ، وهل جئنا من عدم لنعود الى عدم أو جئنا من وجود لنعود الى وجود ؟

وأنت مع ذلك إذا أخذت سنة من النوم ، ثم استيقظت فوجدت نفسك في غرفة لا عهد لك بها فلن تستقر على حال من الدهش ، حتى تعرف ما هذا المكان ومن ذا جاء بك اليه وكيف جاء بك ولماذا ؟ ستطل من نوافذ الغرفة لترى على أي حديقة أو فناء تشرف ؟ ستفتح الباب فان كان موصداً عاجلته حتى يفتح أو يتحطم . فإذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر يمنة ويسرة في ذهول وحيرة ، ثم جعلت تطوف بأرجاء الدار سائلاً نفسك أين أنا وما هذه الدار ولمن هي وفي أية مدينة ؟ ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هي أشبه ما تكون بالمرضات ، فتنبئك بأن هذه الدار - عافاك الله - مستشفى وأن إغماءة طارئة غشيتك فخاف عليك والدك فاسرع بك إليه ، حتى اذا بشر الطبيب أباك بأن الأمر هين لا خطر فيه ، أثر لك

(١) من محاضرة القاها صاحب (الجهاد) في دار جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة

الاقامة هنا أياماً الى أن تستعيد صحتك فترجع الى دارك سليماً معافى !

حينئذ تدرك حقيقة المكان ومن جاء بك اليه وما السبب ! فاذا عرفت أن الغاية هي استشفائك مما بك ، لم يزدك علمك بهذه الغاية الا أخذاً بأسبابها واستيفاء لشرائطها ، حتى يتم لك منها ما أرادته والدك وما أصبحت تريده لنفسك

هذا شأننا من الدهش والتساؤل اذا طوحت بنا الطوائج الى مكان نجعله ، فما بالناس تبعثنا الى هذه الدنيا قوة خفية على غير قصد منا ولا اختيار ثم تتوفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا اختيار ، ونظهر ونختفي على سطح هذا المحيط الهائل ، كالفقاع تنفخ وتنفجر في مثل لمح البصر دون أن يأخذنا دهش يدعونا الى الحيرة والتساؤل والتفكير !

لماذا بعثتنا القوة الخفية القادرة الجبارة الى هذه الدنيا ؟ النقض في هناها أو عناها . في صحتها أو مرضها . في غناها أو فقرها . في عدلها أو ظلها . في إختائها أو لددها . في رفقتها أو جفائها . أو في مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاماً اذا طال بنا العمر ؟

وما ستون أو سبعون عاماً في امتداد الأزل الذي لا أول له ، وفي امتداد الابد الذي لا نهاية له ؟ إن العلماء ليحصون السنين التي سلختها الانسانية على هذا الكوكب بالملايين لا بالالوف . ويقدرّون لها البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الأحصاء ؟ فما أنا وما انت ، وما نصيبى وما نصيبك من هذا السرمذ الذي تحارفيه الألباب ؟ ذرة ضئيلة من جبل أشم . قطرة هينة من محيط مترام واذن فما حياتك وما حياتى وما حياة هذا الجيل كله وما حياة الامم الحاضرة كلها . حتى نجعل موضوع هذه المحاضرة (باى ميزان تزن به حياتك ؟)

ان التاريخ المدون او المكتوب لا يعدو ستة آلاف من السنين . وهى التى شغلت اقلام المؤرخين . وهى التى ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات . وارتقت امم وانحطت امم . وهى التى وقع فيها من المظالم والحروب وطغى فيها من الرق والاستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان ، واختلف فيها من طرائق الخير والشر ، وتعاقب فيها على الجماعات والافراد من السعادة والشقاء ، واطلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من المعارف والعلوم ما يضيق عن الاحاطة به مئات الألوف من المجلدات . وهذا كله تراث ستة آلاف من السنين . وماهى من ماضى الانسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب . وماهى من مستقبل الانسانية الذى لا تترامى الى حدوده عين الخيال — الا بمثابة الدقيقة الواحدة من الوف الاعوام

اذن أليس من الغرور أن أتكلم عن حياتك وحياتى وعن ميزان حياتك وميزان حياتى ؟ . ما حياتك وما حياتى اذا قستها بهذا المقياس الخفيف ؟ انك لو نظرت اليها بالميكروسكوب لعز على الميكروسكوب ان يكشفها لمن ينظر اليها من افق الأزل القديم والابد الخالد ألا تصدق ؟ اذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذى عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين

وسيعيش فيه احفادك ملايين أخرى لا يحصيها العد ، ان لم يصطدم به جرم سماوى آخر فاذا أرضك هباء في مثل قصف الرعد — الا تعلم ان هذه الارض بماضيها الزاخر ومستقبلها الباهر انما هى شظية تطايرت من الشمس كما تتطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر ، فجالت شرارتك في الفضاء حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمسى واستحالت حصاة (مستقلة ذات سيادة)

انا وانت وهو وهى وهم وهن آحاد في عداد ملايين الامة المصرية . والامة المصرية احدى العشرات الكثيرة من امم هذا العصر . وامم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع الى ماض لا يدرك الخيال مبتداه . وتمتد الى مستقبل لا يدرك الخيال منتهاه على هذه الارض . وهذه الارض شظية كانت ملتبة تناثرت من الشمس فدارت من نظام الكون حيث تدور ؟ فماذا عسى أن تكون حياتى وماذا عسى أن تكون حياتك ؟ لاسيا وانت تعلم ان نظامنا الشمسى ليس إلا واحداً من نظم كثيرة تماثله ، لو أطلنا التفكير في كنهها وفي تلك القوة الخفية التى تسخرها لقضينا أعوامنا الستين أو السبعين في التفكير ، دون أن نزداد في تفهمها إلا ذهولاً وحيرة سيداتى وسادتى : هل تحملون منى كلمة جريئة ؟ اذن تفضلوا فاسمعوها :

اذا كانت الحياة هى الاعوام الستين أو السبعين التى نعيشها فى هذه الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هى التى بعثتنا لحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هى التى استدعتنا اليها لحكمة ، اذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، اذا كان مولدنا فى هذه الارض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، اذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لاسباب مادية لا أقل ولا أكثر ، اذا كانت أيامنا برزخاً تاعساً بين بلقيع : بلقيع الماضى قبل أن نولد ، وبلقيع المستقبل بعد أن نموت ، اذا كنا فى هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة ، اذا كان كل هذا العناء وهذا الكدح وهذه الآلام وهذه الأمراض وهذه الخطوب التى نشاهدها أو نحتملها أو نكافحها فى سبيل الانسانية ، اذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التى تسمو اليها الامم جيلاً بعد جيل ، اذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد ، هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاماً محدودة بحدين . عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق الى الأبد . ماعدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين ؟ — اذا كان الأمر كذلك فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون ان الانتحار أولى بهم وأجدر . اما أنا فلو كنت منهم لانتحرت . ان هذه الأعوام الستين التى يعيشها المرء فى هذه الدنيا لا تساوى فى ذاتها غصة الفقر ولا ذلة الحاجة عاماً واحداً . انها فى ذاتها لا تساوى برحاء المرض الممض نصف عام . انها فى ذاتها لا تساوى احتمال ظلم الظالمين ولا جبروت المتجبرين . ان المرء ليصادف فى هذه الأعوام الستين أو السبعين من

ضروب الأذى ما لا يحتمله إلا لشعور واحد، هو أن الحياة سر قديم خالد، لا حياة الجماعة
فحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر، جل في نفوس الناس أو هان
إذا سألت بعض علماء المادة الذين يرون حياة الفرد مسبوقة بعدم منتهية إلى عدم. إذا سألتهم
لماذا يعيشون؟ قالوا نعيش طوعاً لغريزتين: غريزة الحرص على بقائنا، وغريزة الحرص على
بقاء النوع. أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح في الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار
اللاذعة والحفرة العميقة. وأما حرصنا على بقاء النوع فواضح في الأم تسهر على ذرايحها.
والآب يعول أبناءه حتى ولو كانت الأم حيواناً اعجم

ونحن نفهم هذا التعلل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء. فأما وهم من أهل التفكير الذين
من شأنهم أن يرجحوا حكم العقل على اندفاع الغرائز، فقد كان الأولى بهم إذا لم يؤمنوا بأن
لحياة الفرد اتصالاً وثيقاً بالخلود، كان أولى بهم أن يدركوا هذه الأعوام القليلة التي ستسلبهم
عما قريب إلى الفناء، هذه الأعوام لا تستحق منهم عناء البحث والتنقيب في مظاهر كاذبة،
ولا تستحق منهم هذا العكوف على المعامل والآلات والمنظار المكبر والمنظار المصغر والتعليل
والتحليل والكدح بالليل والنهار، للوصول إلى حقائق مهما تكن في نظرهم جليلة فهي تافهة
مادامت هذه الخلائق الإنسانية - والسادة العلماء في طليعتها - كائنات تافهة تظهر اليوم من ظلام
العدم لتنتهي غداً إلى ظلام العدم. كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء وأن يقولوا للناس
فيم الكد وفيهم العناء في سبيل غاية مقفرة مظلمة، إلى العدم العاجل بيدك أنت أيها الإنسانية
مختارة طائعة. فذلك أكرم وأروح للبال من أن يحل بك العدم غير طائعة ولا مختارة

يقولون إن حياة الإنسانية شيء وحياة الفرد شيء آخر. حياة الفرد إلى العدم. فأما حياة
الإنسان فإلى البقاء. لذلك يندمون الإنسانية بالعلم والفن والأدب ليحجى الجيل اللاحق خيراً من
الجيل السابق. ولتجى الحضارة الآتية أعظم وأروع من الحضارة الماضية. وهذا في الحق
سخف عظيم! لأن معناه أن جميع الأجيال الماضية وجميع الأجيال الآتية كانت وستكون مجرد
عتبات ومدارج، أو مطايا وبراذع، يعلوها في النهاية آخر جيل تتمخض عنه الإنسانية. فإذا
استوى الجيل الأخير على قمة المجد لم يكن مجده خالداً، بل كان مجده زائلاً كذلك. ولو عمر
الإنسان الأخير بفضل العلم ألف سنة ثم ينقضى هذا الجيل الآخر بانقضاء صلاح الأرض للحياة.
وانتهت الدنيا إلى غايتها! وفنيت حرارة الشمس وانطفأ ضياؤها، واستحالت البحار جليداً
والشجر والنبات هباءً، وأمست الإنسانية عدماً مطلقاً إلى آخر نسمة فيها - ولم يبق للإنسان
المسكين حتى ولا الذكري. إذ منذاً يذكر الإنسان وقد انمحي من صفحة هذا الكون آخر
إنسان. وانمحي لا يسمو إلى عالم آخر ولكن ليبقى غريقاً في غمرات الفناء خالداً فيها أبداً
الآبدن

وحي جبال شاموني

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

شاموني أو شامونيكس (Chamonix) قرية من قرى مقاطعة سافوا العليا تقع في جبال الالب ترقب الجبل الابيض ويشرف هو عليها ، يقصدها الناس يصطافون فيها ويشتون . تنوع مناظرها فتنة وأشجارها الناطحة السحاب وصخورها صقلها الثلج من آيات الجمال الطبيعي كان الكاتب الانجليزي جون رسكن (John Ruskin) يلجأ اليها يستوحى غاباتها وجبالها رسائل في الاصطلاح الاجتماعي وقد انفق عليه وقته وماله فتأبى وتتمنع وتود عليه أن يكتفى بما وهبه الطبيعة من نبوغ في الفن والادب وكان يأوى أيام اقامته بالقرية الى صخرة يضطجع عليها تظله الاشجار موليا وجهه قبله الجبل الابيض حتى اذا قضى نجه نحت أهل القرية صورته من تلك الصخرة وعليها ودعوها صخرة رسكن ، وهي تعرف بهذا الاسم حتى الساعة

يتمتها وجلست عليها - وما انا من عشاق هذا الفنان - فما راغى الا هذه العظمة في الطبيعة وهذا الجمال ، وانصراف ابن آدم عنها الى لذة الجسد ومتاع الساعة ، وقد كتبت السطور التالية في ذلك الوقت جزءاً من رسائل بعضها نشر وبعضها لم ينشر وانى لا أعلم - وقد حاسبت ضميري - انها كانت أحسن ما كتبت ان وجد شيء حسن فيما كتبت بم أشبه هذا الجبل . وبماذا ينبغي أن يشبه ؟

كيف أصف ما في الجبال من عظمة ومن وقار ومن جمال يبدو لك وأنت بعيد عنه فيملاً خيالك اعجاباً ويصور لك هذا البعد الفن ممثلاً فيه ، فاذا ما اقتربت منه ودخلت حراجه وتسلفت صخوره ولمست اشجاره ، دعر خيالك اذ يرى الجمال والعظمة يذوبان رويداً رويداً امامه وينزلان من قمة التصور الى موطئ القدم

يبدو لك القريب الذي كان بعيداً وتظهر عيوبه . فالشجرة قد اعتراها اليبس والصخرة تفتت تراباً ، والارض منها المرتفع ومنها المنخفض شأنها في كل الطرق على غير الجبال فتبعد عن الجبل وقد ازدريته ثم تبدو منك التفاتة الى الورا فيعود يسحرك بجماله ويرجع فيأخذ عليك حواسك عظمة وجلالا انه اشبه الاشياء بالناطقة العبرى

تقرأ الشعر الخالد فتبني للشاعر قصراً شامخاً يكاد يمس عرش الآلهة ، فإذا قربت منه وخبرته
أو قرأته ودرست حياته رأيته بشراً مثلك له كل عيوبك وقد لا يكون له كل فضلك
وتسمع بالقادة الزعماء الذين استهوا الجماهير فساقوهم إلى الثورة أو إلى الحرب أو إلى الإصلاح
فيصور لك البعد عملهم كمالاً وقولهم حكمة وتبرز لك أشخاصهم متقنة الصنع أبدع ما أتقن الخيال . ثم
تتاح لك عشرتهم أو تطلع على سيرتهم الخاصة فإذا أنت أمام رجال مثلك يحبون ويكرهون ويفضون
ويرضون ويطمعون ويزهدون بل وقد يتسفلون حيث يعلو سواهم فتعود نادماً منكراً ما أعدته له
من حق في التصور وتزعم أنك أنت أولى بذلك منه

ذلك لان نظام الطبيعة في الاشياء وفي الاشخاص يأبى الوحدة — ماذا أقول ؟ بل يأبى التناقص
فالطبيعة تكره السكـال ولا تسعى اليه رغم مايقوله لنا علماء الاخلاق . بل هي تجمع ما تناقض
في واحد . فحيث الذكر هناك الاثـى وحيث السرور هناك الغـم وحيث العلو هناك الهبوط وحيث
الجمال هناك القبح

أرأيت إلى تلك الزهرة جميل لونها فاتح عطرها قائمة على سفح الوادى يحيطها المطر وتعتـشها
الشمس ، لا تلبث حتى ينهار عليها صخر من عل فإذا بها أثر بعد عين
لكل شـيء في الطبيعة ند يقاومه ولكل شـيء في الانسانية ثمن
إذا طمعت بالثروة فسعيت اليها وأجهدت نفسك فأحرزتها تفقر غيرك بل تفقر نفسك في
أمور أخرى

قد يتاح لك متاع المال ولكنك قد تحرم متاع الحب الطاهر أو الفكر النير أو رحمة
تبدلها للغير

افعل الشر تمل جزاءك من عملك بالذات وتر الخير قد برز من ناحية أخرى من نواحي
ما عملت

انما عقابك على عملك أو ثوابك عليه آت في دنياك كرهت أم رضيت . ولا تقس هذا الثواب
أو ذاك العقاب بمقياس عقلك فانك تفضل السبيل ، فعقلك ابن عاطفتك ووليد رغبتك لم يتح له ان يستقل
عنها بعد . فالقانون الذي يعاقب السارق على سرقة من السرقات بالحبس سنة واحدة وآخر على
سرقة أخرى بالحبس سنين — هل أصاب ووزع العدل بالسواء ؟ ألم تحرم الطبيعة السارق لذة الحياة
المطمئنة ولذة العمل ولذة الكسب منه ؟ دع عنك ما حرمه إياه القانون . فالطبيعة تكره السكـال
ولا ترضى عن عظمة تقوم الا ألبستها نقصاً . وكأن الانبياء اتخذوا من درسها صورة للخلود وللحياة
الأخرى وما وضعوا فيها من ميزان عادل يوزع الامر بين الناس بالقسطاس

نعم . انما تجزى كل نفس بما صنعت وكل شـيء بما هو عليه ليس في الآخرة فحسب بل في هذه
الدنيا أيضاً

فقاموس المقاصة يوزع على الناس وعلى الاشياء أقساطهم في حياتهم بله ما بعد الممات
صعود وهبوط . غناء وفقر . وموت وحياة . عذاب وسرور . هذه هي الطبيعة بل هذه هي الحياة
أمور تناقضت واجتمعت في شخص فسموه عقلا وعواطف وسموه الانسان . واجتمعت في شيء
فسموه جبالا وبحاراً وبردأ وحرأ وموتأ وحياة وسموه الطبيعة

☆☆☆

ما أشبه الحيل بالنابغة أو ما أشبه النابغة بالحيل ! في أن كلا منهما يحتوى كلما حوله
فليس الرجل بالعقري ان لم يضم في برديه كل آمال جيله وأمانيه وكل ماضى يومه وتقاليده
وكل مطمح لامته وكل مثل عال
تقرأ النابغة فترى انه ترجم فكرك وقال ما هممت أنت بقوله فلذا سارت أقواله
مضرب الامثال

وليس النابغة من يرتل الشعر فلا تدرك ما يقول أو يكتب فلا يعبر عن فرحك وحزنك
وعن أملك وعن شعورك - لا - انما النابغة من أخذ أبسط الأمور في الحياة فحكاها رأياً جامعاً
في ثوب لا يبلى ، او تناول اقرب الاشياء الى النفس فنطق بها فكراً حياً يعيش ابد الدهر
كذلك الحيل العظيم الفخم الجميل . انظر اليه - ألم يحو الصخور الكبير منها والمتحطم .
والاشجار الشامخ منها والضارب رأسه في الارض ؟ انه جمع الوحدات وضمها كلها ضمة واحدة حتى
تكاد تخاله مستقلاً عما حوى ، اذ يهرك وقار عظمته . وما هو الا هذه الحجارة وهذا النبات اتخذوا
شكله قالباً رفيع الشأن

☆☆☆

ايه جبال شاموني - تم لجأ اليك واستظل غاباتك غير الكاتب الانجليزى الذى خلدت ذكراه
من عبقرى ذائع الصيت او عبقرى صامت منزو او رجل عادى لم تر منه الطبيعة إلى فوق
المستوى فابقته ثابت الايمان وطيد الرجاء - وكلهم ينشد في خلوته على صخورك وتحت اشجارك
العزاء في احزانه او السلوة في شجونه او الهناء اذ عز عليه في الاندية البشرية
منهم من رأى في جوارك بعينه وبقلبه فارسل وحيه كتاباً خالداً يأخذه الآخرون ويتمتعون
به في نفس هذا الجوار

شكراً ايها الحيل الخالدة خلود ما توحينه إلى الناس - شكراً لى اياديك البيضاء على
وعلى الناس

مقتطفات

بقلم الاستاذ احمد رامى

الى مصر

إننى فى رباك فتحت عينيَّ فأبصرت أول الانوار
وسقاني النмир من نيلك العذ ب فروى تعطشي وأوارى
وغذاني ثراك فاشتد غرسى وصفا موردى وطاب قرارى
فيك اهلى وفيك مثنوى أبي البر ومفدى الخلصان من سمّاري
ونواحيك رددت ما افاض الش مر فى خلوتى من الاسرار
ومناحيك مسرح الفكر تجلو نخليالى ما لف التذكار
سمعت ضحكتي صبيّاً وأصغت لنواحي يجيش فى اشعارى

الى ام كلثوم

رنة العود شدوها وصداها حنة الناي أو أنين الكمان
خلقت آهة فكانت عزاء من هموم الحياة والاحزان

الجندي المجهول

كم يزور اليتيم قبرك ظناً أن تكون الابرفى الآباء
وتطوف الشكلى بمثواك زعماً ان تكون الاعز فى الابناء
ويلوب الاخ الحزين رجاء أن تكون الاخ الحبيب النائي
كلهم فاقد وانت فقيد وحد الحزن فى اختلاف الشقاء
جمعهم بك الامانى فأصبحه ت لهم مبعث الاسى والعزاء

المال

بقلم الاستاذ ابراهيم المازني

اوصاني أبي وأبوه وكل جد لي الى الشيخ آدم، أن أكنز المال، قالوا: والمال عصب الحياة بل هو الحياة، ولا قيمة لشيء في الدنيا بغيره، وليس بحى من ليس له مال، وغاية حظه أنه موجود في الدنيا ومحسوب في الأحياء - على التسامح، قالوا: ولا حرية لفقر، ولا حق لمعدم، ولا كرامة لمفلس، وإذا لم يكن للانسان مدخر حين يمد اليد حتى الى الأجر الذى عملت به، فقد خضعت رقبته لمعطيه حقه وهان عليه أمره، قالوا: وكن من شئت أو ما شئت أدباً أو علماً أو خلقاً، فليس بمجديك هذا فتيل ولا رافعك كثيراً أو قليلاً، إذا كنت فقيراً، وأحر حينئذ بالادب أن يكون من ذنوبك التى تحصى عليك، وبعلمك أن يكون مدعاة لكرهك أو استئثار ظلك، وبالخلق الذى أنت عليه أن يجر عليك الهزيمة والغمط والاستخفاف، ثم كن من شئت فراغاً أو جهلاً أو سوء خلق، فلن يضيرك هذا إذا كان لك مال، فانه شفيع لا يخيب، وستر لا يكشف، ودرع سميكة تقيك وترد عنك النصال مكسرة، ولا تصدق أن في دنياك عدلاً أو أن القوانين تكفل لك حقاً، أو أن كونك إنساناً يجعلك مساوياً لأى إنسان سواك. انما العدل هو المال، والحق هو المال، والمساواة هى المال. وعلى قدر مالك تكون الرغبة في انصافك، والاجتهاد في إعطائك حقك وتقديمك أو تأخيرك، ورفعك وحطك. بل نظرة الانسان الى الانسان ترق أو تجفو، وتدعو أو تطرد. وتكرم أو تهين، وترحب أو تغضى، ويلعب فيها نور البشر أو يفترها الملل أو يسودها النفور، تبعاً للمالهما. والمال يقلب المذام محامد، والفقر يعكس الآية ويقلب القضية

قالوا: ولا ديمقراطية ما دام ان في الدنيا شيئاً اسمه المال، لان المال يقسم الناس فريقين غنياً أى ليست به حاجة. وفقيراً أى به حاجة. ولا يستوى مستغن ومحتاج. وكل ما يحاوله الانسان من تنظيم حياة الخلق على قواعد الاشتراكية او الشيوعية او غيرهما مما يمكن أن يخطر له عبث وباطل ومحال. فاعرف هذا واجعل همك وكذك جمع المال وتكديسه فانه اجدى عليك من كل تعبك تحت الشمس

قالوا: وقد كان اليونان الاقدمون يزعمون في بعض اساطيرهم ان المرء بعد الموت ينحدر الى وادى الاشباح. وهناك يتلقى «اتروب» الموتى ويحصيهم. ويسلمهم الى «شارون» النوتى

ينقلهم على زورقه ويعبر بهم نهر « ستيكس » - او نهر النسيان اذا شئت - الى حيث يحاسبون .
والنقل على الزورق بأجر ولا بد ان يؤدي الميت هذا الاجر الى شارون النوتي . والا امتنع
عن نقله . وتركه معلقاً بين الدنيا والآخرة

فحتى الآخرة فيما تصف هذه الاساطير الاغريقية يلقي فيها ذو المال التيسير ويشقى فيها
الفقير ، فاعرف هذا ولا تنسه

والمال هو الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، والشرف والضعف والكرامة والمهانة والقوة
والضعف والقدرة والعجز . ولا تصدق من يقول لك غير ذلك . جرد الدنيا من المال تمنح
كل هذا ، وتترك الحياة باهتة مسيحة لا لون لها ولا طعم ، ولا طماح فيها ولا سعى ، ولا شيء
من المغريات بهما . وقد اضنى الفلاسفة عقولهم في البحث عن اصل الخير والشر وغير ذلك .
والاصل تحت اعينهم . وهل ثم اصل غير المال ؟ ومن كان يرتاب في ان الامر كذلك ، فما
عليه إلا ان يتصور الدنيا - إذا وسعه ذلك - وقد خلت من المال . فكيف يراها تكون ؟ وإلى
أى حال يرتد الناس ؟ وعلى أية قاعدة من الاخلاق او سواها تقوم العلاقات بينهما . وعلى انه
لا حاجة لأحد ان يرهق نفسه ويكلفها ان تتصور هذا الذي يكاد يستعصى على الخيال . وبحسب
من شاء ان يفكر في أية خلة من خلال الخير او الشر في ارتباط المال بها واثره فيها . فان
التأمل حقيق ان ينتهي به الى الايقان بأن المال - كائنه ما كانت صورته - يوشك ان يكون هو
الذي اتاح للفضائل والرذائل وللخير والشر فرصة « التسمى » واعانها على البروز بعد ان
هيا لها ان تعرف بأسمائها . ولا شك ان المال لم يخلق في النفس الانسانية نزعاتها وعواطفها
ولكنه هو الذي اكدها واطهر الكامن فيها . واقام المعالم ورسم الحدود واحوج الانسان
الى النظام والتشريع

وأذكر على سبيل التمثيل ان « ليكرج » المشتري الاسبرطي ، فطن الى فعل المال واثره في
الحياة وفي عادات الناس ونفوسهم وعلاقاتهم ، فعمد الى الذهب والفضة فنفاها وامر ألا تسك
من هذين المعدنين الساحرين نقود ، وان تتخذ العملة من الحديد وجعل القيم خسيصة . فكانت
للقطعة الضخمة التي يعي بحمل ثلاث او اربع منها الرجل القوى ، لا تساوي شيئاً يستحق الذكر .
فكان أن كف الناس عن ادخار المال لان الكوم من هذا الحديد لم يكن يعدل قطعة صغيرة من
الذهب ، وانصرفوا عن البذخ والترف في معيشتهم ، إذ كان الحديد لا يقتنى ولا هو يشتري شيئاً ،
ولم يبق هناك ما يستحق ان يسرق فبطل التلصص وانقطع السطو وامتنعت الخيانة وما الى ذلك
وزال التحاسد لان الغنى والفقر صارا اسمين لا حقيقة لهما ولا فرق بينهما اذا اعتبرت الواقع ،
ووقفت التجارة في حدود البلاد وما وراها - وعلى القاريء ان يتم الصورة ويلونها اذا وسعه
ان يهتدى الى الوانها

وقد اتخذت النقود وما إليها في أول الأمر وسيلة لتسهيل المبادلة والمقايضة وما تزال كذلك إلى يومنا هذا . ولكنها صارت تطلب لذاتها وتجمع وتدخر رغبة فيما تفيده من الاقتدار والشعور بالاطمئنان والكرامة والجاه والسطوة . فتسابق الناس إليها وتهالكوا عليها وانقلبت غرضا يطلب ويسعى له . وإن كانت قد ظلت مع ذلك وسيلة إلى ما وراءها مما تعين عليه . وهذا التهاك العنيف على المال واقتنائه هو الذي أظهر الكامن في النفس الانسانية وكشف عن المستور ودفع به إلى السطح وأطفاه على اللجة ، كالبحر لا ترى منه وهو ساكن غير صفحته المصقولة حتى إذا جاش وأربد قذف بما في جوفه من طيب وخبيث

قالوا : وليس أقوى من المال إلا القدرة على الاستغناء عنه . فمن كره أن يحشد المال ويشد به أزره ويقوى به ساعده فلينفذ منه يده . ولما كان المال هو كل ما في الدنيا مما ترضى عنه وتتسخطه وتجله وتحقره وتفرح به وتحزن له ، فنفض اليد منه معناه ومؤداه نفوذ اليد من الدنيا نفسها . وإذا كان المال قوة فإن أقوى القوة أن تستغنى عن القوة . والزاهد الذي يصفى نفسه ويخنق شهواتها ويقتل أهواءها ويروضها على الاستغناء عن كل ما يطلبه الناس ويسعون له - هذا يخلق من روحه قوة تربي على قوة المال ولا تبالها

قالوا : أما أن تغنى أو تزهد وإلا عشت محتاجا إلى الناس - والناس من تعرف كذلك أو صانئ أبي وإبوه وأجدادى إلى آدم

الشاعر

شاعر يطلب السمو على أجنحة	الشعر في سماء الخيال
ويرى المجد في الخلود بما غنى	فغنى به فم الأجيال
صوته من فم الطبيعة ينساب	أنسياب الحياة في الأوصال
كيف تفنى انغامه وهى في الكون	نشيد من لحنه السيل

أحمد رامى

(١) محور الادب

بقلم الاستاذ مخايل نعيمه

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
هو الانسان - عبرة العبر وحيرة الخير ، يحىء من حيث لا يدري ، ويمضى حيث لا يدري .
يحل هذه الارض ردها من الزمن فيبهه جلال ما يرى ويسحره جمال ما يسمع . فوقه نجوم
لا تعد . وحوله فضاء لا يحسد ، وخلفه وأمامه حياة ترتدى كل لحظة برداء . فصول تعقب
فصولا ، وأجيال تلحق بأجيال . نهار تبتلعه ظلمة . وظلمة يمحوها نهار . ولادة وموت ، وموت
وولادة . وبين الولادة والموت أشواق لا تنطفئ حتى تلتهب . وآلام لا تسكن حتى تهيج .
وسعادة لا تورق حتى تذوى . وعطش لا يرتوى حتى يعود . وجوع لا يطمئن حتى يشور
هو الانسان - أحجية الاحاجي . منذ راودت نفسه اليقظة حتى اليوم وهو فى صراع مستتب
مع الطبيعة . لا يصصرها مرة حتى تصرعه الف مرة . ولا يتغلب على عشرة من عثراتها حتى تقيم
فى سبيله الف عشرة وعشرة . ولا يرفع الغطاء عن سر من أسرارها حتى تباغته بالفساد وسر .
فهى غالبية أبدأ وهو مغلوب . ومن الغريب انه ، مع ضعفه الواضح وجبروتها الظاهر ، لا يزال
يصارعها . فلا هو ينثنى ولا هى ترحم . ولا هو يقر لها بالغلبة ولا هى تسحقه فتستريح
منه وترىحه

فما السر فى حرب هذا « الحيوان المستحدث » مع كون ، ما هو بالنسبة اليها إلا حشرة
صغيرة ؟ تصرعه الحياة فلا يلبث حتى يعود منتصباً على ساقيه متحفزاً للوثوب . تجرعه من المرارة
ألوانا فلا ينقم عليها ولا يتركها الا قسر ارادته . وتنزل به من المصائب أشكالاً فيتحملها بثبات
وصبر . وتقيم فى وجهه من العقبات جبلاً فلا تثنيه عن سيره ولا تثبط عزيمته
ان « حيوانا » ، ثبت فى جهاده مع الكون مثل هذا الثبات لحيوان وايم الحق غريب عجيب !
فما السر فى هذا الثبات ؟

أوليس السر فى ان لهذا الحيوان « المستحدث » سلاحاً لا تحطمه العناصر ولا يفله الموت ؟
وهل ذلك السلاح الا قوى كامنة فيه هى أشد وأمتن وأبقى من قواه الحيوانية ؟
تلك قوى الروح غير الفانية . تلك القوى التى ترفعنا فوق الحيوانية ، وترينا فى دياجير الحياة

(١) اخترناها له من كتاب (الغربال) وقد وضعت مقدمة لمجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١

وميض أنوار تحجب إلينا الحياة وتذكى في داخلنا شرارة أمل بان لا بد أن ندرك يوماً ما
مانحن طالبون . أى . هى قوى الروح تسيرنا على غير معرفة منا ونشعر بها لكن لا ندركها بعد .
لذلك نبحث عنها حتى اذا ما وجدناها وجدنا أنفسنا فعرّفنا اذ ذاك منزلتنا من الكون وسرنا
معه لا ضده لنتم به ويتم بنا

أجل . اننا فى كل ما نفعل وكل ما نقول وكل ما نكتب انما نفتش عن أنفسنا . فان قتشنا
عن الله فلنجد أنفسنا فى الله . وان سعينا وراء الجمال فانما نسعى وراء أنفسنا فى الجمال . وان طلبنا
الفضيلة فلا نطلب الا أنفسنا فى الفضيلة . وان بحثنا عن مكروب فلا نبحت الا عن أنفسنا فى
المكروب . وان اكتشفنا سرّاً من أسرار الطبيعة فما نحن الا مكتشفون سرّاً من أسرارنا .
فكل ما يأتى الانسان انما يدور حول محور واحد هو الانسان . حول هذا المحور تدور
علومه وفلسفته وصناعته وتجارته وفنونه . وحول هذا المحور تدور آدابه . فهو فى كلها يسعى
وراء أمر واحد . وهو أن يظهر نفسه لنفسه عله يدرك القوى التى تسير به فى بحر الوجود
ولا قيمة لعمل يأتى الا بمقدار ما يدنيه ذاك العمل من معرفة نفسه أو يقصيه عنها . وسواء
أدرك الانسان ذلك أم لم يدركه فهو أبدأ يقيس كل ما يأتى بهذا المقياس . فيهمل منها ما لا يزيده
بنفسه معرفة . ويحتفظ بما يشاهد فيه مظهراً من مظاهر نفسه . وما تاريخ المدنية لو فحصنا الا
تاريخ هذه الغربة الدائمة والمقابلة بين الامور وانتقاء ما فيه أثر روحى جليل واهمال ما ليس
فيه من أثر يذكر

ان على سطح الارض ملايين من البنايات التى شادتها يد الانسان من قديمة وحديثة . لكن
الآثار الهندسية التى تقر بها العين وتنتعش بها الروح لا تعد بالملايين ولا بالالوف . وفى العالم
جبال من الرسوم والتماثيل . لكن الرسوم والتماثيل التى نقف أمامها بخشوع ودهشة تعد على
الاصابع . وفى مكاتب العالم قناطير مقنطرة من الآثار الكتابية . فكيف هى الكتب التى ما تزال
تقصدها البشرية لترشف المعرفة والحكمة من سطورها ؟

قد يخطئ الانسان اليوم فى حكمه على أثر من الآثار . فيستكبر الصغير ويستصغر الكبير .
قد يخطئ جيلاً ، لكنه لا يخطئ دهرًا . فالأثر الخالد لا يموت . والميت لا يعيش . ولا يخلد
من الآثار الا ما كان فيه بعض الروح الخالدة

بين كل المسارح التى تتقلب عليها مشاهد الحياة ليس كالادب مسرحاً يظهر عليه الانسان
بكل مظاهره الروحية والجسدية . ففى الادب يرى نفسه ممثلاً ومشاهداً فى وقت واحد . هنالك
يشاهد نفسه من الاقطار حتى الاكفان . وهنالك يمثل أدواره المتلونة بلون الساعات والايام .
وهنالك يسمع نبضات قلبه فى نبضات قلب سواه ويلبس أشواق روحه فى أشواق روح غيره .
ويشعر باوجاع جسمه فى أوجاع جسم انسان مثله . هناك تتخذ عواطفه الصماء لساناً من عواطف

الشاعر وتلبس أفكاره رداء من نسيج أفكار الكاتب . فيرى من نفسه ما كان خفياً عنه وينطق بما كان لسانه عيا عن النطق به فيقترب من نفسه ويقترب من العالم . قرب قصيدة أثارت فيه عاصفة من العواطف ، أو مقالة تفجرت لها في نفسه ينابيع من القوى الكامنة ، أو كلمة رفعت عن عينيه نقاباً كثيفاً . أو رواية قلبت إلحاده الى ايمان ويأسه الى رجاء وخموله الى عزيمة ورذيلته الى فضيلة . تلك مزية قد خص بها الادب . وتلك هي مملكة الادب لا ينازعها عليها منازع . وما سلطان الادب الا في انه أبدأ يحول في أقطار النفس باحثاً عن مسالكها مستطلعاً آثارها مستفسراً أسرارها . وما شرف الاديب الا انه أبدأ يشاطر العالم اكتشافاته في عوالم نفسه حتى اذا ما وجد آخر بعضاً من نفسه في تلك الاكتشافات كان ذلك للاديب اطيب تعزية واكبر ثواب

إذن . فالادب الذي هو أدب ليس الا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواه . والاديب الذي يستحق ان يدعى أديباً هو من يزود رسوله من قلبه ولبه
ان « الرابطة القلمية » ما كانت لتقدم هذه المجموعة الى قراء العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الادب رسولا لا معرضاً للازياء اللغوية والبهرجة العروضية . وقد تكون مخطئة فيما تعتقد . لكن اخلاصها في الاقل يشفع بخطئها . فهي لا تدعى لهذه المجموعة اكثر مما تستحق . فان لم يكن لها الا تشويق بعض الارواح الناشئة الى طرق الادب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجزات فحسبها ثواباً . فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللغوية وآن لنا ان نتعطف ولو بالتفاتة على ذاك « الحيوان المستحدث » الذي كان ولا يزال سر الاسرار ولغز الالغاز ، لعلنا نجد فيه ما هو احرى بالنظر والدرس من رأس السمكة في قولهم : « اكلت السمكة حتى رأسها »

مجاملة اللئيم

في الناس ان فتشتهم من لا يعزك أو تذله
فاترك مجاملة اللئيم م ، فان فيها العجز كله
ابو فراس

الفقر والسقام

من قصيدة الأستاذ معروف الرصافي

أى مضى يمدّها باكتئاب أنّة تنزل الحشا في التهاب
يتشكى والليل وحف الالهاب ضمن بيت جنا على الاعقاب
صفعته فمال كف الخراب

تسمع الاذن منه صوتاً حزيناً راجفاً في حشا الظلام كميناً
يملاً الليل بالدعاء انيناً رب كن لى على الحياة معيناً
رب إن الحياة اصل عذابي

وجع في مفاصلي دقّ عظمي ودهاني ولم يرقّ لعدمي
عاقني عن تكسبي قوت يومي رب فارحم فقري بصحة جسمي
إن فقري اشد من اوصابي

يا طبيباً واين مني الطبيب حال دون الطبيب فقر عصيب
لا اصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شيء عجيب
بطلت فيه حكمة الاسباب

رجل معسرّ يسمى بشيرا كان يسعى طول النهار اجيرا
كاسباً قوته زهيدا يسيرا مالكا في المعاش قلباً شكورا
راجياً في المعاد حسن المآب

عال اختاً حكته خلقاً نزيهاً عانساً جاوز الزواج سنيها
لزمت بيت امها وابيها مع أخيها تعيش عند أخيها
مثله في طعامه والشراب

كل يوم له ذهاب ومأتى في معاش من كده يتأتى

هكذا دأبه مصيفاً ومشقى فاعتراه داء المفاصل حتى
عاقه عن تعيش واكتساب
بينما كان في قواه صحيحاً ساعياً في ارتزاقه مستميحاً
إذ عراه الضنى فعاد طليحاً ورمته يد السقام طريحاً
جسمه من سقامه في اضطراب
بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى
قترى وهو بالبكا يتداوى قطرات من عينه تهاوى
كشهاب ينقض إثر شهاب
إن سقمًا به وعدمًا ألما تركاه يذوب يوماً فيوما
فهو حيناً يشكو إلى السقم عدما وهو يشكو حيناً إلى العدم سقما
باكياً من كليهما بانتحاب
ظل يشكو للاخت ضعفاً وعجزاً إذ تعزیه وهو لا يتعزى
أيها الاخت عز صبرى عزاً إن للداء في المفاصل وخزاً
مثل طعن القنا ووخز الحراب
قد تمادى به السقام وطالاً وتراءى له الشفاء محالاً
اذ قلاباً من السقام استحلالاً كان حيناً فصار داء عضالاً
ناشِباً في الفؤاد كالنشاب

ظل ملقى وأعوزته المطاعم موثقاً من سقامه بالاداهم
منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الاخت فاطم
قبل أن يبتلى بهذا المصاب
قال والاخت خبرته بأن قد كربت عندها الدراهم تنفذ
اخبرى السقم عله يتبعد أيها السقم خل عيشي المنكد
لا تعقني في عيشتي عن طلابي

رام خبزاً والجوع أذكى الاوارا في حشاه فعلته انتظارا
ثم جاءت بالماء تبدي اعتذارا وهل الماء وهو يطفىء نارا
يطفىء الجوع ذا كيا في التهاب

خرجت فاطم الى جارتها وهي تدرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتها من سقام ومن سعار لديها
وشكت بعد ذا خلو الوطاب

فانثنت وهي بين ذل وعز تحمل التمر في يد فوق خبز
وبأخرى سمنا وبعض أرز منحوها به وذو العرش يجرى
من أعان الفقير حسن الثواب

ليلة تنشر العواصف ذعرا في دجائها حيث السحاب اكفها
ذا هزيم يمج في الاذن وقرا حين تبدي صوالج البرق تترى
كهر بائية سرت في السحاب

مد فيها ذاك المريض الاكفا في فراش به على الموت أوفى
طرفه كالسها يبين ويخفى حين يغضى طرفا ويفتح طرفا
عاجزاً عن تكلم وخطاب

فدعته والعين تدرى الدموعا اخته ، وهي قلبها قد ريعا
يا أخي أنت ساكت أفجوعا ساكت أنت يا أخي ام هجوعا
فاشفني يا أخي برجع الجواب

فأرت منه انه لا يجيب فتدانت والدمع منها صبيب
ثم أصغت وفي الفؤاد وجيب ثم هابت والموت شيء مهيب
ثم قامت بخشية وارتياب

خطبة الاستاذ فكري أباطة^(١)

في تياترو الكورسال

شهدت القاهرة أمس في الساعة السادسة مساءً بعد زمن طويل عطلت فيه المنابر حفلة سياسية كبرى لم تشهدها منذ اعوام . فقد احتشد في مسرح الكورسال الرجب الواسع الارجاء مالا يقل عن أربعة آلاف مستمع وكان الخطيب هو الاستاذ فكري أباطة . والمدعاه ان تذاكر الدعوة وزعت بطريقة خفية بارعة لم يتصل خبرها برجال البوليس حتى أصبحوا امام الامر الواقع . وعبثا حاولوا فض الاجتماع . فان الحماسة كانت جنونية فوق التصور . وكان في مقدمة الحاضرين اصحاب السمو الامير عمر طوسن . والامير عمرو ابراهيم . والامير اسماعيل داود . ودولة عدلى يكن باشا . ومحمد محمود باشا . واقطاب الوفد والاحرار والحزب الوطني . والسيدة الجليلة هدى هانم شعراوي . وشريفة هانم رياض . وغيرهما من السيدات زعميات النهضة النسوية . وهذا هو نص الخطاب الجامع :

سيداتي . سادتي :

الله اكبر ! الله اكبر ! والله الحمد

اهتفوا من صميم الفؤاد هتافاً يزحف زحف العاصفة على « لاطوغلى » اهتفوا صائحين ...
لتحي الحرية !! (هتاف وتصفيق حاد متواصل)

التقينا أخيراً أيها السادة بعد طول الفراق حول المنبر المقدس . منبر الخطابة العامر بروح الله ، وأمر الله ، ولو طال الامد ! (تصفيق)

حذار حذار أن تستمروا مندفعين وراء قلوبكم . متفريزين بفعل عواطفكم . متحمسين بعد سجن اللسان ، واغلاق الآذان ، واقفال البيان ، والغاء الازدهان
أخشى أن يكشف التصفيق مخبأ الحرية . فيقتحم الكونستبلات الابواب
(أصوات لا . لا . ليكن ما يكون . .)

حسنًا . سيداتي وسادتي : احرسوا الابواب بالقلوب . فلن تقوى عليها العصي ولن يقوى عليها الطوب ...

خبروني . خبروني : بأي حق في شريعة الدين . وشريعة القانون . وشريعة العدل والانصاف

(١) احسن ما كتبت من ناحية واحدة ، هي تصوير الخيال في صورة حقيقة جازت على الكثيرين وعلى المثقفين بنوع خاص . فظنوا انه حدث بالفعل اجتماع خطير في ملهى « الكورسال » مع ان الحكومة اذ ذاك كانت تمنع كل اجتماع فضلاً عن ان « الكورسال » كان حينئذ قد هدم ولم يخلف الا الانقاض ...

والمساواة . يخطب دولة « صدقي باشا » الف خطبة وتحرم المعارضة من خطبة ؟
خبروني . خبروني : بأى حق يحول دولته ويصول . ويلف ويدور . ويكرم ويعظم . ويامر
« الراديو » بنقل الكلام الى بورسعيد وأسوان وبها وقنا . ويحرمنا نحن حتى أمس - من مجرد
الهمس ؟ !! (ضحك وتصفيق طويل)

خبروني . خبروني : بأى حق يظل الناس ما يقرب من ثلاثة أعوام يسمعون (المواويل)
و (النولوجات) و (الطفاطيق) من « مطرب » واحد . ومن « تحت » واحد . ومن « مؤلف »
واحد . والناس فى ذوق السماع مختلفو المشارب ، متباينو الامزجة . والسماع لذة تمتزج بالمشاعر
والعواطف وبحرية الاختيار ؟ وكيف يشنف الاذان - ويملاً الأذهان - ويزيل الاشجان : مطرب
بيننا وبينه هوة - و « يغنى بالقوة » ؟ !! (ضحك وهتاف متواصل)
صدق محمد عثمان أو عبده الحمولى اذ غنى وقال :

عشنا وشفنا سنين ومين عاش يشوف العجب !
(أصوات : الله ! الله ! . كان كان ...)
سيداتي . سادتي ...

(هنا يشرب الخطيب كوب ماء فيهتف السامعون : بالهنا والشفاء ..)
أشكركم سادتي وأعتذر اليكم من كثرة شرب الماء . انى متعطش الى ماء النيل هذه الايام فانى
أشعر أن النيل بفضل خزان جبل الاولياء ومشروع بحيرة تسانا سيجف وينضب ! ...
(تصفيق حاد وهتاف : النيل لنا !)
أخشى سادتي اذا استمر الحال على هذا المنوال أن نموت من الجوع - وأن نموت من العطش !
ولكن « الله » سبحانه وتعالى لن يرضى بهذا و « رسل الله » صلى الله عليهم وسلم لن يرضوا
بهذا . وان رضى به « أولو الامر » منكم !!! (تصفيق طويل)
سيداتي وسادتي ...

راجت فى البلد إشاعة جبارة منذ شهر واحد بان « قصر الدوبارة » و « لاطوغلى » قد وضعوا
مسودة المعاهدة . ثم قيل لنا انهم « بيضوها » (ضحك وهتاف عال ...)
... ثم قيل لنا انهم « بيضوها » واستحضروا من الخارج « قلم لوكارنو » فقبض عليه السير
برسى لورين ووضع على اليمين حرف « الباء » : ثم قبض على القلم دولة صدقي باشا ووضع على
اليسار حرف « الصاد » ...

صحيح هذا سيداتي وسادتي . ولكن بارك الله فى « عبد العزيز باشا فهمى » وبارك الله فى
زملاء « عبد العزيز باشا فهمى » فقد شطبوا « بقلمهم الاحمر » العادل حرفى « الباء » و « الصاد »
و « نقضوا » بحكمهم معاهدة الاستقلال والاستعباد !!!

(تصفيق حاد متواصل استمر خمس دقائق)

فشلت المعاهدة « بالجملة » فهم يتعاهدون اليوم « بالقطاعي » ... وسعر « القطاعي » أيها السادة
كسعر السمن ، والسكر ، والصابون ، والرز ، أغلى على مصر وعلى أبناء مصر من سعر « الجملة » ؟ !
ولكنني أصرح من فوق هذا المنبر واهيب بسير برسي لورين صائحاً : حذار حذار من بطلان
الصفقة . راجع جيداً توكيل المتعاقدين وابحث في القوانين - « عقود الفضوليين » .. !

(تصفيق وهتاف)

سيداتى وسادتى :

ان ثقتنا فى القضاء ثقة عظيمة . وابشركم بأننى قدمت « للمجلس الحسبي » طلباً بتوقيع « الحجر »
على الحكومة ، وقد حدد رئيس المجلس جلسة قريبة هى على كل حال قبل نظر الميزانية . وثقتى
عظيمة بأننى سأرج الدعوى . بقى عليكم أن توافقونى فى اختيار « القيم » ومن يكون الاجدر بتولى
القوامة ، ودفع انكارثة ، واصلاح المحتل والمعتل ، وانقاذ حالتنا المالية

سيداتى وسادتى :

كل شئ يسير وفق المرام فى هذا الشهر المبارك المسكرم . وقد استجاب الله على ما أظن دعاء
الصائتين المصلين المزكين الطاهرين . بقى امر واحد ينقص عليكم وعلى عيشى وعيشكم - بقى
امر واحد لن يغفره لكم خالقكم وبارئكم - بقى امر واحد سيكون عار الاجيال القادمة ولطخة
الحيل الحاضر - بقى امر واحد يكسر العين ويكسر الخاطر : بقى هذا الشقاق المتسرب الى صفوف
الامة . بقى الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . بقى الخلاف الذى ينشب فى المعسكر
وتشتعل ناره فى المعتقل - بقى « الشرع فى الانتحار » لغير سبب ولغير موجب - بقيت « الهزيمة »
التي تسبق المعركة الفاصلة . ان « العيد » على الابواب فما انبلها وما اجلها فرصة تنتهزونها للوثام
وللسلام . ان الوطن يناديكم متوسلاً بأرق الاصوات ، وأحسن الرجاء ، فان ليتم نداءه ، واجبتم
رجاءه ، عرفكم فى وقت الشدة رجالا وابطالا . وان وليتم للوطن ظهوركم ، وتماديتم فى خلافكم
حلت عليكم لعنته - واصابتكم جميعاً نقمته !!

هيا . هيا . وبادروا اليه قبل أن يحمل « الدخيل » نعشه ، ويواريه رسمه ، فيسجل التاريخ
انكم قاتلوه ...

ان « مصر » تحتضر والدواء فى أيدي الابناء فمن منكم يمد يده ؟ !

إيه إيتها « الرجولة » انى ابحت عنك فهل تظهرين ؟ ...

ان « مصر » فى الانتظار !!!

شبابنا في المجتمع^(١)

بقلم الاستاذ محمود أبو العيون

ان الحروب والثورات التي هي أصل من أصول التخريب في العالم، كما قد تكون مصدر نكبة لأمة من الأمم، قد تكون لآخرى مصدر خير وبركة، فمن يقرأ تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر يرى ذلك واضحاً كل الوضوح. وهذه الحرب العالمية الكبرى أحييت عالماً جديداً لم يكن مذكوراً في التاريخ، وأماتت أقواماً آخرين، ومصر مثلاً، كانت ثورتها العسكرية سنة ١٨٨٢ نكبة لها من أعظم النكبات في تاريخ الأمم، نكبة قلبت أوضاعها، وغيّرت نظام حياتها الذي أقامه منقذ مصر العظيم محمد علي. وكانت بركة وخيراً لأمة أخرى. وجاءت بعدها ثورة الشعب سنة ١٩١٩ ونتائجها من الناحية السياسية يقدرها دهاقين السياسة، أما هذا الكاتب فإنه لا يشك في أن نتائجها من النواحي الأخرى المختلفة كانت من أكبر الشرور والويلات على مصر. فالناحية الدينية والناحية الخلقية والناحية الاجتماعية قد تصدعت، وعصفت بها العواصف والارزاء. فما كنا نراه من الصفات الحميدة، والآثار الحميدة من تلك النواحي، أصبحت الآن لا يحلها الناس فيما بينهم محل الاستحسان، ولا ينظرون إليها بعين القبول بل قابلوها بما شاموا من الإغفال والإهمال

« ان الفضائل والاخلاق والآثار الأدبية لا تتأثر بالظروف، ولا حكم للحوادث عليها، فهي هي ثابتة، ولكن تقديرها، ووضعها في منزلتها الملائمة لشرفها، والوقوف بها عند حدها، كل ذلك يختلف باختلاف الأغراض التي تتولد في النفوس، والاختلاف في الأحكام، وعدم الانصاف في التقدير، فالنفوس قبل هذا العهد كانت بعيدة عن الأغراض والهوى، فكانت أحكام الدين والاخلاق، وقواعد الاجتماع التي تواضعت عليها الأمة تدرك مقبولة معتدلة. أما الآن فقد غشي الناس ما غشيهم من طغيان المدنية، وسحرهم من بهرجاتها الزائفة ما جعلهم في فتنة وضلالة، فانقلبوا ساخرين بكل كمال ذاتي، وشرف معنوي

ان الناس بما أصابهم من الشكوك والريب فقدوا الثقة في كل شيء حتى في أنفسهم وأصبحوا يقفون بازاء ضرورات الحياة موقفاً حرجاً. جعلهم من بعضهم في شبه عزلة، لا يكاد يلوي

(١) اخترناها لفضيلته من ضمن عشر مقالات كتبت هذا العام في صحيفة الاهرام تحت عنوان : « يا ضيعة الاخلاق في عهد الحرية »

أحدهم على أخيه الا لمصلحة مشتركة ، ولقد تحدث صديقاً لك في عمل انساني ، أو تطلب اليه إقامة حق مهضوم ، فيرفع جراميزه ، ولا تسكاد تقع له على ظل الشباب المصري الذي كان زينة الشباب ومفخرة الاجيال ، والذي تقحم الثورة افتداء لعزة الوطن من الضيم ، وشرف الحرية من الاذلال ، والذي استعذب الآلام في سبيل العقيدة ، وضرب المثل الخالد للتضحية ، والثقة بالنفس ، أصبح هذا الشباب نفسه بعد الثورة والحرية أرجوحة في يد الالهواء وعبث الايام ، فقد قداسة العقيدة ، وشرف الحرية وعزة الوطن ان القحط الخلق قد أصاب اكثر جماعة الشباب ، فأوهى فيهم الروابط الاجتماعية والشعور بالواجب ، وان الرذائل التي تمسكت من نفوس الكثيرين وانغمسوا في حمايتها جعلتهم كالوحوش الضارية ، بل هم أحق منها بصفة الوحش ، فان كل نوع منها يعيش بسلام وأمان ، ولا سلام ولا أمان بيننا

أصبح الكثير من شبابنا يخذلون الملق والكذب والنفاق ، ويألفون الذلة والهوان ، وأصبحت الكفاءات والمؤهلات بمقدار ما يبذله الشاب لرئيسه من التخضع والمداهنة والرشوة ، الرشوة التي قيل فيها اذا دخلت من الباب ، خرجت الامانة من الطاق ! . وبعد ان كانت قيمة العاملين ما يحسنونه من الاعمال ، أصبحت قيمتهم بمقدار ما يقدمونه من وسائل الزلفى للرؤساء ولو غير شريفة ! وبذلك تعلم سر ايثار هذه الامعات ، على غيرها من الناهين ، وسر فقد الامانة والاخلاص في العمل ، وسر انجاز المسائل ذات الاختصاص على يد هؤلاء الاغرار ، وظهور الفضائح والمعرات بسبب ذلك في الدولة ، وسر كثرة الموظفين على قلة الوظائف ، ثم المحاباة أصبحت هي العلة وهي الداء

هذا الشباب الذي كان يخطب على منبر الثورة ويقول : أيها الشيوخ الواهنون الذين عثتم تحت ظل الاستعباد ، وأحنيتهم رهوسكم الى الغاصيين ، وسلمتم البضاعة الى الاعداء ! دعوا الكراسي للشباب فانهم أمناء على تركة الماضي النذل ، ورسل المستقبل الحافل بالحياة والنور هذا الشاب ، وزملاؤه شباب الثورة ، مكنت لهم الايام ، وملكتهم كبريات مناصب الدولة فأصبحوا شراً على المناصب وعلى الاخلاق وعلى الوطن ، وكانهم بسبب ما نالوه من رئاسة الدنيا وما صاروا اليه من النخوة والكبرياء تمثلوا انهم تحللوا من ذمة الماضي وعهد الحاضر وتكاليف المستقبل ، وتخيّلوا ان الحرية هي تحطيم قيود الذمم ورباطات الشرف ، فكانوا أسوأ حالا من العبيد الارقاء ، إلا من عصمه الله تعالى بعزة النفس وشرف الضمير

وانك لا تجد بين زمر الشباب المتعلم الا القليل ، من لا تنازعه نفسه الى فجور ، ولا تفتح له عين لريبة ، ولا ياحقه في ذلك ذم ، ولا تناله وصمة . ولقد نظم كثير من أولئك الشباب

للمآثم والمشايين دوراً ونوادى يختلف إليها الجنسان ، وفي ساعة يغفل فيها الزمان ، تستباح كرامات وتمتهن أعراض !

ومن ذلك نشأت المشكلات العصرية ، وفيها العظمت البالغات لشباب هذا البلد وشواهبها . وقد تناول مكاتب المقطم الاسكندري في الاسبوع الماضي ثلاث وقائع وقعت في الشجر ، نذكر واقعة منها ففيها العبرة الكافية :

ذهب نجل اميرة ، وهو معروف بالبذخ والتبذير ، الى ناد يجتمع فيه « أبناء الذوات وبناتهم » لقضاء السهرة والرقص واللهو ، وجلس مع فتاة الى مائدة في النادي ، واذا باجنبي من كبار التجار يصل في تلك اللحظة ويطلب من الشاب ان يخلى المسكان ، لان الفتاة له لا لغيره . واشتد بهما السلام واللجاج . فانها الشاب بالسكيم على الاجنبي حتى كاد يرميه على الارض لولا ان تداركه ضابط اجنبي فاشتبك مع الشاب بالملاكمة ، وتدخل البوليس ، وسبق الجميع الى القسم ، وتولت النيابة التحقيق ، أما الضابط فقبل اعتذار الشاب وانسحب من القضية التي أحالتها النيابة الى محكمة الجنج حيث يمثل الوجيهان من أعيان المدينة أمامها بعد ما ثبت للنيابة ان الاجنبي لا يتمتع بالامتيازات

وعلم مكاتب المقطم ان أهل الفريقين يسعون للصالح قبل المحاكمة حذراً من العواقب والقليل والقال

ومن البلية ان تجد نفوس أولئك الشباب قد مرضت مرضاً خلقياً ، لا أرى علاجه هيناً . فهم لا يرون عيباً في اقتراف أى شائنة تكون بعيدة عن العمل الرسمي لان تلك في نظرهم الخاطئ مسائل شخصية لا تسيء الى العمل ولا الى المجتمع في شيء ! وأعجب ان تكون حالهم على ما وصفنا ، ثم يؤمنون في وظائفهم على دائق أو سحتوت . وهل الذمم تتجزأ ، والضوائر تنقسم ؟

وفقد كثير من الشباب مضاء العزيمة وشجاعة النفس ، والدأب على الصعاب . فقلما يزاول عملاً عظيماً أو يعالج من الامور جسيماً ، فخانه الحظ أو استعصت عليه الغاية ، الا تصدع قلبه وطار شعاعاً ، وقعد ملوماً محسوراً ، وربما عمد الى الانتحار ! وذلك ضعف خلقى بعيد المدى ولقد نضرب المثل للشجاعة ، وقوة النضال والمثابرة ، بالرومى الافاقى يفد الى هذه البلاد معدماً مكدوداً ، فيظل يعالج شؤون الحياة خاسراً ورابحاً وهو ينازل الحوادث ويعارك القدر ، حتى يخرج من المعمة ظافراً منصوراً

ثم التعاون والتكافل والتضامن أصبحت هذه أسماء لا مسميات لها في المجتمع الذى يمثلها رجال الثورة وشبابها الأماناء ! كانوا كتلة واحدة . لهم غرض واحد . وأمنية واحدة . هي خدمة الوطن من طريق الحرية والاستقلال . فما بالهم تفرقوا طرائق قديداً . وما بالهم أصبحوا

أحزاباً وشيعاً . وما بالهم مزقوا جسم الوطن المسكين . وأعملوا فيه السلاح وأثخنوه بالجراح . وما تلك الشهوة التي ملكت عليهم نفوسهم واستهوت أفتدتهم ؟ لقد صرنا الى شر ما تصاب به الامم من التفكك والانحلال . « فهذا البعض لا يربح الا بخسارة الآخر . وهذا القوى يدوس الضعيف . والضعيف يدوس الاضعف . وكل ميال الى ضرر أخيه . يعتبر الهفوة منه ذنباً عظيماً . والزلة جرماً كبيراً . وتجاوز ذلك إلى الافراد في المعاملات وفي الوظائف وفي الحالات البيتية . أصبح الرئيس لا يثق بمرموسه ، والمرموس لا يأمن رئيسه . وأصبح الأخ لا يأمن أخاه ، والابن يستطيل عمر أبيه ويعدّه بالأيام للميراث . وصار الضيف لا يأمن مضيفه ، ولا الصهر صهره . وجعل الزوج يفكر في التخلص من زوجته ، والزوجة تدبر المكيدة لزوجها . والجار يخون جاره . والشريك يغش شريكه . وما الى ذلك من نقض العهود ، وخلف الوعود والسلب والنهب وتلم الأعراض

ومن الغريب ان الجمهور في هذا البلد يدرك ما وصل اليه من هبوط الأخلاق والانحلال . ويتخوف سوء المنقلب . وما من عاقل تقابله الا شكاك اليك سوء الحال وطالع لك ما وراء العواقب . ومع ذلك تجد القوم لا يعملون على تدارك الخطر ورأب الصدع . وذلك لعمري آية الهزيمة وعلامة الادبار

هذه الآفة الاجتماعية ، وهي القحط الخلقى والتحلل من قيود الأخلاق والفضيلة والدين ، ليست مقصورة على فئة دون فئة . ولا على طبقة دون طبقة بل الكل سواسية في البلية . « وكان الناس صاح فيهم صائح الشر فلبوه من كل مكان ، وكان القوانين والشرائع ضعفت عن معالجة الحالة وعجزت عن صد سيلها الجارف وتيارها المتدفق ،

فهل تجد - لا أراك الله مكروهاً - تفككا أكثر من هذا التفكك . وهل تجد ثلثة في بناء المجتمع أوسع من هذه الثلثة . وهل هذا المجتمع يقال فيه مجتمع مريض يرجى له شفاء ؟ أو أنه مجتمع أصيب بالشلل والفناء ؟

وهل تلك الحرية التي أصبناها كانت علينا نعمة سابغة ! أم نقمة شاملة ؟ « الحق أبلج والباطل لجلج ! »

في الأخلاق

- ✧ نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم . ولكننا محتاجون لكثير من الأخلاق الفاضلة
 - ✧ كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة
- سعد زغلول

الازهار المداسة^(١)

بقلم الامير مصطفى الشهابي

كنت البارحة أنحدر الى دمشق من داري في سفح (قاسيون) فاسترعى نظري جار يدوس أزهاراً ذابلة ملقاة في الطريق ، منها ورد وخطمي وخشخاش ومرغريتا وغيرها . وتخللها زهرات صغيرات من الفل ، وكلها قد حال لونها وفسدت رائحتها وزالت نضرتها وطاحت بهجتها . فتذكرت على الفور قصيدة مرقصة عنوانها « السجينة » لشاعرنا العربي الامريكي الرقيق « ايليا ابو ماضي » نشرها في المجلد الخامس والستين من المقتطف ووصف بها زهرة كانت تعيش في الحقل قريبة العين هادئة البال سعيدة بالتراب الغني والهواء النقي والطل الندي ، ونور الشمس ودفئها وتراقص الاغصان على موسيقى الرياح ، وتطير الفراش في النهار وتهوى النيازك في الليل . فاذا بغاو من غواة الزهر يقطفها معبّطاً بها فيضعها في زهرية ويسجنها في غرفة . فتألم وتتفجع وتستغيث من نظرات الفساق وأنوف النشاق وفجور العشاق . فلا رقص الكواكب في القصر كرقص الفراش في الحقل ، ولا المصاييح المتلائية في الابهاء كنور الجبابب الضعيف في الدجى ، ولا الماء الغزير الذي تسقاء في الزهرية كقطرات الندى في منبتها ، ولا عطر الحسان في عقبه كريح التراب في فغوته . ويشد السجن على تلك الزهرة المسكينة فتصغر وتندوى وهي في شرخ شبابه والفصل ربيع والهواء عليل ، حتى اذا ذهب رواؤها وعز شفاؤها طرحت خارج الدار فديست بالنعال

نظرت الى الجار يطأ تلك الازهار دون أن يتعذر أو يتخشع ، فدنوت منه وبدأت الحديث بتلك القصيدة العصماء ثم قلت : تدري يا صاح أن الازهار الجميلة النادرة نباتات يظل الزهارون يتعاهدونها سنين عديدة بالتنغيل تارة والتهجين أخرى ، ثم بالانتخاب والاصطفاء حتى تحيى كما يريدون من حيث تلوينها وتزينها وتبريقها ، وأنهم بعد هذا يبيعون النبتة الواحدة من الصنف الجديد بعشرات من الجنيهات ؟ وهل علمت أنني قبل بضعة أيام بينما كنت عازماً على زيارة أسرة من الاسر لاح لي ألا أدخل الدار فارغ اليدين فصرت الى زهار فوالله ما رضى أن يبيعي باقة حقيرة يحملها الطفل فلا تنقله بأقل من ليرة سورية والناس في ضيق والازمة مستحكمة الحلقات تشد على أعناق الناس وتمنع الكسرة من الرغيف عن حلوقهم ؟! وإذا استسهلت الليرة السورية فسل سهل بن هرون عنها يحبك بمثل ما أجاب الرجل الذي استعطاه درهماً وهو قوله : « لقد هونت الدرهم وهو

(١) اخترناها له . . .

طائع الله في أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف دية المسلم . ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذي هوتته . وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم . . . »
لقد عبد بعض المصريين الاقدمين اللوطس وتوهموا أن الاله (رع) يلد من زهرته . وقد سوا الجميزة وتخلوا (هاتور) تخرج من بين أوراقها لتجعل الناس من الخالدين . وسمى العلماء بعض الازهار باسم آلهة اليونان والرومان . واتخذ الناس كثيراً من أنواع الزهر علامات يدل كل منها على ضرب من النعوت والصفات المستحبة المستملحة . فالبنفسج للحشمة والورد للجمال وهكذا . وشبه الشعراء أعضاء الحبيب بصنوف الزهر فجعلوا الحدود كالورد واللحظ كالنرجس والشفة كالشقائق . أما بعض الهواة من الشعوب والملوك فقد خص كل منهم نفسه بزهرة أو بنبته فكانت شعاراً له ودليلاً عليه كالنخلة شعار العرب ، والاقحوان والكاميليا شعار اليابان تراها على نقودها وطوابعها ، كما ترى زهرة الآلام والزهرة الخالدة وعود الصليب على طوابع الصين . ولكم حفر النقاشون زهرة الزنبق على الاسلحة القديمة ، واعتز الانكليز بالوردة والارلنديون بالطرفيل واسبان غرناطة بالرمح وجمهورية البرتغال بالبرتقال

ولما رأيت الجار ساكتاً يصغى الى حديثي الطويل الممل استرسلت فيه قائلاً :-

هلا أنعمت نظرك في أوراق هذه النباتات التي تدوسها بنعالك وأدركت أشكالها العجيبة من بيضيه وسنانية وسهمية ومستطيلة واهليلجية وكاملة ومفرضة الى عشرات من الصفات المختلفة ؟ وهذه الزهرات التي تعركها بمحذائك ، هلا علمت أنها أجمل الاشياء على هذه الكرة وأنقاها وأحبها الى قلب الانسان بألوانها الزاهية الانيقة وأشكالها المنتظمة الرشيقة وطرق ازهارها المتفاوتة ؟ وهل جال في خلدك أن تدخل قبة الصخرة في القدس أو المسجد الاموي في دمشق فتري تراويق الزهر وتعارج الورق في زخرف عربي أخاذ ، ما يبرح ولن يبرح بهجة العين ودهشة المتأمل منذما صبغته اليد الصناع أيام كان الامويون ملوك الارض وسادة هذه الدنيا ؟ ثم هل عرجت على تدمر أو بعلبك فرأيت الازاهير كيف تنقش في الصخر الاصم لشغف الناس بها ! أو جزت الصالحية على الفرات أو أفامية على مقربة من العاصي فالقيت بنظرة على تلك النباتات المزهرة التي ككونوها من دقائق أحجار الفسيفساء ! ولكم نقش المصريون الاقدمون زهرة اللوطس وورقتها على هياكلهم وآيتهم ونقودهم وحليهم . ولم سحرت أوراق الاقحوان فناني اليونان والرومان فأوجدوها على أعمدة قصورهم وهياكلهم . ولم يكتف الاوريون في القرون الوسطى بهذا النبات بل نقشوا على جدران الكنائس زهر النيلوفر والسوسن والبنفسج وغيرها

ومالنا والناس نبحت عن حبيهم للزهر في الحقب الخوالي ؟ افلسنا نرى في أيامنا هذه رجالاً متأنقين لكل منهم زهرة خاصة به لانفارق معطفه البتة ؟ ونرى كواعب من فواتن النساء لا يستقبلن في منازلهن إلا والزهر في شعورهن أو في نحورهن أو على أكتافهن حتى على خصورهن ؟ والله در

الذى قال : إن الزهر يتبعنا من المهد الى اللحد . فاذا ولدت استقبلوك بالزهر واذا خنت كلوك بالزهر
واذا عيبت أهدوا اليك الزهر واذا أعربت غمروك بالزهر واذا انتقلت الى جوار ربك بعد عمر
طويل حملوا الزهر أمام نعشك وفرشوا به قبرك أو نثروه عليه نثراً . وأى دار كبيرة تخلو من
حديقة للازهار يتولاها بستانى لبق ؟ وهل بهجة الدار غير أزهارها الفتانة ؟ ومهما حقرت الدار
وكان صاحبها من ذوى الفقر والخصاصة فهي لا تخلو من زهرة فى حوض أو فى أصيص ييسم لها
صاحب الدار كلما مر من أمامها وشاهد كاسها السندسية وتويجها النضر وأسديتها المتوائمة ومدقتها
المغمورة بمباهج الحياة . ورب بيت حقير فى المزرعة الصغيرة عرشوا على جدرانها الياسمين أو الورد
أو زهرة الآلام أو اللبلاب أو الظيان أو أشباهها فكستها بأغصانها المتشابكة وأوراقها المخضلة
وأزهارها الفتانة حتى صيرت البيت أروع فى العين من جلال القصر المنيف . ثم لابد لى أن أحدثك
عن الزهارين وفنهم فى إيجاد الزهر المبكار والزهر المتخار . وعن أسواق الزهر فى حواضر البلاد
وعن بائعات الزهر ومنهن الجميلات المغريات اللواتى تكاد تفضلهن على ما يبعنه . وعن أعياد الزهر
وكيف تنتهك فيها حرمة هذه المخلوقات الملائكية ليلهو ابن آدم بشقاها . وعما يستعمل من الازهار
فى عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد الشعانين وغيرها من الاعياد . وكل هذا يحتاج الى وقت طويل
وانما نحن نتحدث الى دمشق وجارى الذى قصصت عليه هذا الحديث ساكت لم تتحرك له شفة . ولما
هممت بالعودة إلى تعنيفه على وطئه للازهار الملقاة فى الطريق ما كان منه إلا أن قدم الى زهرة من
الفل كانت فى يده وقال : « تمتع برائحتها اليوم وأعدها إلى غدا » ثم انصرف ما يبدى وما يعيد .
فلما كان الغد قرع على باب الدار باكراً وقال : « أين الفلة » فقلت : « ذبلت فألقيتها » قال : « ووطئها
أيضاً أو وطئها غيرك دون أن يتخرج أو يتأثم . فاعلم يا صاح أن هذا هو مصير كل حى فى هذه الدار
الفانية وان كل ما تحدثت الى به البارحة عن قداسة الزهر ولزوم رعايته كلام اجوف لا طائل فيه .
فالزهرة لها عمر محدود متى استوفته عادت الى التراب فاندجت به فاغتذت بها زهرة ثانية الى أن
تهرم هذه فتموت فيكون مصيرها مصير الاولى وهكذا . فأما الازهار بالغة أجلها سواء أ كانت
فى الحقل أم فى غرفتك أم على رأس غادة حسناء فمن البلاهة بمكان ألا تتمتع بها على الشكل
الائتم . وما برح الضعيف مسخراً للقوى والحياة عراك بين الاحياء مستديم . ولو ان الانسان اقتصر
على الاضرار بالازهار وعف عن ايذاء ابناء جنسه لكان الخطب أهون والبلاء أيسر . ولكن
هيهات »

يشم ندماى الرياحين بينهم وذكرك ريحاني اذا دارت الكاس
ولو كان يلقى الناس من لاعج الهوى عشير الذى ألقى اذن هلك الناس
العباس بن الاحنف

ابراهيم لنكولن

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعى

لا نستطيع أن نزع بحق أنه فى مكنتنا إيفاء حق « ابراهيم لنكولن » من البحث والتحليل فى موجز تاريخى كالذى نحاول كتابته عنه فى هذه الصفحات القليلة . ومن الحق علينا أن نعترف بأدى . ذى بدى - احتراماً للتاريخ والعلم ، واحتراماً للبطل الذى نكتب عنه ، ولا أنفسنا - بعجزنا عن استيعاب حياة ذلك الرجل العظيم ، والمفكر الكبير ، والمصلح الجرىء ، التى تملأ القلوب والانظار والأسماع هبة وروعه وجلالا . ذلك لأن حياة العظيم عظيمة مثله : فما هى لعمركم إلا سلسلة متصلة الحلقات متعددة الوجهات ، مترعة بأجل الدروس وأمتع العظات ، وليس الى حصرها من سبيل ، وليس دون الانتفاع بسننها ، والاهتداء بسنى ضوئها ، من حد ولا نهاية . وإنما قصارى ما نرمى اليه ونرجوه لشبابنا ، وفلذات أبادنا ، وعدة آمالنا فى مستقبلنا ، أن يلمعوا معنا إلمامة متواضعة ، بصاحب هذه السيرة المتواضعة ، الذى يكفيه من فخر سرمدى ، ومجد أبدى ، ما أصابه فى أخريات جهوده المتواصلة من توطيد عرى الاتحاد بين بلدان أمته ، وتحرير نصف أبناء جلدته ... كلابل تحريره نصف البشرية قاطبة من ربة الرق والاستعباد ، ونير الاجحاف والاستبداد ، الى نور الحرية والاخاء والمساواة ... آملين أن نهتدى جميعاً بهديه ، فنعمل متكاتفين متساندين على ما فيه خدمة الاوطان ومحبة الانسان لأخيه الانسان

ولد بطلنا « لنكولن » الرئيس السادس عشر للجمهورية الأمريكية فى ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ ولسنا نحفل كثيراً بأن نقف على سنة ميلاده بقدر حفلنا باتباعه فى توفقه ذرى المجد ، ومثابرة الدهوب فى خدمة الانسانية ، وبقدر ما نحفل بدرس عوامل عصاميته ، وتفهم صريح سياسته ، والاحتذاء باصالته ، والافتداء بكياسته ، وبقدر ما نحفل باشباع نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من تزيه طعمته ، وبرى وطنيته ، ونيل طويته ، وبقدر حفلنا أن نكون على غرارهِ وقلبه ، نعيش للوطن ، ومن أجل الوطن وفى سبيل الوطن ، ونحيا للواجب ، ومن أجل الواجب ، وفى سبيل الواجب

لقد نشأ « لنكولن » فى حجر العوز والفاقة يقوده الامل ويسوقه الرجاء ، وبين جنبيه همه

عالية ، ونفس كبيرة . فصهرته يد الزمن القاسية ، اذ ضربه الدهر بضرباته ، ورماء بنبكاته ، فكونت من نفسيته النقية ، وسجاياء الرضية ، وقلبه الروم ، وسعة أعطانه الحدية الرحيمة ، الرجل العظيم حقاً ، والبطل النزيه السمعة الحسن الاحدثة ، المتوثب العزيمة ، والمستحصد الهمة . كونت منه حمال الاعباء ، طلاع الثنايا . كونت منه رجلا حلب الدهر أشطره (١) . كونت منه زعيم الشعب ومعلمه ومدرّب الوطن وخادمه . وكونت منه حاكم الامة في غير صلف ولا اغترار ، ولا جبروت ولا استكبار ، كونت منه أمة في رجل ورجلا في أمة ، وأخيراً كونت منه المعنى الخالد للوطنية الخالدة ، والرمز الصادق للعزيمة الصادقة . كونت منه المبدأ الحق لهذا الخلق ألا وهو « الفناء الشخصي إزاء الصالح القومي » أي شبابنا الناهض :

ليست العظمة الحقّة أن يولد الرجل معاً مخولاً ، ولا هي في عراقه الارومة والنجار ، وسعة الثروة والعقار ، ولا هي في أن ينشأ الانسان سرياً يشار الى هيله (٢) وهيلمانه ، وطمه ورمه بالبنان (٣) ولا في أن يصيب من غفوة الدهر وغفلته قرن الكلا (٤) ، ولا في أن يستمتع بما في الحياة من هيء وجيء (٥) . كلا وربكم ! وإنما هي فيما هو أنبل واسمى : انها في الخلق . في الكدح في العمل . ثم هي لعمركم في الايمان بما في أعناقنا جميعاً - مهما تباينت أسنانتنا ، واختلفت أعمالنا ، وتفاوتت مراتبنا - من واجبات نحو الوطن وأبناء الوطن أي شبابنا الناهضين :

ليس في الفقر من هنة ولا عاب . إنما الهنة والعاب في أن يكون الرجل عالة على غيره . قعدة جئمة (٦) لا يعي ما يراد ولا ما يشاد . و « ابراهام لنكولن » لم يقعد به فقر أبيه النجار المزارع المسكين الذي كان يذرع فضاء الارض عساه يجد مزرعة تقيم من أوده وتسعفه بما يسد الرمق . بل كان لآبه (٧) الصغير وهو اسم « ابراهام لنكولن » منذ ميعة شبابه وطراوة إهابه - كان له من عمله المتواصل وجده الدائم هامة الفخار وسمة الاعتبار بين اللدات والاقران . فلن يقعد بالرجل فقره بل جهده . ولن يسمو به جاهه أو ماله . وإنما تسمو به مواهبه وكفائته وفعاله ولننتقل الآن أبناءنا الاعزاء الى مسألة أخرى جدية با كباكم ودرسكم ، حرية بانتباهكم وتوثب هممكم ، قينة باقبالكم وانعامكم ، ألا وهي أثر المرأة الفاضلة في تكوين الرجل الفاضل . وللمرأة الكاملة الاثر الاول في تكوين النزعة الخلقية الاولى . لما لها من اليد الطولى في امداد الوطن بجند الوطن الأصحاء ، وكياة الوطن الاقوياء ، ومحرري الوطن الاوفياء

(١) يقال للرجل المحرب للامور : « قد حلب الدهر أشطره » أي قد قاسى الشدائد والرخاء وتقلب في الفقر والغنى (٢) أي المال الكثير (٣) اشارة الى كثرة المال وتنوعه (٤) يقال لمن اصاب مالا وافراً لم يصبه سواه : اصاب فلان قرن الكلا (٥) الهىء : الدعاء الى الطعام . والجيء : الدعاء الى الشراب (٦) الجئمة : النؤوم الذي لا يسافر (٧) (Abé)

فقد ماتت أم « ابراهيم لنكولن » وهو لم يعد التاسعة من عمره . ماتت ولاطبيب يعالجها ولا قسيس يواسيها . ماتت فعمل لنكولن مع والده على تجهيز كفنها ، واعداد الوسائل اللازمة لدفنها تلك صدمة عنيفة لا يقوى على تحملها قلب صبي ناشئ ، مثل « لنكولن » . ولتلك الصدمة بلا ريب آثارها الحسنة إلى جانب أثرها المادى السيئ . فليس من شك أن لنكولن سيتذوق من بعدها معنى الاحتمال والجلد والصبر على المسكاره . وليس من شك أنها ستبذر في قلبه السكيم وفؤاده الكسير معنى الرحمة والحنان والبر والاحسان . ومع هذا فان القدر العادل لم يحرم لنكولن من عطف الأم ، وان كان قد حرمه من شخصها . ذلك انه قد حذب عليه قلب زوج أبيه الجديدة التى أتيح لها أن تعيش فيما بعد فترى بعينها آبه (١) الذى علمته صغيراً وعظفت عليه يافعاً . تراه وهو الرئيس الأعلى للجمهورية الامريكية فى المرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة . تراه رئيساً عادلاً يشرفه على الدوام أن يدعو أمته الى المساواة السياسية العادلة ، لانه يرى فى المساواة بقاء الامم وسعادة الافراد . تراه فى مركز الحاكم بأمره ، من تعنو له الوجوه وتخضع له الرقاب ، فلا يحكم الا حقاً وعدلاً ، ولا يسير بين الرعية تيبها وعجبا ، بل كان رمز الادب اليناع ، والخلق المتواضع . تراه بين ظهرانى جنده فى حومة الوغى مواسياً ومشجعاً بلا ازورارجناب ، أو رصد أبواب ، وكثرة حجاب . . كما يفعل غيره من عتاة الولاة الذين يظنون أنهم مخلوقون من طينة غير طينة رعيته ، بل كان لهم نعم الرفيق والزميل . ونعم المعين والظهير ، ونعم الراعى المسئول عن رعيته أى شبابنا الناهضين :

ان فى حب « لنكولن » ، لزوج أبيه معنى سامياً فلا يعزبن عن أذهانكم ، وجدير بكم أن تنعموا فيه طويلاً . لقد ماتت والدته وأراد القدر أن يبنى والده من حليلة أخرى لتعمر بيته وترفه عنه متاعب الحياة . ولتضى بنورها جوه القاتم ووكره الحالك . فلماذا يمتقتها ويعمل على إيذاها ؟ إنها زوج أبيه فهى صنو والدته وبديلتها فلم لا يشب على حبها والتعلق بها ، اما ارضاء لعاطفة والده ، أو احتراماً لمركز الامومة المضحية التى هى رمز لها على الدوام ؟

ثم ما ذنب المرأة فى ذلك الصنيع وهى أجدر على الدوام بالعطف والتقدير فاذا ذكرنا معشر الشباب والشابات مركز لنكولن من زوج أبيه ومكانها منه . وانظروا نظرة رثاء لمن ينهج غير منهجها ونظرة مقت وكره لتلك الحوادث الاجرامية التى تقع الفينة بعد الفينة فى مثل ذلك الموقف الذى هو أخلق بالحنان والرعاية ، وأولى بالبر والعناية

فعليكم بالتسامح والوفاء . وعمرؤا قلوبكم بالاخلاص والولاء ، وكونوا لا بآئكم وزوجاتهم أبر الابناء

(١) لا ابراهيم لنكولن لقب Abé اثناء صغره كما اسلفنا

الاسترقاق عند المصريين وفي الاسلام

بقلم سعادة احمد شفيق باشا

لعل لا أستطيع التفضل بين « أحسن ما كتبه » وبين غيره لأننى - كما تعلمون - لست الكاتب الفنى الذى يعنى بتنميق العبارة وتزيين الاسلوب بانواع الاستعارات والتشبيهات والمحسنات البديعية ، ولكننى عالجت الكتابة مذ عالجتها لتحمل حقيقة علمية أو تاريخية ، ولتؤدى رأياً عن لى أو حكماً استخلصته من وقائع شهادتها ورويتها أو نحو ذلك

ولئن كان قد تفضل الكاتبان الكيران الاستاذ توفيق دياب والاستاذ جيت فوصفى أولهما باننى رجل جد يدخر للمسائل العملية ، ونعتى الآخر باننى من أساتذة المدرسة الحديثة - على حد تعبيره - فذلك فضلهم أراهما أن يسبغوا مشكورين

وفى الحق أن كل ما كتبه غنيت به أحد أمرين أو الأمرين جميعاً : أولهما عدم وجود نظير فى اللغة العربية ، ثانيهما اظهار ماخفى على كثيرين من أدق المسائل التى كان لها فى تطور حياة مصر السياسية والاجتماعية والعلمية أثر بليغ . وإذا راجعتم كتابى « حوليات مصر السياسية » أو رسالتى « قناة السويس » أو غيرها تبين لكم وجه ما أقول

كما ان كل مطلع على الجزء الاول من « مذكراتى فى نصف قرن » - الذى ظهر اخيراً - يرى أننى كما قلت آنفاً رجل لا يعنى الا بسط الحقائق لابساً ثوب الصراحة والصدق ، وان كان نشر مثل هذه المذكرات امراً غير معهود فى الشرق

على أنه اذا كان الابن البكر عادة أعز البنين عند الآباء ، وكانت ذكريات الشباب أبدع ما يهز النفس فان رسالتى « الرق فى الاسلام » - وهى أول نتاجى الفكرى - لها فى نفسى المحل الاول . كتبت هذه الرسالة تحت تأثير فكرة نبيلة انقذت فى نفسى حين ساقتنى الظروف فسمعت محاضرة فى الموضوع من الكردينال لا فيجورى فكان من أثرها تصنيف هذا الكتيب

ولئن كنت قد حررت بالفرنسية فان صديقى العزيز المرحوم الاستاذ احمد زكى (باشا) تفضل فنقله الى العربية وكان ذلك فى عام ١٨٩٤ واليك فقرات منه :

الاسترقاق عند قدماء المصريين

كان الرقيق فى مصر عبارة عن آلة للعمل وكان أيضاً من الاشياء المعدة لمشاهد الزينة ومظاهر

الابهة . فكان الارقاء بقصور الملوك وبيت السكهان ودار المقاتلين . ثم ان الفاقة جعلت لسائر الافراد سبيلا إلى امتلاك الارقاء ايضاً . وكان الاسارى على العموم ارقاء للدولة يقومون بالاعمال والاشغال التي تستلزمها حاجات القطر او التي تدعو اليها موجبات زخرفته وتحسين هيئته . وفيما عدا هذه التشديدات الخاصة بالاستخدام في الصالح العام قد تحسنت حالة الرقيق وتلطفت كثيراً ، فكان يجوز رفع الامة إلى مقام الزوجة . ثم ان الاخلاق والعادات كانت تقضى بالشفقة على الرقيق والدفاع عنه . بل ان الشريعة كانت تجعل حوله سياجايقيه من البغى والاذى فقد قضت على أن من قتل الرقيق يقتل به

الرق في الاسلام

قبل الخوض في هذا الموضوع ينبغي لنا أن نأتى بالايجاز وبوجه العموم على ذكر الاسترقاق عند الامم المختلفة فنقول :

الرق هو حرمان الشخص من حريته الطبيعية وصيرورته ملكاً للغير . قالوا ان الاسترقاق ظهر منذ كان الاجتماع الانسانى وهو قول في غاية الاصابة والسداد ، فانه ظهر حقيقة عندما وقعت الاجتماعات البشرية الاولى أيام كان حجاب الجهالة مسدولاً على عالم الفطرة . والذي أوجب حصول هذا الفعل هو أمر سهل بسطه وإيراده . وذلك انه لما كان العمل من أصعب الضرورات وأشقاها أخذ الانسان في البحث عما يخلصه من عنائه ومكابدته فاذا بطلته بين يديه عند الهيئة الاجتماعية ، فان القوى الزم الضعيف بالاشتغال ومن ذلك نشأ الاسترقاق

ثم جاءت الحروب وتولدت الاطماع فبثت الاسترقاق في جميع أجزاء العالم وعند معظم الامم ، وصار الناس لا يقتلون العدو بل يبقون عليه ليعمل لهم . هذا واعلم ان طبيعة الاقليم ، وهى من أقوى العوامل في انحاء الجمعيات البشرية ، كان لها تأثير عظيم في زيادة الاسترقاق واتساع نطاقه ، حتى انه مالبث حتى بلغ عند الامم التي على البساطة والفطرة في جميع بلاد المشرق مبلغاً عظيماً ودرجة قاصية وانتشاراً زائداً ، فان ثمن الرقيق كان زهيداً وعمله مقيداً بالنظر إلى ما صارت اليه الصناعة والتجارة من التقدم والاهمية . ولقد كان الحال على خلاف هذا المنوال عند أمم الشمال فان تغذية الرقيق عندهم كانت تكلفهم نفقة عظيمة ولم يكن لعمله كبير جدوى ولا فائدة . فلهذا كان الاسترقاق في بلاد الشمال منذ العصور الخوالي أقل انتشاراً منه في جهات الجنوب من المعمورة . وهذا يدلنا على أن الاسترقاق هو من الامور الاقتصادية التدبيرية المترتبة على العمل والاشتغال . ولنبحث الآن في حالة الرقيق عند الامم المختلفة واحدة واحدة

فقيد الامة العربية^(١)

للشاعر القروي

لحى برغم القبر فليخسأ الردى
ولو كل موت يضمن الخلد سارعت
ولو كل حظ حظ غازى من العلى
بنيت له الملك الذى هو أهله
فكنت أساساً وزخرفت قبة
ورممت في بغداد عرشاً مهتماً
وما أنت إلا السيف أعقب خنجراً
لن أدب الجبار بالصيغة التي
وصب على رأس السفير صواعقاً
راه وقد ضل الهدى فانتضى له
يمين شريف تقعد الطود قائماً
أذابت قلوب الخائنين وفورت
ليرض عليك الله بأسبط أحمد
شفيت بهذا الموقف الحر نفسه
وكم غضب أدنى من الحلم للتقى
وما شأن ملك سامه العبد ذلة
وكم تاج ملك صار نيراً لربه
أيزعم ذو القرنين أنك عبده
تعود منا أن نعص على القذى

وقد سلم الغازى فلا يهنأ العدا
إليه ملوك الارض مثني وموحدا
تفأل بالدينا مهل فانشدا
وأطرفت ما هارون بالامس أتلدا
وزهبب آفاقاً وأطلعت فرقدا
وخلفت في الاكباد عرشاً مؤبدا
بلوناه في الجلى فكان المهندا
تداول أسماع النجوم لهاصدى^(٢)
نزلن على اكبادنا البرد والندى
يداً قدحت من عينه النور فاهتدى
ولو شاءت اليسرى أقامته مقعدا
دماً في عروق الانجليز تجمدا
فانك قد أرضيت جدك أحدا
وزحزحت عن صدر العروبة جلمدا
وأهدى الى المجد الرفيع من الهدى
وأبرق صعلوك عليه وأرعدا
وكم صولجان عادى العنق مقودا
ومثلك من يلقي السلاطين أعبدا
فعودته نسيان ما قد تعودا

(١) اخترناها له من قصيدة في ذكرى الملك فيصل

(٢) اشارة الى وقفته الجريئة مع السفير البريطاني في بغداد وقت حادثة

ليعلم عبيد التاج أنك سيد
 وأن قريشاً أعظم الخلق هيبة
 تخر منيعات الجبال مهابة
 زكا أصله قبل النبي محمد
 بتمكينه عهد من الله خالد
 تشيب الثريا قيل إنذار شديبه
 أفصل إني مرسل فيك شرّداً
 أكلّفها نوحاً فتمضي شوادياً
 كأن حروف الخط أعواد جنة
 وقلدت منها كل شطر مهندا
 إذا قرع الراوي به سمع خائن
 وحسب القوافي أنها فيك ألهمت
 فقد يهب الحق الغراب فصاحة
 سبيلك لم تسلكه إلا منورا
 وكنت لاشتات البلاد موحددا
 وكنت لاجل المجد بالمال زاهداً
 وكم خضت لاستقلال شعبك لجة
 بعيد المنى لم تلق مرساة مطمح
 مشيت له تستبطئ البرق مركبا
 أريح كبدًا حملتها كل فادح
 طعام على مضٍ وشرب على قدى
 تصبرت حتى الصبر كالليأس قاتل
 صعدت جبال الالب تنشد راحة
 كلا كل هم لو انيخت (بيذبل)
 تزيد به التيجان مجداً وسوددا
 وأكرم أخلاقاً وأشرف محتدا
 لبیت على رمل الحجاز تشيدا
 فكيف وقد ازكى النبي محمدا
 على الدهر ما كرا الجديدان جددا
 ويوشك خد الشمس أن يتجعدا
 يثبن اليك اللانهاية غردا
 أوأي أن ترثيك حيا مخلدا
 على كل فرع بلبل للعلی شدا
 يظل على هام العداة مجردا
 تذوق طعم الموت شعراً مردداً
 لأغدو بها رب البيان المسودا
 وقد يخرس البطل الهزار المغردا
 وسهمك لم ترسله إلا مسدداً
 كما كنت في الدين الحنيف موحددا
 وكنت لاجل العرب بالمجد أزهدا
 وكم جبت آفاقاً وكم جزت فدفا
 الى المجد إلا سامك المجد أبعدا
 وأدر كته تستوطئ النجم مقعدا
 من الهم يعي الشم لو كن أكبدا
 ومشى على جمر ونوم على مدى
 وحتى ذمنا في الخطوب التجلدا
 وعدت كان الالب في القلب صعدا
 لعاد (يزوفاً) يقذف الجمر والردى

حزن أب

قصة مصرية بقلم الاستاذ محمود تيمور

حدثني الراوى قائلاً : -

كانت لنا ضيعة فى الشرقية كنت دائم التردد عليها لمراقبة أعمالها الزراعية . وكنت أعرف فيها رجلاً يدعى الشيخ عساف صناعته نساج ، كثيراً ما زرته فى داره لاشاهده وقت العمل وهو يشتغل أمام نوله المتواضع البدائى . وكان يرحب بى ويقدم لى فى كل مرة أزوره فيها فنجاناً من قهوته الريفية . والرجل وسيم الطلعة وقور حلو الحديث . له لحية مقصوصة يختلط بياض شعرها بسواده ماتت زوجته منذ أعوام وخلفت له ابناً وحيداً ، هو كل عائلته . عكف على تربيته وتعليمه صناعة النسيج حتى برع فيها وأصبح ساعد أبيه الايمن . وكان شاباً جميل التكوين . قوى البنية ، تلمع عيناه ذكاءً ونشاطاً . يحبه أبوه حباً عظيماً ويكثر من التحدث عنه فى المجالس معدداً فضائله بفخر واعجاب !

وذهبت مرة الى الضيعة كعادتى فبوغت بنجر فطيع كان له اسوأ وقع فى قلبى . علمت بأن الابن مات قتيلاً تحت عجلات القطار ! . . وقصدت من فورى الشيخ عساف فى داره لأعزيه فى نكته فاكرم وفادتى وقدم لى كالمعتاد فنجاناً من قهوته الريفية . ولكنه كان يعمل كالآلة الميكانيكية بلا روح . ولاحظت عليه شحوباً وامتقاعاً فى اللون . وكنت أحس وهو يتكلم كأنه ينزع الكلمات من لسانه فى جهد . وكأنه يفتش عن الموضوعات فى حيرة ، ذلك الذى كان لا تعوزه طلاقة ولا بيان . وكانت تعزبه نوبات صمت ووجوم كان يستيقظ منها مذعوراً ويلتفت حوله فى دهشة كأنه يقول : أين كنت وأين أنا الآن ؟ . ثم يتابع حديثه بمشقة . وقد عزيت به بكلمة صغيرة اجتهدت أن أضمنها حقيقة شعورى نحوه . فاجابنى برد ساذج عادى ، ولكن بصوت خشن ونبرات مهتزة . وكان هذا الحديث القصير هو حديثنا عن الابن وعن ميتته . ولما انتهت زيارتى هزرت يده طويلاً فى صمت هزة العطف والاخلاص

ومرت الايام وتكررت زيارتى للضيعة . وكنت دائماً اسأل عن الشيخ عساف فيخبرونى أنه قليل الخروج من منزله . فأذهب اليه بدافع خفى وأقضى معه بعض الوقت . وكان الرجل يتهدم يوماً عن يوم . فازداد وجهه شحوباً وتجهماً . وقل حديثه وأصبح جافاً مقتضباً . وتقذرت لحيته وتشعثت فى شكل منفر . وبدأت ملابسه تهلهل وتعلوها الؤساخ

ورأيت منسجه غارقاً في صمته ووحدته وانقباضه ، وقد اكتسى بالغبار والغكبوت . وعلمت أن حالته المالية قد ساءت وأنه باع جاموسته وطيوره

أما منزله فصار خراباً ، لا يتنفس عن الحياة ، يخيم عليه الإهمال والصمت . فهو أشبه بقبر مهتم قديم غير صالح حتى ولا للاموات

وكان الرجل يزورني في الدوار بعض الأحيان عملاً بواجب المجاملة . وكان يقضى جل الوقت صامتاً منكس الرأس يجترهمه على مهل مستطعماً إياه . ولم يحدث أن فاه بكلمة واحدة عن ابنه وجاء مرة . وبعد تناوله القهوة رفع رأسه وسألني قائلاً : ألا تستطيع أن تخبرني ياسيدي اليه بما يحس به الشخص الذي يموت قتيلاً تحت عجلات القطار وما مبلغ ألمه ؟

فبوغت وحاولت عبثاً إخفاء ارتباكى . ولكنني قلت له : أظن أنه لا يحس بشيء . إنها ميتة سريعة ! فجهر بصوته وقال في تأكيد : يقينى أنه يتألم أشد الآلام !

واحتقن وجهه وغارت تجاعيده أكثر من الأول واحمرت عيناه المربدتان ونفرت عروق رقبته واحتل تنفسه . فاحترمت ألمه ولم أجب . وظل هكذا برهة في ثورة صامتة . ثم هدأ تدريجياً وعاد إلى خوله الأول

ومرت الايام أيضاً وتكررت زيارتى للضيعة والشيخ عساف ينحدر من سبيله الى أسوأ حتى صار كالهيكل . وكان إذا سار قليلاً ظهرت عليه بوادر الاعياء . وكان دائماً مستغرقاً في صمته القلق وذهوله المضطرب ... حقاً لقد كانت حالته تدعو إلى التألم والرثاء . ولكن لم يكن في استطاعة أحد أن يعمل شيئاً من أجله . ومكثت مرة في الضيعة أسبوعاً رأيت في خلاله الشيخ عساف مرة واحدة . جأني عشية سافرت إلى القاهرة وكنت في الحديقة بمفردى تاركاً نفسي تسبح في خوها بعد يوم كله كد وتعب ، وكان السكون الفظيع يخيم على المكان

حيانى الشيخ وجلس أمامى وهو ينهج من تعب المسير . وبعد ان استراح قليلاً بادرني بقوله : — لقد قصدتك في حاجة ... فهل أنت قاضيا لي ؟

فقلت وقد تحققت أن الرجل في ضيق مالى : طلبك محاب يا شيخ عساف ... كم تطلب ؟ فنظر إلى مستغرباً وقال : لا أطلب نقوداً يا سيدى

— إذا ماذا ؟ ...

— أسمح لي بمرافقتك إلى « الزقازيق » غداً ؟

فنظرت اليه في دهشة ولم أجب ، وابتسم ابتسامة خفيفة وقال :

— أريد ان أرى الدنيا ... أن أتفسح قليلاً ... أن اتفرج على خلق الله وعلى المدينة

الكبيرة التى لم أرها إلا مرة في صباى ... هل في طلبى هذا ما يثير العجب ؟

وكان يتكلم بلهجة مترنة رقيقة وقد بدأ وجهه يشرق إشراقه القديم . وأمسك يدى وجعل

يلطفها في الحاح وهو يقول : ألا تيجيني إلى طلي . . . ؟
فقلت له وأنا مازلت متحيراً : أحبيك إليه إذا كان هذا يسرك
فلمعت عيناه وقال : يسرنى جداً . . .

ومن ثم أخذ يسامرنى بشيء من طرائفه القديمة التى كدت أنساها لطول عهدي بها . وكان
وهو يفعل ذلك كأنه يحلو الصداً عن تحفة غالية مهملة ويعرضها من جديد لأمعة تستهوى القلوب
ولم يطل مكوته معى إذ حل عليه « الوخم » سريعاً فاعفيتها من جلسته . وقام وهو يشكرنى ويكرر
لى عزمه على مرافقتى الى الزقازيق

وفى صباح الغد أعدوا لنا العربى ذات البغلين المهدمتين . واعتلى مقعد القيادة رجل فلاح بلبدة
سمراء وجلباب « مزهر » وكان فى يمينه عصا طويلة لينة يستعملها كرباجا . وصعدت الى العربى أنا
وناضر الزراعة وانتظرنا محيى الشيخ عساف . ولما طال بنا الانتظار قال لى الناظر :

— ان الرجل لن يأتى على ما أظن . واخشى ان يفوتنا القطار

فاجبته قائلاً : وهذا رأيى ايضا . . . هلم يا اسطى

وما كادت العربى تتحرك حتى سمعنا صوتاً متقطع الانفاس ينادينا . فالتفت فاذا بالشيخ عساف
يجرى صوبنا — حسبما تساعد قوته — وهو يشير علينا بأن نتوقف . فامرت الحوذى بأن يقف .
وجاء الشيخ عساف وصعد الى العربى وتهالك على المقعد فى حالة تشبه الاغماء وهو يتمتم قائلاً :
— كادت تفوتنى هذه الفرصة . . .

وسرنا وبدأ الشيخ يستعيد قوته . وبذل ما فى وسعه ليسامرنا ولكنه اخفق . اذ كانت موضوعاته
مشوشة مبتورة ولهجته مضطربة مختلة . وكان ينسى نفسه فيستغرق فى وجوم عجيب . وتصيبه
الرعدة بعض الاحيان كأنه مقررور او محموم

واخيراً وصلنا وترلنا من العربى واتجهنا صوب المحطة . ثم قصدنا « البوفيه » وطلبنا قهوة
وسجائر . وقل كلام الشيخ حتى اصبح نادراً . وعكف على قهوته يحتمسها وعلى سجائره يدخنها .
ولاحظت عليه شيئاً من امتناع الوجه . وكانت شفتاه ترتعشان من وقت لآخر

واخرجت ساعتى وقلت : باقى خمس دقائق على وصول القطار

فرفع الشيخ عساف رأسه وقال وهو يستعد للقيام : هلم . . .

وقمنا الى الرصيف . وبعد قليل سمعنا هدير القطار . ثم رأينا يهجم على المحطة هجوم الغازى
المتصر . وبينما كنت مهتماً مع الناظر والشيال باعداد الحقائق سمعت صياحاً عالياً تبعته جلبة وهرج
ثم شاهدت ازدحاماً على جهة من الرصيف وطرق سمعى هذه الجملة : — لقد تهشم وتقطع اربا
وهرعت صوب الزحام واستعطت ان ارى تحت عجلات القطار بقعا من الدم وبقايا ملابس
ولحم آدمى مفروم . والتفت حولى افتقد الشيخ عساف فلم اعثر له على اثر . . . !

الخطيب والجمهور^(١)

للدكتور نقولا فياض

ان بين الخطيب والجمهور صلة نسب وقرابة ولكنها ليست متينة الاسباب في كل حين ، وهذا ما يجعل موقف الخطيب حرجاً ، فان الجمهور مؤلف من طبقات مختلفة وفيه العالم والامي والقنوع اللين العريكة والعنيد الصلب الشكيمة . فاذا كان الخطيب بمن الفوا المنابر واعتادوا على تلك الوجوه الشاحصة اليهم والعيون المحدقة بهم فقد وجد السبيل ممهداً أمامه وكان فوزه أكيداً . وإذا كان على خلاف ذلك أو هو يخطب للمرة الاولى فقد عز مطلبه ووعرت طريقه وكان من الواجب قبل كل أمر أن يستميل الحضور اليه وأن يهيئ نفسه لقبول ما قد يصدر عنهم من ضجة أو ضحك أو مقاطعة أو غير ذلك ولا سيما إذا كان في الحفل كثير من العامة كما يحدث في الاجتماعات السياسية أيام الانتخابات ، وهذا أمر قليل الوقوع عندنا لعدم توافر الاسباب الداعية اليه

وربما ساء الخطيب قلة الاقبال عليه وعدم امتلاء النادى بالسامعين . فعليه أن يدافع هذا الاثر ويتغلب على غيظه ويلقى خطبته بكل ما أوتي من حماسة حتى اذا خرج الناس معجبين بما قال كان لخطابه صدى جميل في المحافل والاندية لا يلبث معه حتى يتغير اعتقاد الناس فيه فيأسف من قصر عن الحضور ويعاهد النفس ألا يدع فرصة تفوته فيما بعد لسماع هذا الخطيب

ومثل ذلك إذا كان السواد الاعظم من عامة الناس الذين لم تسمح لهم أعمال الحياة ومطالب الجهاد أن يتوسعوا في الثقافة ، فلا يكون هذا مشبطاً له لانه لا يشق عليه أن يستميلهم ويملك عليهم نفوسهم ولو لم يعوا كل ما يقول . فان السامع الامى كالفقير الذي يعرف أنه لا يستطيع أن يلبس الخبز والديباج ويروقه مع ذلك مرأى هذا الزهو وربما حصل عليه بالتصور . فهو أى السامع يدرك أن في كلام الخطيب ما يسمو عن مداركه أحياناً ولكن يسره أن يسمع ويرى ، وقد ترضيه من الخطيب بعض الظواهر أو الحركات فتلقى ستاراً على جهله ويمحو من ذهنه أثر العجز الذي هو فيه فيخرج مسروراً مسحوراً لان حكم الجماعات يكون عادة حسب الاهواء والشهوات والتأثيرات النفسانية

وقد يقف خطيبان أو أكثر في ناد فيأتى الواحد بأبلغ ما يمكن ويلم بموضوعه من كل أطرافه ولا يترك شاردة إلا قيدها . ويقول الآخر كلاماً سطحياً لا يدل على تعمق في الدرس ولا اجتهاد في

البحث ولكنه يأتي ببعض النكات المستظرفة فينال من الاستحسان والتصفيق أضعاف ما نال الاول
الا أن هذا الفوز عارض لا يلبث حتى يزول عند ما تنقش غيمة التأثير الخطابي وينشر قول هذا وذاك
ويطلع القراء على فخاها ويسهل لكل في خلوته أن يبدى حكما صحيحا بعيداً عن التأثيرات
الخارجية

ولا يجوز للخطيب أن يحتقر العامة لان غايته في الغالب هي التهذيب والارشاد والاصلاح ، ولا
يصل اليها بالازدراء بسامعه بل هو بهذا الاحتقار يخولهم الحق ان يحتقروه . وأول ما يجب عليه في
هذه الاحوال أن يتعرف الى اهوائهم ويحاربهم في مشاربهم أحيانا فقد لا تكون بعيدة عن الصواب ،
وأن يصغى الى كلامهم فالحكمة قد تأتي من فم الجاهل ، وأن يتبع المثل الاعلى الذي يريد ان يرسمه
للناس فلا يأنف من عرضه عليهم ولا يئأس من تقريرهم منه

من العقبات التي تعترض الخطيب وهو على المنبر أن لا يفهمه كل انسان فتقوم المعارضة من كل
ناحية لان هذا الجمهور المختلف الطبقات والامزجة والتربية والغاية يسرى فيه الف مذهب والف
عقيدة والف وهم . وعلى الخطيب أن يؤلف بين هذه القوى المتباينة ليقودها في طريقه ولا يتم له ذلك
إلا بالصبر والحلم وطول الاناة والتسامح . وهو يسعى الى ارضاء هذا الجمهور ولكن لا من طريق
الاكراه الذي يقضى إلى الفشل . فاذا دافع عن رأيه فلا يكون دفاعه بمحاولة هدم مذهب سواء
فان لكل رأى مظهراً من مظاهر الحقيقة ولم نسمع أبداً أن كل الناس خرجوا من حفلة خطابية
راضين مقتنعين . وقد كان والدك روسو يقول عن نفسه : « أنا اطلب من كلامي نجاحاً لا انتصاراً »
وهذا ما يجب على كل خطيب أو مناظر أن يضعه نصب عينيه . وخطاب أنطونيوس في مقتل قيصر
أبلغ مثال يقدم على ذلك

وقد تكون المعارضة عن اخلاص أو سوء فهم أو حب بالظهور ، فاذا أدرك الخطيب ذلك عرف
أن يعطى لكل مقام مقالا ولكل جواب حالا
أما المقاطعة فلا يجب أن تخرجه عن جادة الموضوع لانه لا يخطب لواحد بل لجماعة وليض في
كلامه حتى النهاية إلا اذا كان حاد الذهن حاضر البديهة فيرد على من قاطعه بكلمة ثم يعود الى موضوعه .
واذا لم يوفق الى سرعة الرد فليمر بالاعتراض مر الكرام ذلك خير من أن يقول قولاً لا معنى له أو
فيه شتيمة وسباب

لما اعتصب عمال السكة الحديدية في فرنسا وعددهم يربو على ١٥٠ ألفاً ، لجأ الوزير بريان الى
اصدار أمر بالتعبئة العامة فكانت الوساطة الوحيدة للتغلب على الثورة والضرب على أيدي المعتصين
بدون أن تسفك قطرة دم . وكان ذلك في أثناء عطلة البرلمان ، فلما حان انعقاد الجلسة الاولى
للدورة الجديدة كانت الافكار في غليان والخواطر في هيجان والنواب تتحفز للوثوب معترضة على
هذا العمل الاستبدادي في الظاهر . وجاء بريان لتقديم الحساب فعلت الاصوات من كل جانب :

«ليسقط الدكتاتور . ليسقط الكابورال» . فوقف في مكانه جامداً الى أن أتيح له فرصة ليرفع صوته فصاح بهم : « دكتاتور ؟ مسكين أنا . مالكم أيها السادة إلا ان تقولوا كلمة أو تبدوا إشارة فاترك هذا المنبر بلا أسف وأعود إلى مكاني في صفوفكم خادماً بسيطاً لهذا الوطن » كلات وحيزرة ولكنها قوية بمعناها ومطابقتها الحال فجاءت كالماء على الجمر فهدمت حدة التأثيرين وهدمت ثورة الصائحين ، وأمكن بريان أن ينطلق في حديثه مبرراً عمله فاذا بالغضب يتحول رضى والجلبة تنقلب سكوتا والنفور يعود اطمئنانا . وبعد ان كان هدفاً لسهام الناقدين نزل عن المنبر بين الهتاف والتصفيق ومصافحة المهنيين . ولكن ليس كل الخطباء مثل بريان ولم يؤت سرعة البداهة كل انسان . وكمن أصحاب العقول الراجحة من يفتقر اليها فقد كان جاك روسو يقول عن نفسه : « لم أستطع عمري ان أؤتي جواباً موففاً الا ربع ساعة بعد الوقت الملائم »

والمقاطعة في حادثة بريان وقعت قبل أن يتكلم ولا أدري هل تكون أشد وقعاً لو جاءت في عرض الخطاب فكانت كالصخر الذي يلقي في مصب السيل فينحرف به حيناً عن قصد السبيل ! . على كل حال ليس على الخطيب من جناح إذا لم يحضره الرد فوراً ولا يلام إذا حاول الجواب فقال مالا معنى له ولا فائدة منه . مثلاً قد يسمع الخطيب مقاطعاً يقول : هذا كذب ! فيجيبه : أنت الكاذب لا أنا . مثل هذا الجواب أفضل السكوت عليه ألف مرة

ومن أجل ما يذكر من المقاطعة عن خطباء العرب ما حكاه صاحب العقد الفريد عن زياد عن مالك بن أنس قال : « خطب أبو جعفر المنصور فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اتقوا الله . فقام اليه رجل من عرض الناس فقال : أذكرك الذي ذكرتنا به . فاجابه أبو جعفر بلا فكر ولا روية : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله . وأعوذ بالله أن اذكرك به وأنساه . فتأخذني العزة بالاثم . لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . وأما أنت فوالله ما الله أردت بهذا ولكن ليقل قام فقال فعوقب فصبر . وأهون بها لو كانت . وأنا أنذركم أيها الناس أختها فان الموعدة علينا نزلت وفيها انبثت » ثم رجع إلى مكانه في الخطابة

إن السكوت والتوقف عن الكلام حيناً خير من الجواب على المقاطعة اذا لم تات بمثل هذه البلاغة ، ولا سيما اذا كان المقصود منها الاضرار بالخطيب والتشفي . وهذا السكوت الدال على عدم الاكترات بالمقاطع يعد مقدرة وترفعاً محموداً . وأما اذا كانت المقاطعة للاستفادة والتعمق في البحث فقد يستطيع الخطيب مواصلة حديثه اكتساباً للوقت مع التفكير في الرد في آن واحد الى أن يحضره الجواب اللائق الموافق وهذا من وراء الغاية

ويحسن بالخطيب حينما يخلو الى نفسه أن يعيد في ذهنه ما جرى في الحلقة وليتذكر موقف الجمهور والمقاطعين وينظر فيما اذا كان قد أحسن التصرف ازاء هؤلاء وأولئك . ففي هذا التفكير درس وعبرة

الامبراطورية العربية^(١)

وهل آن أن تتحقق

بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام

تكاد تكون حلما وقد كانت حقيقة ، ويكاد ينكرها أهلها ، وكانوا لا يتصورون الحياة بغيرها !
أرأيت إذن كيف تذلل النفوس وتراخي الهمم ؟

كنت أتحدث مع أحد محرري « الهلال » عن الوحدة العربية والدولة المنتظرة كنتيجة لهذه الوحدة ، وكلما أفضت في الحديث نظر الى كمن يستمع الى حلم لذيد ، ثم سألتني أن أظهر على الناس بهذه الفكرة فلعلى واحد من يؤمن بها

وماهى بدعوة جديدة ولا فيها غريب ، بل هى الاصل . واستسلام العرب فى المشرق والمغرب للعيش بغير دولة هو الغريب !

فهمأنذا أسأل العرب فى آسيا وافريقيا ، بل أسأل المرتابين فى مستقبل هذه الامة العظيمة أن يذكروا ماضيهم

ليذكروا امبراطورية الامويين والعباسيين والفاطميين والموحدين والمرابطين والحفصيين .
ليذكروا مئات السنين التى كانت فيها امبراطورية العرب زاهية عزيزة

ليذكروا ذلك فيؤمنوا ببعثها ، فما مات العرب وانما غشيهم النعاس . وقد تضاعف عديدهم واتسعت أوطانهم

ليذكر المرتابون دولة الخلفاء الراشدين ، وقد بسطت فى عشر سنين سلطانها على ملك كسرى وقيصر

وقد كان ملك كسرى وقيصر أعرق حضارة وأكثر علما وأعظم نراء . ولو أن رجلا ساح فى ذلك العهد ببلاد الفرس والرومان ورأى قلب الجزيرة ثم بعث اليوم ليطوف العالم ، لشهد بأن الامة العربية الحالية فى مكان مهيأ لاقامة الامبراطورية أكثر مما كان عليه أسلافها وقت أن غيروا وجه البسيطة

(١) اخترناها له . . .

فاذا تحدثنا عن قيام هذه الامبراطورية اليوم ، فاما نستند الى حقائق تاريخية وواقعية والى قوى طبيعية ظاهرة وكمينة فى سبعين مليوناً من البشر

أرأيت لو أن رجلاً فى القرن السابع الهجرى رأى عمر بن الخطاب قبل عشر سنين من توليه الخلافة وأوحى اليه أن عمر سيكون بعد عشر سنين وارث كسرى وقيصر ، أكان يرتاب فيما أوحى اليه أم كان يؤمن به ؟ ومع ذلك فقد رأى الناس عمر يدوياً ضالاً ورأوه سيد العالم . فما بال المرتابين من العرب ينكرون اليوم أن نقول إن سبعين مليوناً تربطهم عقيدة دينية ولغة موحدة وعرف مشترك يصلحون لاقامة امبراطورية

فى أوائل القرن الماضى كان بين مرتقة الجند فى القاهرة رجل يعيش فى عش الفوضى والاضطراب بين قوم عمهم الجهل وسادت فيهم الخرافات . ذلك الرجل لم يمت حتى أقام امبراطورية عربية

فلو أن سائحاً تعرف الى محمد على بين طائفة « الباش بوزوق » من الارانطة وقيل له ان هذا الجندى سيملك مصر والسودان والشام والحجاز ونجداً كان يسخر من ذلك القول ، أم كان يؤمن به ؟ ومع ذلك فقد رأى الناس محمد على على رأس الامبراطورية العربية

وفى أواخر القرن الماضى ظهر رجل فى جزيرة « أبا » فى النيل الابيض كان يحترف فى دنقلة وغير دنقلة تعليم القرآن للصبية ويطوف البلاد لا يؤبه له . ولم يمت هذا الرجل حتى هزم الدولة المصرية والدولة البريطانية جميعاً . وما كان أحد ليدرى مصير الدولة التى أقامها لو امتد به الاجل ، ذلك هو محمد احمد المهدي . وقد قام على أعقاب رجل من البقارة رؤى فى كردفان يسوق حماراً هو كل ما يملك ويصحب زوجته وولده . ورؤى هذا الرجل بعد عشر سنين ملكاً عظيماً كان بعض ضحاياه امبراطور الحبشة نفسها ، ذلك هو عبد الله التعايشى

وفى أوائل هذا القرن كان عبد العزيز بن سعود ضيفاً لاجئاً مع أبيه عند أمير الكويت . وهو اليوم يستطيع أن يعبى ثلثمائة الف مقاتل لا يعرفون لغيره امراً

والعرب اليوم ملأوا الارض يعمرن المنطقة المعتدلة فى غربى آسيا وشمالى أفريقيا وهم من أشد الاقوام بأساً . كما هم فى أمصارهم من أقربهم الى مناهل العلم والحضارة فاذا قيل انهم على أبواب الخروج للعالم بالدولة التى تليق بعظمتهم التاريخية والحالية ظن المرتابون أننا نسبح فى حلم لذيذ

ليس بين العرب وبين بعثهم مرة أخرى إلا أن يؤمنوا بأنفسهم وأن يؤمنوا بوجودهم . فقد اقتنوا بعظمة غيرهم حتى نسوا ذلك الوجود

وليس بين العرب وبين الامبراطورية التى تمثل عظمتهم إلا أن يكونوا كاليابانيين والصينيين والروس والترك والافغان والفرس مؤمنين بأنهم أمة لها حق تقرير مصيرها

وقد اخترت هذه الامم للمثل لان العرب في مجموعهم ليسوا أقل منها نضجاً ولا حضارة
ففي اليابان وروسيا عشرات الملايين من البشر الذين لا يمتازون عن البقارة في جنوبي كردفان
أو العجمان في شرقي نجد . ولا يدرون من الحياة إلا أن يكدوا كما تكد النمل للعيش على غذاء
من الارز أو البر . وإنما هي العزة القومية والمثل الاعلى والقدوة الحسنة هي التي جعلت من هاتين
الامبراطوريتين أكبر دول العالم

والامة العربية موجودة بصفات محدودة وهيئة مستقرة فهي ليست في دور التكوين . بل هي
مخلوق حي كامل الحلقة وما الامبراطورية التي تتحدث عنها إلا مظهر لكائن حي ما يزال في محنة
الشك في نفسه والريب من قدره

لقد أتيت لي ان اخالط الشعوب العربية في افريقيا وآسيا . وبالرغم من الحدود المصطنعة التي
تفصل هذه الشعوب ومن الاستعمار الاوربي الذي يعمل على حل عرى الوحدة فيها . بل بالرغم من
انحدار دماؤها من الاصول السامية والحامية . فان الامة العربية الحديثة هي وحدة اجتماعية وثقافية
وليدة تاريخ مشترك لها خواصها الظاهرة والخفية التي تميزها عن غيرها من الشعوب والامم
وهي بحالتها الراهنة - التي هي نتيجة لفعل الاربعة عشر قرناً الماضية - جديرة بأن تحتل
مكانها بين أمم العالم العظيمة الموحدة

ففي برقة أو نجد أو بحر العرب أو على الفترات . وفي لبنان أو في الاطلس . أمة ذات مزاج
مشترك لها عقيدتها ولسانها وعرفها تجمعها الكليات وان اختلفت الجزئيات
داؤها في العراق والشام ومصر والسودان والمغرب هو الفتنة ، فقد فتتوا جميعاً بعظمة الغير ،
ونسوا أنفسهم . ودواؤها الدعوة الى الايمان بالذات والمثل يضربه أفذاذ الرجال ليشوا به الايمان
قد يقول بعض الناس : اننا لانكر أن الناطقين بالضاد أمة واحدة ، ولكن أنى لهذه الشعوب
المنتشرة في آسيا وافريقيا أن تتعاون في امبراطورية واحدة ؟

فان كان هذا هو كل مايجعل الدعوة مستحيلة فليذكر المعارضون ان للانجليز في افريقيا وحدها
ملكاً هو أوسع من أرض الامة العربية . وفي الهند من البشر خمسة اضعاف عدد العرب يحكمهم وال
واحد . وفي الامبراطورية الروسية سيبيريا وحدها أوسع رقعة

ولو ذكر العرب دول آبائهم في الامبراطورية الاموية أو العباسية أو الفاطمية وذكروا مواصلات
ذلك العهد لعلموا كيف سمت الثقة بأبائهم وقصر اليأس بهم

والآن وقد قربت الى الاذهان فكرة الوحدة ، هل لي ان اشير الى بعض الضرورات التي
تقضي على المفكرين أن يتخذوها شعارهم اذ لا مستقبل للشعوب العربية بغيرها ؟

نحن في القرن العشرين في عصر التناطح بين كتل بشرية ضخمة ، والتنافس بين قوى مجتمعة
تستند الى موارد متعددة من الثروات الطبيعية ، فلا سبيل لمجاراتها والعيش معها على قدم المساواة ولا

سبيل لان يكون لأمتنا صوت مسموع في الدنيا إلا اذا كانت لنا جبهة متراسة تعد وراءها عشرات الملايين وتستمد لها العيش والرخاء من ثروات متنوعة في الزراعة والصناعة
فن المستحيل على الشعوب القليلة العدد المستندة في عيشها الى غلة واحدة أن تتقدم الى الصدر في محضر الامم الكبيرة . بل لابد أن تعيش ذيلاً وعالة على غيرها

نحن في عصر « الكارتل والترصت » وقد مضى زمن الدكان الصغير . فهل يظن العراقيون أو الشاميون أو المصريون أنهم يستطيعون الوصول الى حياة محترمة بغير الوحدة ؟ وليذكر قادة الرأي وأهل البصر ألا وجود للدولة قبل النهضة ولا بقاء لها بغير الامن والسلامة ، ولا أمن في العصر الحاضر لغير القوى الكشيفة . وهنا يحسن بي أن ألفت مواطني المصريين الى قول نشر للاستاذ ويحال العالم الاثرى الذي مات أخيراً . فقد قال وأثبت بشواهد كثيرة أن مصر كانت على الدوام امبراطورية إلا حين كانت تستولى عليها أمة أجنبية ، وانها اذا شامت أن تستقل في هذه الايام وجب عليها أن تنظر الى تاريخها القديم وتعتبر به لانها بين أمرين لا مفر منهما : إما امبراطورية تستولى على طرابلس والسودان وفلسطين وسوريا واما أمة مغلوبه يحكمها غيرها وتستبد بها دولة أجنبية . وذلك لان مركزها الجغرافي - وهي محوطة بالصحارى المفتوحة من كل ناحية - يجبرها على أن تؤمن حدودها بعبور هذه الصحارى والتغلب على الشعوب القاطنة بعد حدودها . وكلما تراخت قبضتها على هذه الامم وانحسرت امبراطوريتها وقعت فريسة للفاتحين . وقد ضرب ويحال مثلاً بالاسرة الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والبطالسة والفاطميين والايوبيين ومحمد على . وهو حق لا مراء فيه . وكم كنت أشعر به وقت أن قاتلنا الانجليز على حدود مصر الغربية سنة ١٩١٦

وقد من الله على مصر الحديثة بأن بسط حدودها شرقاً وغرباً ، فجعلها قلباً في جسم أمة عظيمة تمتد من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلسي . فهي في وسط إخوة في العقيدة والدم واللغة فيجب عليها أن تستفيد مما أحدثته العصور الاسلامية وأن تكون في طليعة الدعاة الى الوحدة . فليس لها سلامة بغيرها كما أنه لا حياة لبقية الشعوب العربية بدونها
والنتيجة ان الدعوة الى الامبراطورية العربية ليست حلماً يلهي الخيال الواسع ، بل هي تستند الى حقيقة تاريخية والى ضرورة حالة . فالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعوب العربية تستلزمها . وهي الضمان الوحيد للاستقلال والحرية والسلم الداخلي والخارجي لهذه الشعوب
وأخيراً أرجو ألا يسيء أحد فهم هذه الدعوة فلست أقصد بكلمة الامبراطورية العربية غير الوحدة على أى مظهر تحققت : وليس الغرض تغلب قبيلة على قبائل أو امير على امراء أو استئثار اقليم ببقية الاقاليم وليست تصوراً لنظام دون آخر ولا هيئة من الهيئات التي تكون عليها الدولة دون أخرى . وانما أول القصد وغايته التعاون بين الشعوب العربية لتكون جبهة واحدة تسير على ضوء المثل الاعلى الذي يخرجه مزاجها المشترك الى الغاية السامية التي هي جدرة بالامة الحرة الكريمة

السعادة وأركانها الأربعة^(١)

بقلم الاستاذ أمين الربيعاني

قلما تجد في حياة المرء نعيماً لا يحول، أو بؤساً لا يزول. فقد تجيء قسمة بعض الناس مناصفة من الاثنين. وهم مع ذلك يتذمرون. وقد يجيء النعيم راجحاً في كفة آخرين. وهم مع ذلك غير راضين. أما القسم الأكبر من اخواننا في الانسانية فهم الذين يحق لهم التذمر، لو كان التذمر يفيد، لان نصيبهم من البؤس اكبر

كيف التوصل اذاً الى عكس هذه الحال؟ كيف السبيل الى ترجيح النعيم في قسمة الناس اجمعين؟ إن الحالين ولا ريب يتعاقبان في حياة كل انسان

وليس النسيان طوع الارادة. فالمرء ينسى أيام بؤسه ما لقي من نعمة وهناء (حتى أيوب الصديق نسي ذلك) وقلما ينسى الانسان حين سعادته أنه كان من المظلومين البائسين. أى أنه ينكر فضل الزمان عند ما يقلب الزمان له ظهر المجن. قد ملأ أيوب الارض صراخاً وتذمراً لانه بعد نعمة سابقة ابتلى في ماله وجسده. ولو ذكر الاولى لهانت عليه الثانية

ولكن الحكيم والجاهل في هذا سواء. لذلك نطلب للاثنين حماية العلم والشرائع والدين. لان بها يعم النعيم ويخف البؤس بقدر الامكان في حياة الانسان

أجل. إن الواجب الاول على الدين والعلم والشرائع هو أن تساعد في تحقيق أمل المصلحين الاعلى. وهو أن يكون الخير الاكبر نصيب العدد الاكبر من الناس. ولا ريب اننا سائرون في هذا السبيل. لا ريب عندي أن عدد الذين يتقاسمون اليوم النعيم والبؤس هم اكثر جداً من عدد أمثالهم في أيام توت عنخ آمون. وسيزداد هذا العدد. وسيرجح في القسمة الهناء كلما تقدمنا في العلم وفي الاصلاحات الاجتماعية.. أما أسباب هذا التقدم فمن اهمها اصلاح الانسان نفسه. وأهم ما في هذا الاصلاح هو أن يعلم الحقيقة الكبرى ويعمل بها. وهذه الحقيقة هي أن هناء العيش لا يقوم بغير أربعة اوجه هي: صحة الجسد. وصحة العقل. وصحة الروح. ثم اليسر أو الاستغناء. قد تتعدد الطرق الى ذلك. وقد يختلف في بعضها الحكماء. ولكنني اقدم للقارىء ما هو عندي في أعلى منزلة اليقين. وجله ثمرة الخبرة والامتحان

(١) اخترناها له...

كيف تحفظ أو كيف تستعير الصحة والعافية :

- ١ — لا تعود نفسك الأدوية والمقويات
- ٢ — لا تلجأ في تخفيف ألم أو إزالة هم إلى المنبهات والمخدرات
- ٣ — لا تتعود الهوادة فيما تعتقده لازماً لصحتك
- ٤ — لا تسترسل في الملهيات . ولا تطاق العنان للشهوات
- ٥ — نم مبكراً و قم مبكراً
- ٦ — عود نفسك التنفس تنفساً علياً بضع دقائق كل يوم . قف امام النافذة أو في الهواء الطلق واملاً رثيتك من منخريك وافرغهما من فمك
- ٧ — كل ما تشتهي نفسك . ولا تأكل لتشبع . لتكن القاعدة أنك عند ما تنهض من المائدة لا تشعر بأن لك معدة . وإذا انحرف مزاجك اذكر كلمة النبي محمد واعمل بها : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء »
- ٨ — صم اسبوعاً أو اسبوعين في اول الربيع
- ٩ — عود نفسك الرياضة في العراء كأن تتعلم السباحة مثلاً أو الصيد أو ركوب الخيل أو « التانيس » . وإذا كان عملك أو حالك لا يسمح بذلك فمارس قبل النوم وعند ما تنهض في الصباح بعض الحركات ترويضاً للجسد
- ١٠ — اغتسل بالماء البارد صباح كل يوم . واذكر وانت تتنشف ان جسدك هيكلمفدى لله فاحفظه سليماً طاهراً نقياً
- ١١ — امش الى عملك أو امش نصف ساعة على الأقل كل يوم تستنشق هواء الصباح فترقص الحياة في دمك ، وينور الورد في خديك . امش وأنت مدرك أنك جزء صحيح سليم من الكون . امش وفي خطواتك وفي قلبك خفة الطيور وطرب الطيور رأيت ذات يوم شاين يتصارعان ، فقال المشاهدون للغلوب : لا يمكنك أن تغلبه وهو يتمرن ، ويمشى ، ويغطس في الماء البارد كل يوم وهناك في حفظ الصحة وصية أخرى ، هي الوصية الاخيرة . قد أشرت فيما تقدم الى التذمر ولم أذكر الحسد شقيقه الاول . فالتذمر اذا كنت مريضاً يزيد في مرضك ، وإذا كنت فقيراً لا يغنيك . وقد يزيد فقرك لانه يبعد عنك الاصحاب . وفيهم من يستطيع مساعدتك . وإذا كنت في محنة فالتذمر لا يزيلها ولا يخففها . أما الحسد فقد يذهب بكل جمال بشرى - بجمال الروح وجمال العقل وجمال الوجه أيضاً . إياك إذن والتذمر وإياك والحسد هذه الوصايا الصحية تغنيك اذا واطبت عليها عن الطبيب ، وهي الركن الأول للسعادة أما صحة العقل وما يحىء معها من القوة واصالة الرأي والحكمة فقوامها المطالعة والتفكير :

- ١ - طالع ولو ساعة كل يوم ما يلذ ويفيد من الكتب والمجلات
٢ - تجنب الروايات المهيجة للأعصاب والمثيرة للشهوات
٣ - لا تنظر الى الحياة ومشاكلها من وجهتك الخاصة فقط ، بل انظر اليها من وجهة جارك
ووجهة خصمك أيضا . واذكر ان لكل مسألة وجهين على الأقل
٤ - كن منصفاً في أحكامك ، مخلصاً في آرائك ، صادقاً في أقوالك ، عادلاً حتى في نفسك
٥ - لا تدع الصغائر تزججك ، فتضعف بتكرارها المناعة النفسية ، فلا تقوى إذ ذاك على
مقاومة الكبائر المفجعة

- ٦ - ادخر من قواك العقلية والروحية لايام المحن والكروب
٧ - اخل بنفسك ساعة أو نصف ساعة كل يوم ، قستريح عقليا وجسديا . واذك كنت
مضطرب البال أو مكتئبا أو غاضبا فهذه الساعات تعيد اليك السكينة والرضى
٨ - واذكر ان في مضمار الحياة تتبارى العقول على الدوام ، وان الفوز للعقل القوى المرن
المجرب السريع في التفكير الدقيق في التحليل

أما الصحة الروحية فركنها الاول الايمان بالله ، ولكن هذا الايمان لا يتفع إلا إذا تمثل
في حالك ، وفيما يربطك بالحياة وبالكون ، أى في الشوق الذى يتمثل في الحب ، وفي الحب الذى
يربطك بالحياة ، وبالا مل الذى يربطك بالكون

عندما تحلو بنفسك اذن ، اجلس مستسلما مسترخيا عقلا وجسداً ، ثم اغمض عينيك ولا
تفكر فى شيء ، وبعد الاستراحة ، وأنت في فيض من الاثير الطيب ، ابدأ بتأملاتك الروحية
تأمل نفسك جزءاً من الكون الذى كله نور وصحة وقوة ، وقل : اللهم زدنى قوة وصحة
ونورا . ثم تأمل نفسك جزءاً من المجتمع الانسانى الذى ينبغى ان يكون كالجزء الاول ، صحيحا
سليما وقل : سأبدأ اللهم بنفسى فتصلح نفس جارى ، ثم تأمل نفسك جزءاً من اسرة تقاسمها
تبعة الحياة ، او تدير شؤونها ، وقل : عونك اللهم فى كل ما فيه حب وتساؤل وحكمة واعتدال
ولا يفوتك ان الطمأنينة والسكينة هما من اركان الصحة الروحية ، فكن هادىء البال
صلب العود فى الملمات ، كن ثابت الجأش فى الخطوب ، واذكر دائماً ان ليس هناك خطب
بشرى تتناهى عنده الآلام والاحزان

بقى الفقر او الاتكال المادى فهو ، وان سلم الجسم والعقل والروح ، سم السعادة . وما
الترياق لهذا السم غير العمل الذى ينبغى ان يكون مقرونا دائماً بكرامة النفس ، والثقة بالنفس ،
والاتكال على النفس . واذك فشلت فى مساعيك اولا وثانيا وثالثا ، فاذكر ان لا شيء يدوم غير
دولاب الحظ الذى يدور على الدوام . على انى لا انصحك ان تتكل عليه فى غير امل مقرون
بعمل . واذك افلح سعيك فلا اوصيك بالقناعة لانى اعلم ان القناعة سجن الآمال . اجل . ان
المرء لا يجد قسما من سعادته فى العمل الدائم ، كما انه يجد السعادة الكبرى فى النجاح المستمر

ملكة تدمر

من قصيدة للاستاذ شبلي مطرا

سمراء نافرة نفور الجؤذر
جمعت الى الحسن البيان فمنطق
الجازية في معانيها وان
نشرت لواء الحسن واختالت على
ومشت كرائم تدمر في عرسها
ويمسن من لون السماء بأزرق
متمتعات بالنضيد الجوهري
متنعمات بالحديث الكوثرى
والقين يحملن الصنوج عوازفاً
وبنات تدمر شاخصات نحوها
متغنيات بالنشيد التدمرى
كألهة زلفت لها كهانها
صادت اذينة زينب فاعجب بها
وأذينة المشهور في غاراته
والحب يعثر بالعروش فتحنى
حرب القرون فليس من متقدم
ومن المفاخر ان زينب أوتيت
ما غامرت في حلبة الا شأت

تنمي لآل «سميدع» في تدمر
يسي وصورة يوسف لمصور
نظرت لمست الكهربا في الحجر
أترابها منه بأروع مظهر
ينشقن ما في ثوبها من عنبر
ويتهن من لون الشقيق بأحمر
في ثغرها والبابلى المسكر
كالنحل حام على غدير السكر
بالنأى يوم زفافها والمزهر
متأملات حسن ذاك المنظر
متخشعات حول بنت المشتري
بمباخر حشيت بمسك اذفر
من ظبية صادت فؤاد غضنفر
طرح السلام امام طرف احور
ويبيع تيجان الملوك ويشترى
كف الوغى عنه ولا متأخر
فوق الجمال الفذ سطوة عنتر
شأو المجلى في متون الضمر

وتمرست بالصيد ليس يهوها
 لا تترك النمر الوثوب معفراً
 حيناً تعاجله بضربة أتر
 وإذا الطريدة اذبرت عمدت الى
 عداءة ان تعد ليس يفوتها
 يغلى الدم العربي في اوداجها
 اخذت بزند اذينة في حكمه
 جمع القبائل حوله وأمدها
 واعزها بذخائر وصوارم
 ومشى الى استقلال تدمر ثائراً
 وغزا المدائن « بالعناق شوازباً
 القائد الجيش اللهم كأنه
 طرب بمحممة الجياد الضمر
 الضارب الايوان في سابوره
 فتهبت روما مكانة تدمر
 واقر غليانوس معترفا له

بالسيف نال اذينة استقلاله
 لا يبلغ الشعراء والخطباء ما
 من ليس يؤمله الهوان فأذنه
 والعز مطلبه بمجد الابتر
 بالسيف يدرك والسنان الاخر
 صماء عن رنانة في منبر

القوة والعلم : هما دعامتنا الحياة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن الرفاعي بك

لا أستطيع أن أعرف أحسن ما كتبت ، فقد أرى حسناً ما ليس بالحسن ، وقد أخطئ في تقدير ما أكتب ، وقد يرى القارىء ما لا يراه الكاتب . فالطلب في ذاته فيه شيء من الاحراج . . . على انى مع ذلك اختار هنا بعض ما اذكر انى تأثرت له تأثراً خاصاً حين كتبتة أو قلته ، وهذا بحسب شعورى من أحسن ما كتبت . فما قلته في مقدمة كتابي (حقوق الشعب) سنة ١٩١٢ :

« لست في هذا الكتاب مدعياً وضع مبادئ جديدة أضيفها إلى المبادئ الخالدة التي تتبعها كل أمة تجاهد في سبيل حريتها واستقلالها . تلك المبادئ التي لم تتغير منذ العصور الاولى إلى هذه الايام الى ما شاء الله ، لان طبائع العلاقات بين الناس أفراداً وجماعات هي واحدة لا تغير فيها ولا تبدل فالناس منذ خلق الله العالم لم يحتفظوا على حقوقهم ولن يحتفظوا عليها الا بمقدار ما لديهم من شدة وبأس وقوة . وكذلك الأمم تتصارع وتتنازع في معترك الحياة العامة ، ولا يسود في تنازعها الا بدى مبدأ أيدته الحوادث قديماً وحديثاً مثلاً يسود بينها مبدأ القوة . فكم ديسر للامم حقوق لأن القوة تنقصها . ولم انتهكت لها حرمان لضعفها وقلة حولها . ولكم خدعت الامم نفسها وأرادت أن تعيش ضعيفة بين أمم قوية فما راعت تلك الامم في معاملتها عهداً ولا أنجزت وعداً ولا احترمت لها حقاً ولا سمعت منها قولاً ، بل كان نصيبها أن توطأ حريتها وحقوقها تحت الاقدام !

ما أظلم الانسان فرداً وما أظلم الناس جماعات ودولاً ! فكما انه لا يمنع ظلم الانسان عن أخيه الانسان الا القوة وأعني بها قوة الحكومة التي تضمن لكل فرد حقه ، كذلك لا تأمن الامم بعضها ظلم بعض الا بالقوة ولا تحفظ كل أمة وجودها الا بفضل ما لديها من القوة

هكذا العالم وتلك سنة الله فيه فما أتعس حظ تلك الامم التي جهلت ذلك المبدأ ونبذته لا تجد من ينصفها ممن يظلمها حتى من أبناءها الذين هم أقرب الناس اليها . يعيشون عبيداً للقوة وخداماً لها وهي تطالب بحقوقها فلا تجد من يجيب طلبها أو يصغي اندائها لان القوة تنقصها

ما أتعس حظ تلك الامم ثم ما اجهلها وما أضيع اوقاتها وابعدها عن حريتها ! عبثاً تتعلم . عبثاً تتحضر وتهذب ، عبثاً ترتقى في الفنون وتنبغ في الصنائع ، عبثاً تجارى الامم الراقية في مظاهر المدنية ، عبثاً تفعل كل ذلك ما دامت لا تحيط حياتها وعلومها وفنونها بسياس من القوة

فهل تغيرت تلك الحقائق منذ خلق الله الانسان ومنذ عاش جماعات في ظل الحكومات ؟ كلا

وربك فهي باقية خالدة تنطق بها الحوادث في بطون الايام وتتادى بصحتها كل يوم تقلبات الزمان .
فقدما حييت الامم بالقوة . وماتت لحرمانها من القوة . وتغلب بعضها على بعض بالقوة
القوة والعلم : هذان العاملان هما الدعامتان اللتان تضمنان للامم حياتها وحقوقها
جئت في هذا الكتاب أخاطب فئتين من الامة كانوا دائماً جنود الحرية في كل بلاد : وهما رجال
الغد . وجمهور الشعب . جئت اخاطب اخواني الشبان رجال الغد الذين أعد نفسي واحدا منهم
وأعتقد ان عليهم واجبا كبيراً هم مدينون به نحو الله ونحو الامة ، وهو واجب العمل لتحرير بلادنا

☆☆☆

وألقيت خطبة في مجلس النواب (بجلسة ١٧ مايو سنة ١٩٢٤) دافعت فيها عن حق المجلس
في اصدار قرارات برغبات تكون الزامية للحكومة . وهو موضوع ثار حوله جدل كبير في البرلمان .
ومما قلته في هذه الخطبة :

فحق تقرير الرغبة معترف به للجمعية التشريعية . فاذا ما قال مكتب المجلس انه معترف بهذا
الحق أيضا لمجلس النواب فاننا لم نتقدم خطوة واحدة الى الامام لان الرغبات التي كانت تقدم من
الجمعية التشريعية كانت ذات صفة استشارية فقط . وغير معقول ان تكون سلطتنا الآن مساوية لسلطة
الجمعية التشريعية ، لان هذه الجمعية لم تكن تملك السلطة القومية : سلطة الامة . اما فيما يخص بمجلس
النواب فقد نص في الدستور صراحة في المادة (٢٣) ان جميع السلطات مصدرها الامة .
وسلطة الامة ممثلة في مجلس النواب فيكون لهذا المجلس حق تقرير الرغبات التي يراها متفقة مع
الصالح العام ، وتكون ملزمة للهيئة التنفيذية . وهذا الحق وهذا الالتزام وان لم ينص عليهما صراحة
في الدستور الا انهما يتفرعان عن الرقابة البرلمانية او عن المسؤولية الوزارية المقررة في الدستور
لاتميل المجالس النيابية الى تضيق سلطتها بل بالعكس ان تاريخ هذه المجالس يدلنا على انها تميل
على الدوام الى توسيع سلطتها . فلا يجمل بنا اذن ان نفرط في حق تحوله لنا طبيعة الدستور . ان
هذا الحق مظهر من مظاهر السلطة القومية فليس لنا ان نفرط فيه . في هذا المجلس تتمثل سلطة
الامة ومن اقدس واجباتنا ان نحافظ عليها لاننا انما جئنا هنا لنكون امناء على سلطة الامة

أرجو من حضراتكم أيها السادة أن تعطوني قليلا من حلمكم فان المسألة تحتاج اذنية كبيرة
— نحن لا نشرع للوقت الحاضر وان كنا نشرع للامة — للدولة — للحاضر والمستقبل . والقرار الذي
يصدر منا في هذه المسألة قرار ملزم لمجلس النواب إلى ما شاء الله لانه قرار يصدر من تلقاء أنفسنا .
ومثل هذا القرار خطر لانه ملزم للهيئة التي أصدرته وحكمه حكم قرار صادر من جمعية وطنية .
فلتريث في الامر قبل البت فيه — فلسنا بمجلس شوري ولا بجمعية عمومية ولا بجمعية تشريعية لاننا
اذا اعتبرنا أنفسنا كذلك فكأننا لم نخط خطوة إلى الامام

روح المدنية^(١)

بقلم الاستاذ انيس المقدسى

لكل مجتمع روح تتجلى في افراده . ولكل عصر مزايا هي مقومات حضارته . ونحن الآن في القرن العشرين وقد ملكنا اعنة الماء والهواء . وضبطنا قوى الطبيعة نديرها كيف نشاء فاتسعت لدينا الآفاق . وتقاربت بيننا الابعاد وتولد من جراء ذلك في عصرنا روح عامة لم يعهد لها نظير في تاريخ العمران

على ان العمران حلقات متصلة . وليست هذه الروح الا نتيجة طبيعية لتقدم مستمر أو لحركة اجتماعية خفية . تثور احياناً كالبراكين فتدمر العمار وتقلب نظام البلدان . وتجري احياناً كمياه الرياض السلسلة فترونها بلاجلبة أو هيجان . وهذه الحركة المندفعة تحت ظواهر الحياة الاجتماعية لم تنحصر في عصر دون عصر أو جيل دون جيل ، بل ولدت مع الانسان وانحدرت في صلب الاجيال وبرزت بين اقوام شتى فوضعوا لها اسما عديدة ونعتوها بنعوت مختلفة . وما روح المدنية الا قبس من نارها الخفية التي تنبثق منها كل الانقلابات الاجتماعية والحركات الروحية روح المدنية ! وهل للمدنية روح ؟ هو ذا اصوات المهكمين تتعالى من كل مكان . هل في المدنية اليوم غير المظالم والاهوال واسباب الشر والدمار ؟ قوى يستبد بضعيف . وأمة تعتدى على امة . وعلم يخدم السيف والدينار . ومظلوم يطالب بحقه فلا يجاب بغير النار ! أجل وراء كل ذلك روح فعالة تدفع البشر الى الامام . روح تتمثل في يقظة الشعوب وتلسمها طريق الحياة وهي التي يخدمها كل خادم حقيقى للعلم ويدافع عنها كل متحمس لمبدأ عظيم . ولها في حياة البشر برغم فسادهم الطبيعي وغرائزهم الحيوانية مظاهر شريفة أكتفى الآن بثلاثة منها :

١- **انها ابرأ تطالب الحقيقة :** فلا يقر لها قرار ما لم تر السبل حرة في وجه المفكرين المخلصين والعمال الامناء . وكل حركة تمنع ذلك هي عدوة لروح المدنية . قام في القرن السادس عشر للبلاد فلكى ايطالى دفعته ابحاثه الى المجاهرة باقوال مناقضة للبعثقات السائدة . فقامت عليه القيامة وتهده اولو الامر بالقتل واضطروه أن ينسكروا ما قال وأن يشهد على ملائمة الناس ببطلان آرائه . ذلك لان حب الحقيقة لم يكن قد نضج بعد في ذلك العصر فكان ابناءؤه عبيداً لاوهام

(١) من خطبة ألقيت في الحفلة الكبرى التي اقامتها جمعية الشبان المسيحية في يافا

وقفت حائلاً بينهم وبين النور . وهكذا جثا غاليلى لاستبداد عصره . واذيق العذاب لاجل معتقده . بل هكذا عذب لاجل الحقيقة كثير من الابطال وأحرق على مذبح الجهل كثير من الحقائق . وإنما يضطهد المخالفون للمعتقدات السائدة . أو الواقفون في وجه القوى الجائرة اذا كانت روح المدنية التي هي طلب الحقيقة ضعيفة في قلوب الجمهور فلا يكثرثون لها ولا يبالون بمظاهرها اربابها

في العلم - في الدين - في السياسة . هذه الروح تطلب الحقيقة . هي تكرمها في مذهب النشوء كما تكرمها في تعاليم الكنيسة . تنشدها في الكليات والجامعات كما تنشدها بين الازقة والساحات روح المدنية : تخدم العلم الصحيح المبني على المعرفة والروية والاختبار العلم الذي يهذب الفكر ويوسع الصدر ويخضع للبرهان العلم الذي لا يعرف وطناً غير الوجود ولا يتعصب لجنسية غير الحقيقة روح المدنية : تقدر الدين القويم المبني على الفضيلة والمعاملات الشريفة الدين الذي يرفع النفس الى المثل الاعلى ويملاء القلب حباً ووقاراً الدين الذي لا يعرف وطناً غير الله ، ولا يتعصب لجنسية غير الانسان روح المدنية : تناصر السياسة الحازمة المبنية على الاخلاص للجمهور السياسة التي تعين الامة وتخدم مصالحها السياسة التي لا تعرف وطناً غير الحق ولا تتعصب لجنسية غير العدالة !

قليل كان علماء اكسفورد في العصور المظلمة يغرم الواحد منهم خمسة شلنات عن كل مرة يكسر بها تعليماً من تعاليم ارسطو . اما روح المدنية الحقيقية كما تظهر اليوم فتنشط حب البحث وتفتح للفكر ابواب الحرية وتعمل على ازالة الاوهام والترهات وتهيب بالانسان الى نصرة الحق والعرفان . واذا كنا نرى اليوم حتى في اميركا الديموقراطية من يقوم على استاذ ويدينه لمجاهرته بما يخالف بعض التعاليم الدينية في مدرسة رسمية . أو في مصر الحديثة من يشور على شيخ لتصريحه برأيه في مسألة الخلافة ، فيتهمه بالمروق والزندقة - فان هناك ايضاً في هذين البلدين وفي سواهما من ينادى : دعوهما وما يعتقدان . هناك رأى مهذب قد تشرب روح الحقيقة ونادى بتقديس الحرية الادبية

ابداً تطلب الحقيقة هذى الروح ليست تخشى عدى او عواذى
فهى نور الحياة ان غاب ضل الناس في سيرهم سبيل الرشاد

٢ - هذه الروح تحترم النظام وتؤثر المبادئ على الأشخاص : الناس في ادوار انحطاطهم عبيد لفرد أو لافراد ، هم عندهم الكل في الكل . فلا يعرفون نظاماً الا متى اجبروا عليه

ولا يقصدون مبدأ الا اذا كانت وراه قوة تناصره . فاذا ارتقوا وتنظمت حياتهم الاجتماعية تضاعفت لديهم قوة الشخص امام قوة النظام وجعلوا هدفهم في الحياة خدمة المبادئ . قرأت لاحد صحافيين الأدباء ان غلادستون وقف مرة امام الملكة فكتوريا العظيمة . وطلب منها ان توقع نظاماً اقره المجلس الانكليزي ولم تكن الملكة تريد فابت وقالت : لا اوقعه . فاجاب غلادستون : إن المجلس يامولاني قد اقره فيجب أن توقعه . فالتفتت اليه مغضبة وقالت : مستر غلادستون انا ملكة انكلترا وأمبراطورة الهند وتقول لي يجب ؟ قال : نعم يامولاني أنا شعب انكلترا . فكأنه يقول انا خادم لنظام هو اعظم من الملوك والسلاطين . وما الحياة لو حققت الا نضال مستمر بين روحين شديدين قوة النور وقوة الظلام - ثنوية ازلية وستبقى الى آخر الايام ! ومن هم المصلحون العظام الذين ظهروا في تاريخ الامم إلا افراد قلائل تشربوا هذه الروح العظيمة فاحتملوا ووضعوا باحتمالهم أسس المدنية والارتقاء . قال بعض الحكماء الاقدمين : سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها . قول حكيم يصدق على بعض الاقطار وفي بعض الاحوال . ولكنه لا يتمشى مع روح المدنية اليوم . فهي لا تخدم سلطاناً لانه سلطان ولا تعمل لمصلحة فرد لما له من النفوذ . بل تخدم ما تحسبه النظام الاسمي وتعمل في سبيل الخير العام . وما اوضح ذلك فيما روى من حديث خالد بن الوليد مع الامام عمر يوم عزله من قيادة الجند فبقى خالد مع ذلك يجارب ويجاهد كأحد الجنود . ولما قيل له في ذلك قال قوله المأثور : « اني لا أحارب من اجل عمر ، لا ولا من أجل سواه » يعيش الذين امتلأوا من روح المدنية اليوم ووقفوا حياتهم على نصرتها . كان لأحد كبار الماليين في أميركا حفيظة على استاذ في جامعة هارفرد فبعث الى رئيس الجامعة يقول : « اني اقدم عشرة ملايين دولار للجامعة اذا كانت تطرد ذلك الاستاذ » فاجابه الرئيس : « ليست جامعة هارفرد سلعة تباع وتشترى » ليست روح المدنية تزلفاً الى شخص او طمعاً بحطام ولا هي خنوع لذى منصب او تعلق بمقام . وانما تعد الامة امة راقية متى عرف افرادها الواجب عليهم للقوى العليا وساروا بحسب ذلك الواجب بشجاعة واخلاص

قام الامبراطور الروماني كالغيولا وصدمته هزة دماغية ذهبت بانتظام قواه العقلية فبعث بالامة وهتك حرمتها ودنس باعماله رومة وشرفها . ومع ذلك جثا له خاصته وهم المبغضون . وعبدته رعيته وهم المستضعفون . وقد بلغ به الغرور ان جعل حصانه قنصلاً (عضواً في المجلس الاعلى) فصفق له الناس استحساناً إذ لم يكن فهم يومئذ جبارة نفوس يحترمون المبادئ السامية ويؤثرونها على الاشخاص . وقام قديماً عتاة الأمم فسخرها الناس لغرورهم . وغواة الحروب والتدمير فساقوا الالوف لاطماعهم . قام فيهم نيرونهم وفرعونهم وتيمورهم واضرابهم . ومع ذلك أقام لهم أهل عصرهم اقواس النصر ومدوا لهم أعناق الذل ورفعوهم الى مصاف الآلهة . ولماذا ؟ لان روح المدنية لم تكن قد خمرت النفوس فكانت القوة المستبدة عندهم كل شيء . وكأني اسمع هامساً

يقول : هي عبادة الأبطال التي ذكرها كارليل في كتابه واهاب بالناس الى تعظيمها والاعتصام بها
كلا ليست عبادة الأبطال اثار الشخص على المبدأ وإخضاع الحق للقوة المادية . بل هي تكريم
المبادئ العليا مجسمة في شخصية عظيمة . فليكرم القائد العظيم الذي يقوم ابان العواصف فيخلص
بلاده من الخراب . وليكرم العصامي الذي يجمع الثروة بجده واقدامه ليستخدمها للخير العام .
وليكرم خادم العلم المجاهد لينير الازدهان ويخضع قوى الطبيعة للانسان . بل ليكرم كل خادم .
نعم كل خادم للثل الأعلى في الحياة

المثل الأعلى ! قديقول المتشائمون تلك لفظة لا تكون الا في مخيلة الشعراء والفلاسفة . فالمدينة
كانت ولا تزال تحت ربة القوة المادية . القوة التي تستبد بالضعيف وتعبث بحقوقه
والمثل الأعلى ؟ ألا ترى المايلين يهزون رموسهم تهكاً ويقولون : المال ! المال !
والساسة يتغامزون ويهمسون : الدهاء ! الدهاء !
والقادة يقلقلون سيوفهم ويصيحون : الجند ! الجند !

كلا لعمري انما المال والدهاء والجند مظاهر المادة في المدينة . أما روحها التي تنير الحياة
وتجعل الارض جديرة بسكنى الانسان فهي التي حملها رجال الاصلاح في كل جيل - هي روح
الاديب الذي لا يرى في الادب غير خدمة الحقيقة - هي روح الحاكم الذي لا يرى في السيادة غير
خدمة الجمهور . وهي روح المالى الذي لا يرى المال غير آلة للخير العام . بل هي روح الطبقة الراقية
من الشعب تظهر في احترامهم لانفسهم فيربأون بها عما يندسها أو يحقرها ويحملون لاجل ذلك
ما لا يحتمله سواهم في الحياة - هي شخصية الامة وهي حاجة الامم الشرقية اليوم . ومتى تشربت
امة هذه الروح وتمكنت من طبقات المتهذبين فيها فلا خوف عليها من عبث عابث أو جور
جائر لانها جرثومة الحياة ولن تستطيع قوة ان تقتلع جرثومة الحياة من قلب امة تحترم نفسها
وتقدس الروح الشريفة فيها

ان في هذه الحياة لحراباً بين روحين لا تزال سجالات
ليس في امة رقي اذا ما غلبت شهوة الرجال الرجال

٣ - روح المروية تدعو الى التعاون ومضى التفاهم : فهي تدك الحواجز التي يقيمها
الجهل أو حب الاثرة بين الاجناس والطوائف . وتحدو الناس الى التفاهم والتعاون بدل التشاكس
والتنافر . كانت الكلمة في أول مراحل الاجتماع للعصية اى لتلك الرابطة الدموية التي تربط ابناء
العشيرة بعضهم ببعض فيتحدون بها على الغريب . وهذا ما عبر عنه ابن خلدون بال عمران البدوى .
ثم تقدم البشر فاجتمعت العصبية وتكونت منها الرابطة الجنسية او الدينية . لكن الجنس لم يبق في
بلد ما صرفاً فامتزج بعناصر أخرى وتكون من هذا رابطة الوطن . ولو راجعنا التاريخ لوجدنا أن

حب المصلحة الشخصية وطمع الطامعين طالما جعلوا العصبيات والاجناس والاديان اعداء
الداء فتصادموا وتقاتلوا . وما موجات الحروب الجنسية والدينية في الشرق والغرب من أقدم
ازمانها الى الآن الا تجاذب لبساط السيادة وسعى في زيادة المال والحطام . ولما كانت بلادنا
بسبب موقعها الجغرافي ملتقى الشعوب الكبيرة ومصطدم المشارب والمذاهب ، أصبحت تربتنا
صالحة لبذور التعصب والشقاق . وطالما ذقنا منها انواع الشقاء والبلاء . ولا تنفرد نحن بذلك فالعالم
كله لا يزال ين من تأثير الاطماع الجنسية ويتألم من وطأة النزعات الدينية ، على ان الانسان قد
خطا خطوة الى الامام ، فتقاربت - بفضل العلم الصحيح والتهديب الراقى - مذاهبه وجنسياته
وأصبح الفرد المتهذب يرى في الانسانية وطناً هو اشرف الاوطان . وفي عبادة الله القلبية ديانة
هي فوق الاديان . ولا اعنى بالانسانية ما يدعو اليه البلاشفة من مبادئهم المتطرفة بل اعنى الشعور
العام بوجوب التعاون وتبادل المنافع ذلك الشعور الذى يحل الوطنية الحقة ويقدس الدين
الروحي فيمنع الجنس من امتحان الجنس وينزه الدين عن اذية الدين

وإن شرقتا العربى لن يتقدم الا بازالة الحواجز القائمة في سبيل عمرانها . وما عمرانها الا مقدرة
افرادها وأجناسه على التعاون والتضافر ، فلسنا بعد اليوم بمجموع قبائل متعادية كما قديصوره لنا الطمع
والحسد ، ولا نحن في عصر نستطيع ان نعيش فيه عيشة التخاذل والتضامن ، نعم لا يزال في الشرق
كثير من عوامل التفريق ، ولكن شمس المدنية تلو رويداً رويداً وشعور المجتمع بالمسؤولية
الانسانية ينمو نمواً مطرداً : واذا ذكرت بلادنا الشرقية فليس إلا لاننا كائناتنا هم منا كل
ما يؤول الى فلاحها وارتقاها . والا فالمدنية الحقيقية العاملة على تحويل الافكار الى المصلحة
العامة والى اهتمام الفرد باحوال المجتمع - الى ارتباط العناصر المتباينة والشعوب المتعادية
برباط الشعور الانسانى ، قد نفخت روحها في جميع البلدان وفي جميع الامم الراقية ، وهذه
الروح هي التى نعبر عنها بالارحية الانسانية أو « روح الخدمة العمومية »

ومتى قويت فينا هذه الروح التى تعنى بالمصلحة العامة وتققدس المسؤولية المشتركة ظهر فينا
الشركات الوطنية القوية والجمعيات العمومية المنظمة وانبسطت اكف اغنيائنا في سبل المشروعات
الوطنية . واتحدت الطوائف على اختلاف نزعاتها تحت علم واحد هو علم الوطنية الراقية
أما السادة - كما ان للانسان شخصية أو روحاً هي غير جسده هكذا للمدينة التى نراها ، وقد
يهولنا ما فيها من فساد وشور مجرى داخل هو روحها الحقيقية

وهذه الروح هي التى يخدمها العلم الصحيح والدين الصحيح . وإذا تطير البعض منا لما في
البشر من ميل الى الظلم والمكر والشراسة فليطمئثوا . ان في البشر ايضاً في كل جيل ولا سيما في
هذا الجيل افراداً يضحون بمصالحهم لاجل المبدأ والحقيقة والخير العام . هؤلاء هم اقطاب الدنيا
الذين عليهم يتوقف العمران . وبروحهم تسير الانسانية الى الامام

شبابنا الجديد : آماله وأحلامه^(١)

بقلم الدكتور على العناني

الآباء بالنسبة إلى آبائهم هم فلذات أكبادهم ومتجه عواطفهم ومحل محبتهم ومعقد آمالهم . ومن أجل الآباء يكبد الآباء ولاسعادهم يعملون وفي تهذيبهم يجتهدون وحول نفعهم في العموم يفكرون ثم يفكرون . وهم بالنسبة إلى الوطن ذخيره الحاضرة وروضته الناضرة وعدته في مستقبله القريب

والآباء بحكم الأبوة وبعامل الوطنية وشعور القومية هم معلو الآباء وأسائدتهم . وبمقدار ذكاء المعلم وغزارة مادته ونوع ثقافته تكون قيمة التعليم ويكون مدى نجاحه . والنتيجة اللازمة لذلك أننا إذا أردنا أن نعرف نجوى شبابنا المصري الآن ، ونوع ما يجيش في نفسه من أمل وجب علينا أن نلقى نظرة عامة على ما بين الآباء والابناء في مصر من صلة عقلية هي صلة التربية والتهذيب ، أو هي جماع حياتنا العقلية وصورة ثقافتنا الحاضرة في العموم

كل جيل من الأجيال يتكون حتماً - وعلى الأقل - من الاجداد والآباء والابناء والاحفاد . والاجداد أسائدة الآباء ، والآباء بدورهم أسائدة الابناء كما تقدم ، والابناء بدورهم أيضاً أسائدة الاحفاد . والحياة العقلية لأية أمة من الامم في أقصر أدوارها هي التي تشترك فيها هذه الطبقات الأربع . وطبقة الابناء تتكيف بالكيفيات العقلية التهذيبية التي تصل اليهم من طبقة الآباء . وهم يكتفون بها طبقة الاحفاد . وهكذا مع ما يتبع ذلك من طبيعة الرقي المرتكز على مجهود الامة نفسها ، أو المرتبط بتقليدها للامم الحية الراقية ، وبالاقتباس من مجهوداتها العقلية والعملية في القديم المجهول والجديد الغريب ، أو مع ما يتابع ذلك أيضاً في بعض الظروف من عوامل التدهور

وإذا كان الاب معلم أبنائه والابن تلميذ أبيه فالمدرسة الحقيقية التي تكون الناشئين وتكيف عقلياتهم بحكم الطبيعة ليست هي المدرسة النظامية فقط التي تلقى في حجراتها الدروس وتلقن العلوم طبق خطط موضوعة ومناهج مكتوبة وقوانين للتعليم والتعليم مشترعة ، بل هي أيضاً تلك المدرسة العامة التي لا ينصرف عنها الطالب أثناء الليل وأطراف النهار مطلقاً . وتلك المدرسة في القرية هي الدار والحقل وندوة أنسامر وسوق المتجر . وهي في المدينة البيت والشارع والمقهى والمسرح والملهى والملاعب والمسجد والمعبد والمصنع والمتجر والمربع والمتنزه ،

(١) اخترناها له . مقتبسة من مقال نشر بالهلال . . .

وهي في المدينة أيضاً دور الاحزاب ونوادى الجمعيات والاتحادات والصحيفة والمجلة والرواية والكتاب والدرس والمحاضرة . هي كل ذلك وما اليه من جميع نواحي البيئة وانواع الاجتماع في هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة يخرج الآباء الابناء ويهذب الابناء الاحفاد . والشباب يستقر في عقلية ونزعاته ويستريح لحياته الحاضرة ومستقبله إذا كانت الامور كلها في هذه المدرسة العامة والبيئة الجامعة مستقرة والحياة فيها منظمة ومدعمة وطريق المستقبل بها معبداً والامة التي تتنبه في حياتها وتدرك وجودها وتجل في نفسها وتسمو في رغباتها وترنو إلى التقدم في صفوف الامم الحية الراقية ، تعرف أن سبيلها الاول الى ذلك - ولا شك - الرقى العلى والتهديب الاجتماعى فتقلد غيرها في ذلك ، وتنتج هي ايضا بعقلها وتفكيرها الخاص بها ، وتعين روح ثقافتها في حدود قوميتها ، وتجدد مثلها الاعلى الذى به تمتاز . وهي في كل ذلك ربما توفقت ووصلت الى النهاية في المدكئة القصوى بأسرع ما يكون أو بعد طويل من الزمن ، وربما تخبطت وسارت على غير هدى فلا تقطع شوطاً ولا تتقدم شبراً ، وكثيراً ما تؤوب إلى الوراء وفي الحالة الأولى يكون الشباب وثاباً في وداعة وحكمة فيتهدى ، وناهضاً في هدوء واستقرار فينتجح ، وعاملاً في ابتهاج وحبور فيفلح . وفي الثانية يعدو في اضطراب وقلق فيضل . ويسرع في حيرة واندفاع فيعثر . ويتحمس في طيش ونزق فيخطئ . وينشط في وجل وكدر فيخيب ويخسر . واذن فتوفيق الشباب وسروره واستقراره أو اخفاقه وكدره وحيرته - لا شك كل ذلك راجع الى حالة بيئته الجامعة ونوع مدرسته العامة وعقلية الآباء أساتذتها وما تنتجه هذه العقلية من أثر وكيف نوع الحياة ويصور حالة الاجتماع

في هذه المدرسة العامة - أو البيئة الواسعة الجامعة والمرآة الشفافة الواضحة - نلح الشباب المصرى من جهة مضطرباً في حيرة لانها مضطربة متناقضة ، وهيمان صادياً لانها جافة وجامدة . ونراه من جهة أخرى مملوئاً بالحماسة والنشاط لانها راغبة ومرغبة في الحرية وشاعرة بالعظمة القومية وطافرة الى الرقى والنهوض . ودين الشباب في مصر الحرية وشعاره العظمة القومية ومطمحه التقدم والرقى . ولقد ورث هذا بالطبع عن الآباء وغالى فيه بتأثير روح الوقت والنهوض العام . لذلك هو متشبع بالحماسة وشاعر بالعظمة ومملوء بالنشاط

ما تزال التربية العلية في مصر - برغم كل علاج فيها حتى الآن لاصلاحها - متشعبة متضاربة لا تفرق بين المروى الموروث والاسطورى القديم والعلم التجريبي الحديث . بل ما يزال التعليم الدينى والاهلى فيها لا يلتقيان عند حقيقة واحدة وعقلية متحدة عامة . وانما عقليتنا - وهي نتيجة هذه الجهات المختلفة كلها - مازالت مختلفة الالوان والنزعات والمبادئ والرغبات . وكل هذا - ولا شك - من عوامل الاضطراب والقلق المحض . وماذا ننتظر من الشباب المثقف بمثل هذه الثقافة إلا الحيرة الواسعة وعدم الاستقرار !

تصدر في مصر فريق غير ناضج في الثقافة العامة مدعياً معرفة كل شيء. وناصباً نفسه الى الارشاد في كل شيء أو بعبارة عامة الى القيادة الفكرية. ولا يتورع هذا الفريق مع الاسف الشديد عن التعرض لما لا يعرف ويقرر حكمه فيه. والامثلة على ذلك كثيرة جداً: نذكر من بينها تلك الدعوة العجيبة الى اشتغال الشباب المصري بأدب قومي مصرى وما يتبع ذلك من اهمال جانب الأدب العربى العام! . وبربك أخبرنى: أين هذا الأدب القومى المصرى؟ أهو أدب الفراعنة أم أدب العرب المصريين. وفي أية لغة على كل حال قد دون هذا الأدب؟

وإذا كان هذا الأدب القومى المصرى مدوناً في لغة العرب فأدب هذه اللغة هو أدب اللغة العربية العام منذ نهضتها الجاهلية الأولى حتى الآن. وغاية ما في الأمر أن مصر لها ذوق خاص فيه كما لسورية وفلسطين والعراق واليمن ونجد والحجاز وبلاد أفريقيا الشمالية وأقطار الأندلس، من الأذواق الأدبية المختلفة. وكل واحد منها متوقف طبعاً في فهمه واستساغته على فهم الأذواق العربية الأدبية الأخرى في جميع أقطارها المترامية. وبالجملة فهذه الفكرة الزائفة والدعوة الهوجاء اليها - مع ما فيها من قول خلاب ونزعة وطنية ظاهرية براقية - ليس فيها سوى إغراء الشباب ضد الحضارة العربية والتضليل به في هذا السبيل. ماذا تكون عقليته وعواطفه مع هذا الاغراء والاضلال فيما يختص بالدين وأمه ومجد الساميين؟

بعض الصحف اليومية وبعض المجلات تنهش الاعراض نهشاً قاسياً. وتقذف في الزعماء والقادة قذفاً فاحشاً. وهذا القذف وذاك النهش - وهما واقعان على آباء الناشئين ومعلميهم - كارثة فادحة وجريمة قومية مضاعفة تضر بأخلاقنا وبقوميتنا وشرفنا ووجدتنا (المرجوة طبعاً) وهي كما تسمى النينا وتضر بنا في كل هذه النواحي تسمى أيضاً الى أبنائنا الشبان في كل ذلك وبأى شيء يدعن الشباب والحالة هذه؟ بالسباب أم بالدفاع؟ أم بهما معاً؟ أم بأحدهما تارة وبالأخرى أخرى؟ أم يميل الى نبذ السباب والمتساين؟ انه في النهاية من جراء ذلك لفى اضطراب وأسف وفي نفرة واختلاف وفي شقاق ونضال. وبئس النضال نضال الدفاع عن الرذيلة!

مبدؤنا واحد في السياسة والاجتماع سواء في ذلك الافراد والجماعات والاحزاب. ولكن عملنا مختلف أشد الاختلاف فيهما ومتنافر كل التنافر في هذا الباب: تنادى بالمصلحة القومية العامة ونعمل للصالح الفردى الخاص. ويرى الشبان ذلك وأى شيء يفقهون؟ أيصدقون القول؟ أم يقتنعون بالعمل؟. إنهم في الواقع لفى حيرة وفي قلق. وانهم لفى اضطراب وضيق ذرع في كل عام يتخرج الآلاف من الطلبة. وفي كل عام يتقدم الآلاف للتعلم من الاطفال. وفي كل عام ينتقل الآلاف تلامذة وطلبة من سنى الدراسة المختلفة إلى التى تليها. وفي كل عام في النهاية تزيد النسبة في كل ذلك عنها في العام السابق. ومع ذلك فمستقبل الجميع ليس باسمياً، وماذا يكون فكر الشباب والحالة هذه سوى الحيرة والابتئاس والحنق على الزمان والمكان!!

يا قمر

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

من ذا يطيق السرى والليل معتكر
جهامة الليل لما ارتدت ساحته
ولم تكن لرى من فرط حلكته
حتى ليسأل ساري الليل صاحبه
فشع نورك إيضاحاً لظلمته
فأعجب لنورك تبدي الليل آيته
وأعجب لقرصك يقفو كل مدّج
ناء - وكل نفيس القدر منعزب
تضيء كالدرة الغراء ملتعماً
سهران تمشى الهوينا مطرقاً أبداً
تجول المشاهد في القمراء شاحبة
ياليت ان حياتي كلها سمر
ومن يحنُّ له لولاك يا قمر
عكستها متعةً يحلو بها السهر
مقدار حلقة ما لا يبصر البصر
هل ادلهم الدجى أم قد عشى النظر
وبات يعرف كنه الظلمة البشر
وآية النور أن يعفى الدجى العكر
وإن تعارضت الوجهاً والوطر
كما نأت في قرار العيلم الدرر
وغيب الليل كالأمواج منهمر
مشى الحكيم قد استغرقه الفكر
كأن عالمها الاشباح والصور
في ليلة وسميرى انت يا قمر

البلاغة في اللغة العربية

من محاضرة القاها الاستاذ على عبد الرازق

من النتائج اللازمة لادراك الجمال في الكلام والتأثر به أن تنصرف العقول الى معرفة أسرار ذلك الجمال والبحث عن حقيقته وعن درجاته وعن كل ما يتصل بهذا الجمال وإذا اتجهت العقول الى هذه المباحث نشأت علوم البلاغة . فان علوم البلاغة ليست إلا هذه المباحث وما ينحو نحوها

إذن فمباحث البلاغة كما ترون قديمة وليس من البعيد أن تكون نشأتها فطرية في الناس كما كان إدراك البلاغة نفسها فطرياً في الناس منذ كان الانسان حيواناً ناطقاً على أنها اذا لم تبلغ في القدم هذا المبلغ فما لا شك فيه عندنا أن أقدم عصور الفلسفة اليونانية قد وجه أذهان الفلاسفة الى البحث في معنى البلاغة ووجوها وأسرارها ضرورة ما كان لفنون الخطابة والجدل والكتابة والشعر ايام إذ من شأن كبير

وبما لا شك فيه عندنا أن أرسطاطاليس قد بحث في البلاغة ايضاً والى فيها كتاباً وههنا ملاحظة نرجو ألا يغضب منها ساداتنا الفلاسفة والمنطقيون . فلقد يذهب بنا الظن والله أعلم الى أن علم المنطق الذي ينسب الى أرسطاطاليس ، قد كان بحثاً في فنون البلاغة وعلماً من علوم البيان أكثر مما كان علماً من علوم الفلسفة وبحثاً من مباحثها . كان باباً من أبواب الأدب يدور حول صناعة القول وما يتصل بأغراض البلغاء من التأثير في العقول بضروب البيان وإخام الخصوم بوسائل الجدل ، أكثر مما يدور حول صناعة العقل ونظام التفكير الانساني ربما تجدون هذه الحقيقة غريبة عليكم ، ولكن قد يساعدكم على ادراكها أن تلاحظوا العوامل التي أحاطت بنشأة المنطق والتاريخ الذي وجد فيه

ليس من غرضنا أن نقيم لكم البرهان على ذلك ولا يتسع له وقتنا ، ولكن الذي يشق عليكم من هذا الرأي سيبدو لكم هيئاً سائغاً اذا أنتم نظرتهم في جملة أبواب المنطق ، فستجدون عندئذ أن شطراً كبيراً من تلك الأبواب ليس الا بحثاً في مسائل تتعلق بالالفاظ والمعاني والعلاقة بينهما ، وشطراً آخر ليس الا بحثاً في أساليب التحديد للأشياء وتعريفها وكيفية تأليف الحدود والتعاريف ، وشطراً آخر ليس الا بحثاً في وسائل الإقناع والتأثير من البرهان والخطابة والشعر

والجدل والسفسطة وما يتصل بذلك من كيفية تأليف الحجج وتنظيمها ، ولم يبق بعد ذلك إلا ما يذكر استطرادا وليس من جوهر المنطق في شيء.

وانه لمن غريب ما يلاحظ أن العرب قد سمو ذلك العلم بعلم المنطق ، كأنهم أدركوا أن علاقته بالكلام أقوى من علاقته بغيره . ومن الغريب أيضاً أن العرب قد سمو بعلم الكلام تلك المباحث التي أنتجها المنطق وأنتج بها نوعاً جديداً من الأدب واسلوباً طريفاً في البيان ومنهجاً محبوباً من مناهج الجدل والافتناع خصوصاً في الدين ، كأنهم مع ما تخلل تلك المباحث من دين أو فلسفة لم يلاحظوا فيها غير أنها فن من فنون البلاغة والأدب

نعم قد جهل اليونان أنفسهم والعرب والاوربيون ما في المنطق من أدب وفن ، فخرجوا به الى حدود الفلسفة الجافة العميقة . وذلك كما جهل العرب أنفسهم فيما بعد ما في علم الكلام من ادب وفن فخرجوا به الى حدود الفلسفة الجافة العميقة . وبذلك أصبح المنطق أسلوباً ركيكاً معقداً وعلماً لاخير فيه للفكر ولا للسان ، كما أصبح علم الكلام عندنا خليطاً من السخف الفكري والغثاء اللفظية

وكذلك العلوم اذا تأملت تجدونها « تشقى كما تشقى العباد وتسعد » مباحث البلاغة كما ترون قديمة لا يمكن الاهتداء الى اول تاريخها . فكل من يدرك ان في الكلام جمالا يندفع من نفسه الى التماس معنى ذلك الجمال وسره والى البحث في وجوه ما يزين الكلام وما يشينه

تلك هي المباحث التي يدور حولها علماء البلاغة في كل امة ، وتلك هي المباحث التي يدور حولها بحث الفلاسفة اليونانيين ، ويدور حولها العرب منذ عصورهم الاولى ، وتلك هي مباحث البلاغة التي حيرت العقل البشري منذ القدم والتي تواردت على حلها انظار العلماء والأدباء والفلاسفة من أهل الشرق والغرب قديماً وحديثاً . فيا ليت شعري هل لقيت تلك المباحث من يحل لها محل ومن يصل فيها الى قول فصل ، ام لا يزال العقل البشري حيث كان من الحيرة بها والشك في أمرها ؟

ذلك ما نريد ان نتحدث اليكم عنه قليلاً في بقية هذه المحاضرة

هل يمكن تحديد البهيمية ؟

قد يكون الشيء واضحاً غاية الوضوح ومدركاً تمام الادراك ، ومع ذلك لا يسهل الوصول الى تحديد حقيقته ومعناه . مثال ذلك الضوء والكهرباء ، فالضوء جلي مبصر لكل ذي عينين ، والكهرباء محسوسة يستخدمها الناس في كثير من مرافق الحياة . ومع ذلك لا يزال العلماء في حيرة من حقيقة الضوء والكهرباء ! . وأيضاً كلنا نعرف الوجود معرفة واضحة ، حتى قال بعض

العلماء ان ادراك الوجود بديهي ، ومع ذلك لا يستطيع العلماء بسهولة ان يحددوا حقيقة الوجود ومعناه . وكذلك الجمال كلنا ندركه وتأثر به ونحدث عنه ، فاما حقيقة الجمال وحدوده فمطلب لا يزال عزيزا . ذلك هو شأن البلاغة يدركها الناس بالفطرة كما قلنا ويتأثرون بها ويتحدثون عنها ، فاما اذا ما ارادوا ان يعرفوا حقيقتها ويرسموا حدودها ويتبينوا اسرارها فهم يحاولون من ذلك امرا عسيرا ويطلبون غرضا بعيدا ويدخلون في مجال مشتبه الاعلام مظلم الجوانب . ذلك بان الناس في مباحث البلاغة لا يجدون مقياسا ثابتا يحتكمون اليه ولا اساسا واضحا يبنون عليه ولا مبدأ صريحا يصدر عن غرضه ولا غاية معينة يرجعون اليها . فليست مباحث البلاغة كمباحث علم النحو مثلا مدارها على ما ينطق به العرب ، ولا كعلم الطب مرجعه الى ما تنقضي به التجارب ، ولا كعلم الحساب اساسه العقل الخالص ، ولكن مباحث البلاغة مذبذبة حيرى بين أيدي العلماء يردونها احيانا الى حكم العقل و احيانا الى حكم النقل و احيانا الى حكم الذوق ، ويجعلونها مرة من مباحث الالفاظ ومرة من مباحث المعاني ومرة من مباحث النظم والتأليف . فلا غرابة ان تتشعب بهم المذاهب وتفرق بهم الآراء

روى الجاحظ في كتاب البيان والتبيين انه قيل للفارسي : « ما البلاغة ؟ » قال : « معرفة الفصل من الوصل . » وقيل لليوناني : « ما البلاغة ؟ » فقال : « تصحيح الاقسام واختيار الكلام . » وقيل للرومي : « ما البلاغة ؟ » قال : « حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . » وقيل للهندي : « ما البلاغة ؟ » قال : « وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . » وقال بعض اهل الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة . » اه
ذلك مثال تدركون منه مقدار اختلاف الاعاجم في ماهية البلاغة . على اننا لسنا بصدد ذلك وانما الذي يعيننا هو مذاهب العرب في البلاغة لا مذاهب العجم . وذلك هو الذي نحن بصدد الحديث معكم فيه

مباحث البلاغة في اللغة العربية

ان اقدم ما نعرف من تاريخ العرب وما وصل الينا من آثارهم ليدلنا على انهم كانوا يتحدثون في مناحي البلاغة ويبحثون عن وجوه الاحسان في الكلام منذ الايام الاولى في تاريخهم القديم . ولقد نظن ان العرب يمتازون عن سائر الامم بمزيد العناية بهذه المباحث والانصراف اليها

ويرجع ذلك الى طبيعة العرب اولا والى طبيعة اللغة العربية ثانيا
اما طبيعة العرب فلانها لاشك من اسلم الطبائع و نفوس العرب من اصفى النفوس وقلوبهم من اذكى القلوب ، ولا ريب في ان العرب من ادق الناس حسا وانقاها فطرة و اكرمهم سجية

واما اللغة العربية فلائن فيها من مرونة مالا نعرف له في لغة اخرى نظيرا . في الكلمات مرونة تساعدك على ان تشتق من الكلمة الواحدة عشرات من مختلف الصيغ للدلالة على مختلف المعاني . وفي الجمل مرونة تساعدك على ان تتخذ من الجملة الواحدة صوراً كثيرة بالحذف والزيادة والتقديم والتأخير والتغيير والتبديل تبعاً لاختلاف ما تريد الدلالة عليه من دقائق المعاني المختلفة . وفي هذه اللغة سعة لا نعرف لها في لغة اخرى نظيراً . فهي لا تضيق بمخترع جديد ، ولا بمعنى جديد ، بل كلما احدثت لها موضوعاً احدثت لك ما يناسبه من الاسماء والعبارات من اجل ما في هذه اللغة من المرونة والاتساع مع ما اختصت به من الحركات والسكنات ، تمتاز العربية بأنها من اغنى اللغات مادة وافرهما اسلوباً وارجحها ساحة بضروب المجاز والتشبيه وسائر فنون البلاغة

ولستم تجدون اليوم في جميع الأرض شريقها وغربها لغة قائمة وسعت ما وسعته اللغة العربية من صنوف الحضارة المختلفة وتقلبات الشؤون عليها من نهضة وانحطاط وسلم وجهاد ، ومن تجمع الشعوب في حماها من كل لون ولسان . ثم لم يصبها من ذلك ما اصاب غيرها من اللغات ، بل خرجت من كل ما ابتليت به حية سليمة قوية ، فكانت بين اللغات الحية في عصرنا الحاضر من غير ريب اقدمها وجوداً واصلبها عوداً وامجدها تاريخاً . مزية خص الله جل شأنه لغة العرب بها منذ اختارها لسان دينه الخالد ولغة كتابه المحفوظ من اجل ما في طبيعة العرب من ذكاء وصفاء وما في لسانهم من متانة وسعة ، كان لمباحث البلاغة عندهم من الشأن اكثر مما عند الامم الاخرى ، فقد كانوا منذ عرفنا لهم تاريخاً يتجادلون في الشعر ويوازنون بين شاعر وشاعر ويفاضلون بين بليغ وبليغ وما نظن أحداً غير العرب بلغ مبلغهم في تعظيم الكلام البليغ وتقديره ، وما نظن انك واجد غير العرب امة لعب بها البيان فاقامها واقعدها وفرقها وجمعها ورفعها ووضعها وما نظن احداً غير العرب استطاع ان يقول في اللسان ما قال زهير :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وصف القلب

للمستاذ احمد الزين

من لقلب بين الجوانح عانى ✓
شاعر في الضلوع يخفق بالمع ✓
كم خيال له يضيق به اللف ✓
وأمانى فيه كالزهر منها ✓
فهو راث لما ذوى من أمانه
باكياً شجوه وأنا نراه
قطع العيش بين خوف وأمن
فتراه حيناً يلج به الوج
وتراه يسيل كلماء لطفاً
صامتٌ وهولاني عن حديث
بالسلطانة القوي ولا شيء
لاتلغى اذا تبعت هواه
كم حداني الى هوى لم يدعني
قاذبي للهوى ولو كان يدري
لج فيه فكان شراً عليه
عصف الحب بالقلوب فقلب الا
مضغة في الضلوع يؤلمها المس
فوق موج الآلام تذهب حيرى
فهى بين الاحزان تفنى ويحيى
جل من صاغها ميولا وأهوا
وبراها من الملائك نورا
فهى بين الضلوع لا تملأ الكف

جمع اليأس والمنى في مكان
نى فيعيا عنه بيان اللسان
ظ فيسمو اليه بالخفقان
ما ذوى والقليل في ريعان
ومستبشر بباقي الاماني
يتغنى بأعذب الالحان
ورجاء ناء وآخر دان
د وحيناً يلوذ بالسلوان
وتراه كالنار في الثوران
مطمئن في ثورة البركان
عليه في الارض ذو سلطان
هو بعضى وأخذ بعناني
فيه أصغى لفكرتي وجناني
ما يلاقيه في الهوى لنهائي
ليتني قد عصيته إذ عصاني
يشت في حربه كقلب الجبان
غدت نهبةً لصرف الزمان
كسفين تسرى بلا ربان
يها خيال التعليل والنسيان
ولم يعد طينة الانسان
تترأى في صورة الجثمان
وفيها صحيفة الاكوان

رجعة اوربا الى الاحتشام والتقيد^(١)

للاستاذ محمود عزمى

شاهد المشاهدون منذ القدم وأقرهم الاجتماعيون فى العصر الحديث ، ان العالم تنتابه عواصف خلقية وتفكيرية كلما حلت به كارثة كبرى تخضعه لنوع من الحياة غير مألوف عادة . ويرجع علماء الاجتماع هذه الظاهرة الى رد الفعل المحتوم الذى يطلق الاعصاب اطلاقا بعد ان تكون قد قيدت على الرغم منها تقييدا . والحروب هى المثل الانشائية تضرب للكوارث الكبرى التى ينتاب البشرية من جرائمها ما ينتابها من عواصف تتأخم الثورات فى كل شئ . والى يحمد الباحثون الاجتماعيون قيامها فى حياتهم اذ يعتبرونها تجربة اجتماعية لا يكتب لكثيرين ان يتبعوا تفصيلاتها ويراقبوا تطوراتها ويستخلصوا احكامها

وقد قامت الحرب العالمية الاخيرة فى منتصف سنة ١٩١٤ وعقدت معاهدات الصلح الخاصة بها فى سنة ١٩١٩ — وان كانت مؤتمرات تسوية الصلح الحقيقى ما تزال تعقد الى اليوم — ف وقعت تحت اعيننا تجربة من تلك التجربات الاجتماعية التى يلذ للباحث المحلل ان يشهدها مهما بلغت الاحزان التى تتفجر منها ، والخسرات التى تبعثها فى الأفراد وفى الجماعات بعثا . والناس مشاربون على اعتبار « باريس » عاصمة العالم كله يحسبون كل ما يقع فيها من حوادث ويتجلى من مظاهر ممثلا لروح العصر مؤديا للاتجاه الذى تريد البشرية المتحضرة ان تقصد اليه . وهم الى جانب هذا مشاربون ايضا على اعتبار « باريس » متفوقة على غيرها من العواصم فى مظاهر الخلاعة و « السهولة » رغم الشواهد التى يلقاها الباحث الجدى منبعثة من اواسط برلين ولندن ونيويورك للدلالة على أن ما يسند الى باريس انما هو مسند الى ظواهر أكثر منه الى حقائق مادية . ومهما يكن من أمر فان مشاركة الناس على هذين الاعتبارين تدعو الى حسابان « باريس » أكثر البيئات ملاءمة للمشاهدة الاجتماعية التى تتصل بدرس موضوع الانطلاق التفكيرى والخلقى الذى يحتم وقوع الكوارث العالمية قيامه ثم يدرس رد الفعل المحتوم الذى يلى دوره دور ذلك الانطلاق الذى كثيراً ما يعبرون عنه بالترأخي " Relâchement "

الجرأة فى الانطلاق بعد الحرب الكبرى

ولقد كانت أولى زياراتى لباريس بعد إذ غادرتها فى سنة ١٩١٢ إثر اتمامى الدراسة فيها ،

(١) اخترناها من مقال نشر منذ سنوات

كانت في ربيع سنة ١٩٢٠ فدهشت لما وجدت فيها هذا التراخي الذي كان راجعاً حتماً الى انطلاق الأعصاب من تلك الحظيرة التي قسرت على البقاء فيها مدى سنوات الحرب ، والى اعتبار « الفردية » الذي تفشى في الجماعة تفشياً خشى القوم أثره في كيان الجماعة . فكنت لا ترى للجماعة مظهراً وكنت لا ترى لمجرد الادب في المعاملة مشهداً ، وكنت لا ترى لتيار التلذذ والاستمتاع بكل أنواعه جسراً يقف عند حده . وكان أظهر ما يتجلى إليك في هذا المضمار تلك الهبة من جانب النساء الى التساوى بالرجال في الزي والزينة ، والقيام بجميع أنواع الاعمال التي كانت الجماعة السابقة للكارثة الكبرى تعتبرها من اختصاص الرجل ، بل تعتبرها من التكاليف الملقاة على عاتق الرجل توقيراً للشاق أن تحل بالمرأة ، ذلك المخلوق الدقيق بل ذلك الطائر الذي لا يطلب اليه إلا أن يخلق في جمال السماء . وكنت ترى الى جانب هذا الذي يتجلى في ميدان « الانطلاق والتراخي » مظاهر أخرى في نواحي الفن وقد هجمت على مبادئه السامية نظريات « المكعبات » كما هجمت نغمات الزنوج وآلاتهم المزعجة وأنواع رقصهم القريب من البهيمية الاولى . كذلك تملك « الانفرادية » وظائف الاعضاء عند الرجال والنساء فتحكمت فيها الشهوات المطلقة حتى من قيود الطبيعة العادية ، بحيث أصبحت العلاقات الشاذة محل مباهاة النوعين ، الى حد أن أقيمت لها الأندية ، والى حد أن كونت لاجلها الجماعات الأدبية ، لا تقبل في حظيرتها إلا من كان متصفاً بذلك « الانطلاق المقلوب » بل أسست جماعة نشر لا تعضد غير الكتاب الذين يتصفون بذلك الاتصاف الجديد . وكذلك كان الحال في فن العمارة الحديثة ، وفي فن التأنيث الحديث ، حيث كان عدم القاعدة هو القاعدة وفوضى الضابط هي الضابط . وكان طبعياً مع ذلك كله أن تتجاوز تلك الروح ميادين الزينة والخلق والتفكير والفن الى ميادين السياسة وأنظمة الحكم ، فكان طبعياً أن ترى تيار « الشيوعية » يحاول دائماً أن يحرف أنظمة الحكم المقررة

الرجوع الى التقدير

وقد اتفق لي أن كنت أتردد على باريس مرة في كل عام بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٣ فكنت أشهد تلك المظاهر سائرة في سبيل التجلي بخطوات أوسع من تلك التي كنت لاحظتها في سنة ١٩٢٠ ، وكنت اسمع أن التنافس في هذا المضمار ضارب أطنا به بين باريس وبرلين الى حد أن « المتذوقين » للطراز الحديث كانوا ينتظرون أن تكون الغلبة آخر الامر لاهل الامبراطورية السابقة

ثم غبت عن « باريس » ست سنوات وعدت اليها هذا الصيف فلاح لي أن في الافق امارات على توجه جديد يريد أن يشمل الفكر والفن والخلق والسياسة جميعاً ، وأن هذا التوجه انما يقصد العودة الى شيء مما كانت تتصف به الجماعة الأوربية قبل الحرب من الاحتشام المفروض والتقيد المتعارف عليه . فحسبت تلك الامارات ميلا الى التراجع الخير ، وأردت أن أسجل مشاهداتي

كى يطالع عليها قراء الهلال الشرقيون فيدروا ان لتلك الهبة الاولى حداً قد وقفت عنده ، وان هناك تراجعاً قد بدأ القوم فيه . حتى لا يندفعوا هم في ذلك التيار الذى وقف بالفعل عند من كانوا هم خالقيه . فلا نطل مدهشين في تطوراتنا نستمسك لنسائنا بالحجاب الذى جاءنا عن طريق الفرس وقد نبذه الفرس أصحابه الأولون بالفعل ، ونستمسك بالطربوش على أنه لباسنا القومى في حين أن اليونان أصحاب بدعته والاتراك وسطاء نقله اليها قد نبذوه نبذاً بالفعل

التغير في طرائق الحكم

شاهدت إذن بباريس هذا الصيف مظاهر عدة تدل على التراجع الحقيقى في ميدان التفكير والاخلاق والسياسة ، قصد التقيد بما كان شائعاً قبل الحرب من قيود مصطلح عليها لفائدة الجماعة ولمصلحة التناسق الذوقى العام

شاهدت فيما يتعلق بالحكم وسياسته وبالنظم الاجتماعية العامة واتجاهاتها ميلاً الى الجد في أخذ الأفراد والجماعات . فقد كانت الظاهرة المتجلية في حكم وزارة مسيو « بوانكارى » أنه كان كثير التهديد بالانسحاب من الحكم ، وكان كثير عرض الثقة بالوزارة كلها رأى مجلس النواب متباطئاً في التصديق على ما يقدم اليه من مشروعات . وكذلك كان حال مسيو « تارديو » وزير الداخلية - وهو واحد من تلاميذ الوزير الكبير « كليمنصو » - فقد حمل على الشيوعيين حملات صادقة لم تخل هجمات بعض النواب عليه دون استمراره فيها بحزم وعزم عظيمين . وكان آخر ما صدر عنه في هذا الميدان مقاومته لما كان الشيوعيون يريدون إقامته من مظاهرات عنيفة في أول أغسطس الماضى بعد أن فشلت تدبيراتهم لعيد العمال عيد أول مايو . فقد أعد مسيو « تارديو » عدته ومنع الضباط - ضباط البوليس وضباط الجيش في حامية باريس - من أن يمنحوا اجازاتهم العادية وضعا لقواتهم كلها تحت تصرف الحكومة يوم أول اغسطس . وأذاع أبناء هذه الاستعدادات في مختلف الدوائر السياسية والاجتماعية في باريس وفي غيرها من المدن الفرنسية ، فكان هذا الاستعداد وحده كافياً لعدم محاولة الشيوعيين القيام بأية حركة أو أية مظاهرة في باريس ، بينما قامت حركاتهم ومظاهراتهم في موسكو وفي برلين وفي فيينا وفي غيرها ولعل أكثر جدية من هذا وذلك تدليلاً على التوجه الجديد الذى يبدو في التفكير وفي الخلق العامين في أوربا هذه الايام ذلك السكتيب الذى أخرجه مسيو « شارل بنوا » العضو بالمجمع العلمى الفرنسى واسماه « أمراض الديمقراطية أو فن الاستيلاء على أصوات الناخبين وعلى منصات الحكم » فقد ضمنه من الآراء الجريئة - وهو ذلك الحجة في البحوث السياسية والاجتماعية - ما ذهب به الى حد القول في مقدمته : « انى انصح إذن بتغيير النظام . وانى أوضح فكرتى وأحددها فأقول انى أقصد بهذا تغييراً في شكل الحكومة ، وبعبارة أوضح وأدق أقول بالعودة من الشكل الديموقراطى الى الشكل الملكى ،

التغير في الموسيقى وفي الفن

وإذا نحن انتقلنا من ميدان الحكم والسياسة والنظم الاجتماعية الى المظاهر الفنية فانا نجد الناس قد ملت في باريس الاقبال على « المراقص » الحديثة وعلى الاستماع الى نوع الموسيقى الزنجى الذى يرقص الراقصون على نغماته ، وأصبحوا يتمنون لو كثرت بينهم بيئات الموسيقى الانشائية ولوعادت اليهم طرائق الرقص الانشائي . ولعل النجاح الذى قابله الفن الروسى الشهير « رياجيليف » - وقد توفى منذ شهرين - يرجع الى أنه كان يسعى فى أن يبعث على الارض الاوربية ما قضى البلشفيون عليه من فن روسى انشائي بديع في الرقص وفي الموسيقى

ثم ارجع يبصر ك الى التصوير والنحت وما يعرض من آياتهما فى المعارض العامة والخاصة ، فانك لا ترى الآن غير مظاهر النظريات الفنية الجديدة التى ابتعدت ابتعاداً عن ذلك التيار الجنونى الذى كان قد طغى على المعارض بعيد الحرب طغياناً بما كان فيه من ميل الى « الكوبيسم » و « الفوتوريسم » و « الداردائسم » . بل انك تجد الآن رجعة بديعة الى أحكام الفن الخالدة تطبق على موضوعات حديثة يتميز بها العصر الحاضر بلا شك . وكذلك الحال فيما يختص بفن العمارة وفن الاثاث ، تجد فيهما طبعاً الحديث من الميول والخطوط يميزها عن فن العمارة وفن الاثاث فيما سبق من عصور ، لكنك تجد فيهما أيضاً ميلاً الى الفائدة العملية والى الجمال الشائق ، تجد العمارات الجديدة « بسيطة » فى مظهرها لكنك تجدها قائمة على فكرة توافر وسائل الراحة كلها فيها ، فالأصول الجديدة تستلزم أن تكون النوافذ واسعة حتى يدخل الى الغرف الضوء والهواء . والاثاث هو الآخر حديث فى منظره لكنه قائم على فكرة الاستفادة من أجزائه كلها

التغير فى الخلق

وتلك العلاقات الشاذة بين النوعين قد أخذ ظل عدم الاكتراث لها يتقلص ، فأصبحت تستمع فى كل مكان الى انتقادات مرة توجّه الى « عصابات » الكاتب الشهير « اندرى جيد » ومن اليه من جماعته الخلقية والأدبية ، كما أصبحت تستمع الى عبارات الغضب يصب جامها على رأس « فيكتور مارجريت » ومؤلفاته الاخيرة . بل انك أصبحت تجد مسيو « كياب » مدير البوليس الباريسى يجرؤ على أن يمنع تمثيل روايات يعرض فيها ذلك النوع من العلاقات الشاذة التى كانت تعرض على الجمهور فلا يرى فيها منكراً ، بل ان الجمهور نفسه قد أصبح فى باريس يطالب البوليس بتحريم تمثيل هذه الروايات . وقد حضرت ليلة مغادرتى باريس فى أواخر شهر اغسطس الماضى رواية اسمها « كارنافال » قابلت على أثر تمثيلها مؤلفها فاعترف انه اضطر أن يميل بنظرها الى التيار الخلقى حتى لا يغضب الجمهور وحتى لا يناله غضب مدير البوليس فيحرم تمثيلها أيضاً

خدمة الفكر في عصر المادة

بقلم الأستاذ اميل زبرانه

تزاع الفكر والمادة قديم لم يخمد يوماً . ومع أن الغلبة في النهاية للفكر ، فدون تغلبه عقبات وأهوال وضروب من الألم والاضطهاد

أجل يفوز الفكر في آخر الامر ، ولكنه لا يبلغ القمة الا على اشلاء خدامه كل المراحل التي قطعها البشرية انما كانت بفضل فئة ممن في صدورهم هب مقدس . ولكنهم - وأأسفاه - كانوا في الغالب يحترقون لبيدوا الظلمات ويضيئوا العالمين

☆☆☆

قال برليوز الموسيقي الكبير وهو على فراش الموت : « الآن ستذيع مؤلفاتي وتتداولها الایدی ! »

هذا في الغالب نصيب رجال الذهن وخدام الفن . فانهم ما برحوا منذ القدم مغموطى الحق لا ينالون الجزاء العادل لما ينتجون . وكثيراً ما يقضى العبرى حياته في شقاء العوز ، حتى اذا قضى نال من التقدير ما لو نال بعضه في حياته لرد عنه غائلة الدهر وأتاح له العيش في رغد وهناء وهذا الاجحاف قد زادت وطأته كما زاد قبحة في كنف هذه الحضارة - هذه الحضارة التي سخرت المادة وأقامت على أساسها صرحها العظيم فاذا بهذا الصرح يخنق روحها ويكتم أنفاسها . . فبعد أن كانت المادة هي الخادم أصبحت هي المخدم . . .

إن حضارتنا الحالية مصابة « بتخمة » مادية . فقد طغت المادة على الفكر وأصبحت الكلمة لها في البدء وفي النهاية . فقيم الاشياء وقيم الناس مرتبة بحسب سلم حسابي مادي لا شأن فيه للعناصر الروحية . فجمال النفس لا يكاد يقدم فيه درجة ولا سمو الفكر أو رقي الفن والادب فكم حولنا من ثراء وقبح هبط عفواً ، وكم من ذهن يتألم وهو عامر بضروب الحسن الروحي . كم من « بضاعة مادية » تافهة تروج وتجلب لاصحابها أطيب المتع ، في حين لا يجد أصحاب « البضاعة الذهنية » منفذاً لأفكارهم أو متنفساً يخفف الضغط عن صدورهم !

☆☆☆

لايسع من ينشد العدل الا أن تثور نفسه أمام هذه المظالم ، ولكن هذه الثورة لا تتعدى في الغالب سناً معينة ، ففي عهد الشباب حين يستفزنا كل ما هو جميل ويملك علينا مشاعرنا نحس

الحيف الواقع على خدام الفكر والجمال وتآلم نفوسنا لدى المحن التي تصيبهم ، حتى اذا فعلت الايام
فيها فعلها تبدلت مشاعرنا وتبدست عواطفنا وألفنا ما حولنا من صنوف الظلم
ان غضبات الشباب وثوراته الجميلة لا تلبث حتى تتحول مع السنين الى رضى بالامر الواقع
واستسلام لاحكام الزمان - وكم للزمان من حيف وإرهاق !

من هؤلاء المظلومين فئة أود أن أخصها بكلمة وهي فئة الادباء والشعراء . وهل من حاجة
الى تبيان شأن هذه الفئة في حياة الامة ؟ من الناس طائفة عميت قلوبها إلا عن مطالب الجسم ،
يسألونك : ما فائدة الادب وما فائدة الشعر ؟ وما سؤالهم هذا إلا كمن يسأل : لماذا خلقت الازهار
ولماذا تصدح الاطيار في الحقول ؟

خلق الانسان وله رجلان يمشى بهما على الارض ولكن له أيضاً عينين يحوب بهما أطراف
السماء ، وله كذلك وجدان يخلق به في الفضاء غير المتناهي . فالنزوع الروحاني أصيل في طبيعته
وليس بالحيز وحده يحيا الانسان

ثم اسمع قول جوته : ان انحطاط الادب في أمة نذير بانحطاط تلك الامة
واسمع قول الآخر : الامة التي ليس لها أدب قومي حقيق بان يعدو حدود بلادها - هذه
الامة تظل محتقرة لاشأن لها في نظر الامم الاخرى
فالادب اذن لا تقتصر فائدته على ما ينشره في النفوس من لذة روحية ومتعة ذهنية ، بل هو عامل
خطير في تعزيز الحياة القومية ورفع شأن الشعوب

ولو أن النفس تبدو للعين كما يبدو الجسم لتغير نظرنا الى الناس ايما تغير .. فكم من جميل يصبح
قبيحاً ، وكم من قبيح يصبح جميلاً !

ولكن سواد الناس قلما يحفلون بما يجاوز حواسهم ، فهم يحكمون على ما يرون ويسمعون
ويلمسون . . . على أن سمة الرجل « المثقف » انه لا يقنع بما يبدو له أول وهلة بل ينفذ بفكره
إلى الباطن باحثاً عن الجمال الخفي - جمال الذهن والروح

حبذا العلم بدون هموم المادة ، وحبذا الفن والادب بدون ارهاق الحاجة . . . ولكن الاقدار
قد حكمت بغير هذا ، فالعالم والفنان والاديب وسائر خدام الفكر والذهن في حين يقوم على
اكتافهم رقي البشر وتقدم الحضارة ، لا ينالون عشر معشار ما يستحقون
فهل من وسيلة الى تلطيف هذا الحكم القاسي ؟
أمامنا ظالم ومظلوم . فلننظر قليلاً في أمرهما :

أما الظالم فهو المجتمع أو بالحرى نظامه الذى قصر عن إعطاء كل ذى حق حقه . فكيف نهديه
سبيل الصواب والانصاف ؟

ليس ثمة غير وسيلة واحدة : تهذيب الرأى العام ورفع مستواه بحيث تعدل فى نظره قيم
الاشياء وقيم الناس فيضع فى الرأس من هو حقيق بالرأس وفى الذنب من كان بالذنب احرى
واذا كانت الامة كالجسم فرجال الذهن منها بمنزلة الرأس ، هم الدماغ الذى ينبغى أن يسيطر على
الاعضاء ويقوم لديها مقام المرشد الهادى

هكذا صور أفلاطون جمهوريته الفاضلة فقد وكل أمرها للحكام والعلماء
ولكن الوصول الى هذه الغاية يقتضى أجيالا من التهذيب - يجب أن نروض نفوسنا على
أكبر العناصر المعنوية واحلالها محل الارفع من حياتنا . يجب أن تصبح الثقافة فى نظرنا بمنزلة
الحاجة التى لاغنى عنها - وما هى اليوم الا فى عداد الامور السكالية

وأما المظلوم فهو العالم أو الاديب أو الشاعر أو غيرهم من صرعى الحقيقة والجمال - فهل فى
استطاعة الواحد منهم أن يخفف شيئا من وطأة الظلم الواقع عليه ؟

أجيب بلا تردد : نعم فى استطاعته أن يدبر أمره إلى حد كبير . لقد ألفنا أن نسمع عن رجال
الفن والادب أنهم لا يحفلون بالماديات - كأن العوز زينة الفنان والاديب ، وعرفناهم بأنفون من
النظام والترتيب ، فنفسهم أبداً متمردة تأبى الخضوع والانقياد

ولكن هل يضرهم لو أنهم حسبوا لهذه الدنيا حسابا ولو ضئيلا ؟ ليقدر الفنان فنه وليقدس
الاديب أدبه ... ولكن هل يستدعى ذلك أن ينسى حقائق الحياة الاولى ؟ كلا ... يمكنه ان
يحفظ فنه أو أدبه فى منجاة من كل درن وفساد ، وفى الوقت نفسه يلتفت الى مقتضيات العيش فيمنحها
قسطا من عنايته ، بل أذهب الى أبعد من ذلك فأقول : انه اذا عرف كيف ينظم حياته من الوجهة
المادية سهل عليه أن يحتفظ بفنه سليما وبأدبه معززا نقياً

اذا كان للاديب أو الفنان ان يحتقر الماديات فلا يستعبدن نفسه لها ، فما الحاجة الا نوع من
العبودية ، فليضمن لنفسه الكفاية اولا - بأدبه او بوسيلة اخرى - حتى اذا ضمن القدر الأدنى
امكنه ان ينصرف لما يصبو اليه فؤاده من مناجاة آلهة الفنون الرفيعة

والخلاصة ان المجتمع مقصر فى منح رجال الذهن مكانهم الجدير بهم ولكن رجال الذهن
- ايضا - كثيراً ما يقصرون فى مسابقة المجتمع وادراك مقتضيات العيش
يجب على المجتمع ان يفهمهم كما يجب عليهم ان يفهموه

في عيد القضاء الاهلى

من قصيدة لمرستاد عبد الله عفيفى

يا منار العدل فى ساح القضاء
 أنت نور الله فى آفاقه
 أنت ظل الله فى سلطانه
 لك فى مصر ، بناء راسخ
 كتب الخلد على أبوابه
 أيها المظلوم فى هذا الورى
 ارفع الرأس ففى هذا الحمى
 منطق المظلوم فيه من شبا
 إن هذا الحق سيف وصلت
 لا يبالى أى رأس مسه
 هم سواء مثل ما صورهم
 أيها الشادى ببرلين استمع
 بلد هبت عليه نفحة
 بسط العدل عليه ظله
 وسرى الشرق اليه واحتفى
 ونمى الفكر بها فى روضة
 حين كان الشرق بجرأ من دم
 شرد الاحرار فاستنوا الى
 هى مصر ، لم تزل مهد الهدى
 حتى ذكرى العدل فيها انها
 بنت خمسين ، سمت من عنصر
 أزهرت فى روض « عمرو » وزكت
 وتولاها « فؤاد » فاستوت
 ملك فى عدله أو فضله
 « عمر الفاروق » ان شبهته
 لا يزل مغناك مرفوع البناء
 للبرايا ، أنت وحى الانبياء
 أنت رمز الود فيه والاخاء
 شامخ الاعراف ، خفاق اللواء
 فى سناء الحق سطرا من ضياء
 قف ! فهذا الباب من باب السماء
 يشمخ الضعفى ، ويعنو الاقوياء
 ويد الجبار فيه من هباء
 مرهف الحدين مرهوب المضاء
 قد تساوى الخلق من ذئب وشاء
 بارى الاحياء من طين وماء
 إن فى مصر قضاة وقضا
 من جلال الحق تحي من تشاء
 فتوافى كل حر واستفاء
 وسعى العلم ، وحج العلماء
 فى ثراها كل أسباب النماء
 ومزاجا من حنوف وشقاء
 وطن الحر ودار النزلاء
 وحى الحق ، ومشكاة الرجاء
 مطلع المجد وعنوان السناء
 أزلى الاصل ، درى الصفاء
 بعد « عمرو » فى رياض الخلفاء
 فى سواء يملأ الارض القضاء
 آية للحكم أو للحكام
 وأبو « الفاروق » فى العدل سواء

ضمير قلق

بقلم الدكتور منصور فرهمي

اليوم لا علماء أكتب ولا منطقاً إنما هو حديث فتي مهموم في لحظة من تلك اللحظات التي تبعث فيها النفس أعز مكنونها من الشعر والاحساس . حديث فيه تاريخ حال من أحوال نفس بشرية ، يظفر منه القارىء بجزء صغير من أجزاء تلك الحقيقة الكلية العظمى التي لو استقصيتها لوجدتها مجموعة لتاريخ الكون في جزئياته ، وإن أكرم قسم في ذلك التاريخ ما تضمن أحوال النفوس ومنازعها
قال الفتي :-

انك تحسبني يا سيدى من أهل السرور وأنصار الصفاء ، يغريك بذلك ثغرى الضحوك وارتفاع صوتى في محافل الانس والطرب والتماس المجون في كل إشارة وكل عبارة . على انك قد نسيت أيها العزيز تلك الاوقات التي ألبث فيها ذاهلاً عن الناس وأحاديثهم فتسندل على وجهى سحابة من الحزن ، لا تترك لناظر فيه ان يتبين علامة من علائم النشاط والامل ، ولا تبقى من إشراقه ونضارة الشباب فيه إلا بسملة خاصة أوهم الناس بها انى معهم فيما يقولون وأفكر فيما يرتأون

إنه ليخجلنى البقاء يا صديقى في جمع من الجموع وعلى مسوح السواد بينما تكون الناس راغبة في المسرات واقفة عند أبوابها . ولقد أعمل جهدى على صد غارات الحزن المتتابعة على نفسى كما تتلاحق الامواج المرهوبة على جرف حطيم ، وحينئذ أعمد إلى البعد عن الناس حتى لا يشذ لباسى الاسود من الاسى عن سرايلهم النضرة من السرور

كنت أو من بطهارة الحياة إيماناً وكنت أحسن الظن بالناس أيما إحسان لاني لم أخرج إلى ساحة العيش إلا من عهد كما علمت قريب . وكنت عند عهدى بالشباب تليدأ مجداً كثيراً ما لا بست الكنب وانقطعت للدرس ، وقليلاً ما لا بست الناس ونظرت في شؤون الحياة . ولقد جعل القضاء لطائفة من الكتاب الخياليين على سلطاناً . فكنت أصبو صغيراً للصور الجميلة والخلال الكريمة والاشباح الشريفة التي كانت تخرجها أذهانهم قبل ان أتصل بحقائق الحياة المرة المؤلمة

خرجت من عالم الكتب إلى عالم الناس ، وكنت أتوهم ان الناس تلقوننى لأعمل معهم وأكتب

تحت أعينهم صحيفة من سفر الحياة الواسع ، فأملأها برسوم الحق والواجب وآثار العمل والأمل وأصور فيها صورة الأب الصالح والزوج الوفي والوطني الصادق والالسان العادل في نفسه وفي الناس . وكنت أظن ان كلمات الحرية والاخلاص والفضيلة والرحمة والكمال وأمثالها بما وسعه المعجم تسعها معاملات الناس بعضهم لبعض . على اننى صدمت صدمة بالغة حين رأيت ان الناس يسرون على خلاف ما كنت أظن وان الحياة تكاد تكون جارية لمقادير غير ما كنت أقدر وان السجايا التي كنت أظنها من صفات البشر انما هي لمخلوقات خيالية تبصرنا ولا نبصرها وترانا ولا نراها

هالتي وأفزعني ان أرى في الحياة مسرحاً واسعاً للنفاق والرياء والخداع والباطيل ، وان هذه الأشباح الشنيعة قد صرعت تلك المخلوقات الشريفة التي نسميها الفضائل ، واستبدت وحدها بميدان الحياة كله

تساءلت : أكانت الكتب تخدعني وتغير صور الاشياء فتجعل ضعفاء الحقيقة هم الاقوياء وأقوياءها هم الضعفاء ؟؟

أم هو الوجود لم يبلغ بعد في تاريخ نشوئه طورا تنال فيه الفضائل منازلها من السكرامة والاجلال وتسير في المعاملات كأنها الكواكب تجري في داراتها على سبيل ممهدة فتصح حينذاك القوة والغلبة ميزة للسجايا وحدها ؟!

ثم تساءلت : هل فترة الحياة من شأنها أن يظل فيها أشباح خيالية تتخذ وكرها في رموس البشر وتشبه الاملاك في نورانية أجسامها وتغري النفوس بالنزعات العالية ؟ أم توجد كرام السجايا حقاً عند أفراد اغنياء بأنفسهم عن الناس معززين منعمين بمداعبتها يحسبهم الجهال مهزومين وهم يعيشون كآلهة الاساطير يسخرون من نعيم الناس ولهم من أنفسهم اكبر نعيم ؟ وقلت في نفسي بعد ذلك كله هل القوى في الحياة الاجتماعية : هو من يخضع لنواميسها من الرياء والظلم فيخدع ويظلم ، أم هو الذي يحتقرها في قوانينها ليعيش تحت راية مبادئ أخرى تنسجها له تصوراته وخیالاته السامية ؟؟

إن منشأ همي يا سيدى هو ذلك التنازع القائم بين ما تحن اليه نفسي ونزعاتها وبين المبادئ التي يقوم عليها المحيط الذي يضمنى

أعيش منفردا واحدا في عالم الخيال أم أدخل إلى ساحة البشر وأخلع ثوبي الجميل الكريم ؟!

في الحركة الوطنية^(١)

للمستاذ حسين شفيق المصري

تنكب طريقك لا تسلك فان الطريق الى مهلك
نعم أنت أعزل اعشى وحيد تثير الجلامد لو تشتكى
وبالجزع قامت جموع الكماة وكل على سيفه متكى
لديهم قواذف ترمى الرصاص صواعق ما تنطلق تفتك
بأيد خلقن لسفك الدماء وللشر لولاه لم تسفك
طغام طغاة بغاة يبيحون ن قتل المصلين في المنسك
وعذراء آمنة تهادى الى اين ويحك لا تهتكى
ومن قبلها هتكوا المحصنات وشدوا عليهن في معرك
ويا طول ما تذرف العين اد معها للذى جاء في مآلك
كتاب لانبائه في الفؤاد كوقع الشهاب أو النيزك
لما كان في بدرشين فمزغون فالعطف فالصف فالشوبك
فوادي القرى من رشيد فدميا ط فالشاطئين الى الكرنك
بلاد دهاها العدو على غرة بالموحد والمشارك
بجند كمسخرة المهرجان من الهند من برهم يضحك
وفتيان لندن من كل امرد غر وذى الشيبة الانوك

(١) من قصيدة نظمها الشاعر سنة ١٩١٩ عقب حوادث البدرشين وهجوم
المساكر على بيت الامة وهروب السيدات

جلنار (١)

بقلم الدكتور بشر فارس

حكى ان جلنار كانت مالكة على مدينة من مدن فارس... ولما جن الليل انتبذت جلنار ناحية من خدرها . وكانت الجنوب قد خف هبوبها وحملت على جناحها أريج الازاهير فنشرته في الحجرة ، وأشعة القمر الفضية تنعكس في حوض مزين بأجمل الزخارف . وكان الفوارة وهي تدفع مائه معولة لا ترتضى سلوى ولا عزاء . وكانى بها اذا سكنت محتضر انقضت أنفاسه . وكان النسيم يداعبها ويعبث بالماء الذى تدفعه لعلها تصفر طرباً ، غير انها أضحت وقد تبين في نغمتها الشجوى والأسى . فقيا الحوض كان يرن من قبل رنين الشكلى إذ صار الآن غديراً ساكناً تألف مأوه من أدمع منسجمات بين صفحتها نشيج خافت أثر منظر الحوض وصوت فوارته في جلنار تأثيراً بلغ بها من الاضطراب مالا تطيق . فجعلت تفكر في حالها كيف تغير منذ الساعة التى نظرت فيها الى الامير ، وهي لم تكن لتعلم ان شعوراً جديداً أخذاً من قلبها مأخذاً بليغاً قد لطف حتى دق عن فهمها . وكانت ترنو من حين الى آخر الى الباب ، ثم تدير عينها الى النافذة وتتبع سكنات القمر في بساط السماء ، ثم تعود يبصرها الى الحوض فيخطر لها ان تقذف بنفسها فيه رجاء ان تسكن من لبيب جسمها ببرودة الماء وان جلنار لكذلك والسكون منبسط في جنبات القصر لا يمزقه الا صيحات الحراس ونبرات البلبل . إذ صر الباب ومثل به ذلك الامير العربي محجوب الوجه اكحل العينين . فنظرت الملكة اليه لحظة ، لم تقو في أثنائها ان تحدته كأنها ذعرت من أمر فوجئت به . وأما الامير فظل جامداً في مكانه وجعل يصرف بصره في زوايا الحجرة كأنما هو بائع أثاث يقيم لما تضمه الحجرة الوزن الذى يراه له . ثم ان جلنار أشارت اليه : أن اجلس قبلى . فامثل الرجل صامتاً . فقالت له جلنار وفي صوتها شيء من الرعدة : ما سكوتك يا ضيفنا ؟ قال : انما سكنت اذ لا يجدر بي ان أكرم الملكة - جعلنى الله فداها - قبل ان تفسح لى في الكلام . فبسمت جلنار وأسندت رأسها الى يدها ، ثم قالت : صدقت يا أمير فردنا . ألسنت القائل انك أسبق العرب في فن الحديث ؟ قال : ذلك قلت . قالت : ايه لقد ضافنى الهم ليلتنا هذه فعسى أن تحسن الينا فنحسن اليك . قال : على ذمة لا ذقت طعاماً ولا شرباً حتى أقضى عند الملكة - أكرمها الله - ما أنا قاض ، وأما جزائى فحسبى

(١) خلاصة قصة نشرها الكاتب بالمقتطف

انى اليها جالس واياها أحدث . ثم جلس جلسته وشرع يروى قصة جميل وبثينة تلك القصة التي ظلت حديث الناس زماناً طويلاً . فبسط كيف نشأ جميل في قومه وكيف كان شاعراً مرقاً مقلداً . ثم انصرف الى حكايته مع بثينة وفراره من وجه الوالى ، ثم نزوله على بنى عذرة في الشام والحيلة التي احتالها عليه ضيفه اذ زين له سبع كعاب متبرجات على ان تقع احداهن من نفسه . ثم خبر كيف كان المحبان يلتقيان في الخلاء ويتعاطيان ويتراضيان ويشكو كل واحد ما يقاسي فيؤاسيه الآخر . ثم ذكر كيف نال الحب من قلوبهما منالاً عنيماً لا سبيل عنه . وكيف تزوجت بثينة رجلاً غير جميل ولم تنفك ترضى لجميل الذمة والميثاق وتحفظ له في قلبها مكانته السابقة ، وهي تحبه حباً جماً لا ريبة فيه ولا شبهة . وكيف وشى بها ظلماً عند أبيها وقد كلف بها جميل وهام من أجلها ثم نهى عن لقاءها . فكان يصعد ليلاً الى ربوة ليستروح النسيم المقبل من نحوها وهو ينشد الاشعار ويبكى سوء طالعها . وكيف كان يتنكر ليستطيع الوصول اليها . فاحتبسته بثينة في خدرها ذات مرة ثلاث ليال وهو مستخف تحت ثياب متسول مسكين . وكيف كان يغنى وهو في الركب فتسمعه بثينة من دون أترابها وتقبل اليه . ثم روى كيف ضج أهل بثينة وخشوا الفضيحة واستباحوا عند الامير دم جميل فقصدوا الى أبيه ونشدوه الله ان يدفع ابنه عن فتاتهم . فدعاه أبوه وقال له أو ما تكف عن حب حرة تضرر لبعليها ما لاتضرره لك ؟ فبكى جميل وأبكى من حوله ثم انطلق الى مصر حيث مات دماً

تلك القصة التي أبدع الامير في روايتها ما شاء أن يبدع . وكانت جلنار تقاطعه في مستهلها فتسأله عن هذا وتستزيده من ذاك . ثم انها ما عتمت ان لزمت السكوت وجمعت للحديث بالها مخافة أن يفلت منها حرف . وكانت تزداد اضطراباً كلما ازداد الامير ياناً . وكانت تتبع إشاراته وكلماته حتى أمست أسير حديثه ولفقاته

وكانت حالها في ذلك حال كل فتاة قضت صباها لا تلمس السبيل الى الحب ولا تقطع بشئ من أمره ، بل لا تعرف منه كثيراً ولا قليلاً . فنشأت ساهمة بعيدة من مضطرب النزعات والاحساسات التي لا بد لها أن تواتى النفس في حين قد أتيح لها . وكأن قصة جميل وبثينة أصابت من نفس جلنار موضعاً دقيقاً اندفعت منه عاطفة الحب بقوة . وذلك هو الحب الثائر الذي احتجب دهرأ وتجمد في القلب وتمكن بين جنبيه مثل الغمام المتلبد في زاوية من السماء ربما لبث يوماً أو يومين على حاله حتى تمر عليه ريح باردة فترده مطراً

وكانت جلنار تصيح في وجه الامير إذا هو أكبر شغف بثينة بجميل : أفى استطاعتنا معشر النسوة أن نحب مثل هذا الحب ؟ كأنما الامر من وراء علمها فعظم عليها وقوعه . وان رثى الامير لغم جميل واشتكى حظه استدمعت وقالت : بأبى أنت وأمى لو أحبنى جميل ما حال بيني وبينه إلا خروج نفسى ...

مقتطفات

للدكتور احمد ذكي ابوشادى

المجهر

بُعِثَرَتْ فِي السَّمَاءِ حَتَّى تَرَأَى خَالِقُ الْكَوْنِ مُسْرِفًا فِي نِظَامِهِ
حَاكَتِ الضَّائِعَاتُ مِنْ مَهْجِ الْخَلْقِ ق، فَكُلُّهُ بِشَعْلَةٍ مِنْ غَرَامِهِ
وَتَرَأَتْ حِينًا لَنَا قُبَلَاتِ مِنْ فَمِ الدَّهْرِ فِي عَصُورِ ابْتِسَامِهِ
ثُمَّ حِينًا تَلَوَحُ مِثْلَ ثَقُوبِ خَلْفِهَا الْغَيْبُ رَابِضٌ فِي غَمَامِهِ
يَنْفِذُ الشَّاعِرُ الْعَظِيمُ إِلَيْهَا حِينَ يَخْشَى الْقَضَاءُ بِأَسْ أِقْتِحَامِهِ
فَإِذَا عَادَ بَعْدَ إِسْرَائِهِ الْكَا شَفَ أَعْيَا الْأَنَامِ مَغْزَى كَلَامِهِ

نشوة اليأس

دَعُونِي أَنَا جِى الْيَأْسِ فِي نَشْوَةِ الْيَأْسِ وَلَا تَوَهْمُونِي أَنْ حَوْلِي مَا يُنْشَى
أَعِيشْ بِأَرْضِ الشَّيَاطِينِ وَالْأَذَى تُصْبِحُ فِي رِجْسٍ وَتَمْسِي عَلَى رِجْسٍ
حَرَامٌ عَلَيْنَا مَأْمَلٌ فِي رُبُوعِهَا وَفِيهَا تَجَلَّى مَصْرَعُ الْفِكْرِ وَالْحِسِّ
عِلَامُ التَّمَادَى فِي الْمَتَى حِينًا نَرَى ضَحَايَا الْمَتَى أَضْحُوكَةَ الْحِظِّ وَالْبُؤْسِ ؟
أَنْعَلِقُ فِي الْآمَالِ بِالْبَلَدِ الَّذِي يَصُولُ بِهِ مِنْ صَالٍ بِالْشَّرِّ وَالْدَسِّ ؟
خَفَافٌ إِلَى الْإِفْسَادِ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ ثِقَالٌ عَلَى الْإِحْسَانِ، حَرْبٌ عَلَى النَّفْسِ
يَبَاهُونَ بِالْإِيذَاءِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَبْزُونَ فِي الْهَيْجَاءِ عَنْتَرَةُ الْعَبْسِيِّ !
عَجِبْتُ لَشَمْسٍ أَشْرَقَتْ فِي سَمَائِهِمْ وَقَدْ خَلَقُوا حَرْبًا عَلَى النُّورِ وَالشَّمْسِ !

فلسفة الحب عند العرب

كيف اهتم حكماءهم بالكتابة فيه وتحليل مذاهبه

بقلم الاستاذ طاهر الطنابى

قبل أن اطرق هذا البحث كنت قد قرأت شيئاً غير يسير من أخبار المحبين ومصارع العاشقين ومحن الطرفاء والاهلين ، الذين امتحنوا بالحب فى الجاهلية وصدر الاسلام وفى عهد ازدهار الحضارة العربية فى بغداد والاندلس وفى غيره من العهود الاخرى التى اشتهر فيها أمر الحب والمحبين ، وكانت لهم سير وأخبار يرويها الرواة ويسطرها الادباء كذخيرة أدبية يسجلونها للأجيال القادمة ، ويضنون عليها من الضياع والنسيان

وما كان ليدور بذهنى أن فلاسفة العرب — على سعة باعهم — سيهتمون بالحب والبحث فيه بحثاً فلسفياً ، ويأتون فى ذلك بما لم يأت به فلاسفة اليونان الذين تناولوه بالبحث قبلهم ، خصوصاً وقد رأيت ان كثيراً من رواة الآداب العربية لم يهتموا إلا بجمع سير المحبين ، جمعاً ليس فيه نىء من الفلسفة او البحث العلمى الذى يشترك فيه العقل والتفكير . وملاًوا من ذلك كتباً ضخمة ، وتفرق جانب منه فى مؤلفات الادباء ودواوين الشعراء . حتى اصبح للحب من الادب العربى الحظ الاوفر . واصبَحنا نرى بين أيدينا من آداب العاشقين ومن نسج على منوالهم بالتقليد ما يكاد يربو على النصف وما كنت لأتجنى على الادب العربى لوفرة ما فيه من « أدب الحب » وأنا أعلم ان هذا النوع موجود بكثرة أيضاً فى سائر اللغات ، وأن الحب قديم فى البشر ، وأنه موجود فى فطرة الانسان منذ وجد الانسان . بل هو موجود فى فطرة الحيوان . وربما يمكننا أن نقول انه موجود فى فطرة النباتات وسائر الموجودات على ما ذهب اليه « ابن سينا » — وليس هنا مقامه — فهو فى الحقيقة السبب الاقوى فى وجود الكائنات على اختلافها من حيوان ونبات وجماد

فليس عجيباً إذن ان يستوعب « ادب الحب » جانباً وافراً من الادب العربى . وأن يحرص الرواة على جمعه وتسجيله ، ولا سيما أنه حوى من جمال الفن ما لا يوجد فى كثير من الآثار الادبية الاخرى ، وانما العجيب أن يخلو معظم هذه الكتب الضخمة من البحث فى ماهية الحب وتعليل اسبابه ، وهل هو اضطرارى او اختياري؟ وهل هو داء حقاً كما يزعم المحبون؟ وكيف يجب الانسان . وكيف تؤثر الصورة الجميلة فى نفسه ، فتقع من قلبه موقعا لا يستطيع الخلاص منه؟ إلى

غير ذلك من البحوث الفلسفية والنفسية التي أعتقد أنها لو غنيت بها معاهد التعليم لكان لتدريس هذا الجانب من الادب فائدة لا يجنيها الطلاب والمتأدبون من مطالعة سير العاشقين واستظهار اشعارهم ولقد كدت أظلم ادباء العرب وفلاسفتهم كغيري ممن يظلمونهم ويحكمون عليهم حكماً فظيماً بلا روية ولا تفكير . وكنت قد اغرمت بالاطلاع على تاريخ الفيلسوف الاندلسي « أبي محمد علي بن حزم » المتوفى في القرن الخامس الهجري ورغبت كل الرغبة في تصفح مؤلفاته لعلمي بما بلغه هذا الفيلسوف من نضج العقل وسداد الرأي وصحة التفكير ، فضلاً عن سعة اطلاعه وادبه الوافر الذي يتسم به في مؤلفاته . وقد علمت فيما قرأت له انه قد تورط في الحب واصيب بدائه وانشأ في ذلك شعراً كثيراً أودعه كتاباً سماه « طوق الحمامة » لم يذكره إلا صاحب « نفح الطيب » إذ قال :

« قال ابن حزم في « طوق الحمامة » انه مر يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب « الاستيعاب » بسكة الخطابين بمدينة اشبيلية فلقيا شاباً حسن الوجه . فقال أبو محمد : هذه صورة حسنة . فقال له أبو عمر : لم نر إلا الوجه ، فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك . فقال ابن حزم ارتجالاً :

وذى عدل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم انت عليل
فقلت له اسرفت في اللوم فائتد فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تر اني ظاهري واتى على ما ارى حتى يقوم دليل ،

وقد كاد هذا الكتاب يضيع لولا أن الدكتور « د. ك. بيتروف » الاستاذ بالجامعة الامبراطورية في بطرسبرغ قام بنشره سنة ١٩١٤ ووضع له مقدمة طويلة باللغة الفرنسية . وأتيح لي أن أطلع على نسخة من هذا الكتاب الذي طبعه الدكتور « بيتروف » في مطبعة بريل بمدينة ليدن فرأيت شيئاً جديداً في التأليف عن الحب وأخبار المحبين ، وشاهدت فيه كثيراً مما كنت أصبو اليه من البحث في فلسفة الحب ، وأبصرت فيه عدة ميزات لم أجدها في غيره ، أهمها أنه اعتمد فيما ذكره على مشاهدته وحديثه به الثقات من أهل زمانه . ولقد ذكر في مقدمته انه ألف هذا الكتاب اجابة لمن طلب منه أن يضع رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله ، على سبيل الحقيقة بلا مغالاة ولا ايراد للاخراقات . وقد استشهد ابن حزم في جميع أبواب الكتاب بشعره هو دون غيره . فلم يورد لأحد من المحبين شعراً في هذا الكتاب وان كان قد أورد أخبارهم . وهذا يرجح عندنا أن ابن حزم قد وضع هذا الكتاب ليكون ديواناً لاشعاره الغرامية . ولكنه أراد أن يضيف الى ذلك فائدة لا توجد في دواوين المحبين فبحث فيه عن ماهية الحب وأسبابه وتكلم عن الحب في النوم وعن الحب بنظرة واحدة وعن المراسلة والسفراء والوصل والهجر والغيرة وأنواع العذال والرقباء والواشين ، إلى غير ذلك مما انقسم فيه البحث إلى ثلاثين باباً

هل كتب في فلسفة الحب غير ابن حزم من علماء العرب ؟

يقول ابن حزم في مقدمته مخاطباً من طلب منه وضع رسالة في هذا الموضوع أو من انتحله ليسند إليه الخطاب ويدعى أنه طلب منه وضع الرسالة : « ودعني من أخبار الأعراب المتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا . وقد كثرت الأخبار عنهم . وما مذهبي أن انضي مطية سواي ولا أتجلى بجلى مستعار ، ويؤخذ من ذلك أن ابن حزم قد اختط في تأليف هذا الكتاب خطة ليست لغيره . ولم يسبق لأحد من فلاسفة العرب وأدبائهم أن يخطها قبله ، لأنه لا يريد — كما يقول — أن ينضي مطية سواه ، ولا أن يتجلى بجلى لا يملكه . وجدير بابن حزم وبمكانته من العلم والأدب والفلسفة أن يسلك سبيلاً لم يسلكه أحد قبله ، وأن يكون غيره من بعده عالماً عليه ، لا أن يكون هو عالماً على غيره وقد يكون ابن حزم صادقاً إذا أراد أن فلاسفة العرب لم يسبقوه إلى تلك الطريقة التي انتهجها في الكتابة عن الحب . أما إذا أراد أن أحداً منهم لم يسبقه إلى البحث في فلسفة الحب أو الكتابة في ماهيته وتحديد كنهه ، فليس ذلك من الحقيقة في شيء . فالجاحظ في القرن الثالث الهجري تكلم عن الحب وعرفه تعريفاً يكاد يقرب من الفلسفة وإن غلبت عليه الصبغة اللغوية . والرئيس أبو علي ابن سينا ألف رسالة فلسفية في « العشق » وقد كان معاصراً لابن حزم ومات قبله بنحو ثمان وعشرين سنة . وكتب غيرهما من علماء اللغة في معنى الحب والعشق والهيام وما إليها من الالفاظ التي تتضمن معنى الحب

على أننا حباً في الانصاف يجب أن نقرر أن كل ما قيل في معنى الحب قبل ابن حزم عدا رسالة « العشق » لابن سينا ، كان يتناول الناحية الأدبية أو الناحية اللغوية المحضة أو العرض دون الجوهر والصفة دون الماهية . ومن ذلك ما روى عن المأمون أنه سأل يحيى بن اكنم عن العشق ما هو فقال : « هو سواخ تسنح للمرء فيهم بها قلبه وتتأثر به نفسه » ، وكان ثمامة بن اشرس حاضراً فقال : « اسكت يا يحيى إنما عليك أن تحيب في مسألة طلاق أو محرم صاد ظنياً أو قتل نملة . فاما هذه فمسائلنا نحن » فقال له المأمون : « قل يا ثمامة » فقال : « العشق جليس ممتع واليف مؤنس . وصاحب ملك . مسالكة لطيفة . ومذاهبه غامضة . واحكامه جائزة . ملك الابدان وارواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، وأعطى عنان طاعتها وقياد تصرفها . توارى عن الابصار مدخله . وعمى في القلوب مسلكه » فقال المأمون : « احسنت والله يا ثمامة » وامر له بالف دينار فانت ترى ان ثمامة — على الرغم من استحسان المأمون لما قاله — لم يأت بشيء من معنى الحب وتحديد ماهيته . ولو انصف المأمون لأعطى الف دينار ليحيى بن اكنم لأنه في الحقيقة حام حول معنى الحب دون ثمامة الذي لم يتعرض لشيء غير بعض أوصافه وأعراضه أما ما سوى ذلك مما كتبه ابن حزم وابن سينا ومن نحا نحوهم من علماء العرب بعدهم ، فقد تناول

اصحابه طريقة اليونان في البحث عن ماهية الحب ونواحيه الاخرى . ولكنهم توسعوا فيه توسعا كبيرا ووصلوا بفصوله وابوابه الى الثلاثين أو ما يقرب من الثلاثين ، وساعدتهم في ذلك كثرة ما خلفه العرب من اخبار المحبين والآثار الادبية التي تتعلق بالحب

واشهر من ألف في هذا الموضوع بعد ابن حزم وابن سينا : ابن قيم الجوزية صاحب كتاب « روضة المحبين » وابو محمد بن السراج صاحب « مصارع العشاق » والتميمي مؤلف « امتزاج الارواح » والقاضي ابن سليمان النوقاتي مؤلف كتاب « محنة الظرفاء » وشهاب الدين ابن ابي حجلة مؤلف « ديوان الصبا » . وهؤلاء عدا من ألفوا في الحب الصوفي وفلسفته كابن العربي وابن الفارض وغيرهما

كلمة عن « رسالة العشق » و « روضة المحبين »

اسلفنا الكلام بالاجمال عن كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم . وهو أهم كتاب وضع بالعربية في فلسفة الحب . ولا بد لنا ان نقول كلمة عن « رسالة العشق » لابن سينا وكتاب « روضة المحبين » لابن قيم الجوزية المتوفى بعد ابن سينا وابن حزم بنحو ثلاثة قرون . فهما على التحقيق احسن كتب وضعت في هذا الموضوع بعد كتاب « طوق الحمامة »

و « رسالة العشق » رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز عشر ورقات تكلم فيها ابن سينا عن العشق بالمعنى العام وهو الجاذبية والانجذاب . وذكر انه يسرى في جميع الموجودات حتى الجواهر البسيطة غير الحية . وبرهن على انه موجود في الفلكيات والعنصریات والمواليد الثلاث . وهي (المعدنيات والنباتيات والحيوانيات) . وتكلم عن عشق الظرفاء والفتيان للاوجه الحسان . ثم تكلم عن الحب الالهي في بحوث فلسفية عميقة

أما كتاب « روضة المحبين » فهو يقرب من كتاب « طوق الحمامة » وقد نهج نهجه في بعض الابواب واقتبس منه وذكره في غير موضع واحد . الا انه اوسع مادة . وقد انتحى الناحية الدينية في كثير من المواضع . واستشهد بعدة آيات واحاديث . وانفرد ببعض البحوث الفلسفية كبخثه عن الحب (هل هو اضطراري او اختياري ؟) وبخثه عن لذة الحب وانها تابعة له في الكمال والنقصان كما انفرد بالبحث اللغوي في اسماء المحبة (وهي خمسون اسما) ونسبة بعض هذه الاسماء الى بعض . « وان العالم العلوي والسفلي انما وجدا بالمحبة » . وفي هذا البحث يقرب من ابن سينا . بل هو ينقل كلام ابن سينا في رسالته مع شيء من الشرح والايضاح ويراد بعض الآيات والاحاديث

ماهية الحب

اختلف فلاسفة العرب وعلماءهم في تعريف الحب وبيان ماهيته بالمعنى الروحي لا الحيواني . وقبلهم اختلف علماء اليونان واضطربوا في تحديده . وقد غمض على بعضهم حتى عرفوه بأنه مرض وسواسي يشبه المايلخوليا ، يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور

والتأمل . وقال بعض الفلاسفة : « العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى ويجمع إليه مواد من الحرص ، وكلما قوى ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والحرص على الطلب ، حتى يؤديه الى الغم والقلق ، ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها اليها . ومن غلبته السوداء يحصل له فساد الفكر ، ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمنى ما لا يتم ، حتى يؤدي الى الجنون . وحينئذ ربما قتل العاشق نفسه أو ربما مات غماً ، وربما نظر الى معشوقه فمات فرحاً أو شهق شهقة فتخثق روحه أو تنفس الصعداء ففاضت نفسه . وتراه اذا ذكر له من يهواه هرب دمه واستحال لونه »

وعرفه ارسطو وأتباعه بانه اتفاق أخلاق وتشاكل صفات وشوق كل نفس الى مشاكلها ومجانسها في الحلقة القديمة قبل هبوطها الى الاجساد

وذهب ابن حزم الى أنه استحسان روحاني وامتزاج نفساني بين اجزاء النفوس في أصل عنصرها الرفيع . وليست علته حسن الصورة الجسدية ، وإلا لوجب ألا يحب إلا جميل الصورة ، مع أننا نجد كثيرين يؤثرون قبيح الصورة ولا يجدون عيذاً لقلوبهم عن حبه ، كما أن التجانس في أصل الطباع واثتلاف الارواح هما داعية الحب . ثم يقول ابن حزم ما خلاصته : فان قال قائل لو كان هذا كذلك (أي امتزاج نفساني واثتلاف روحاني) لكانت المحبة بين المحب والمحبوب مستوية إذ الجزآن مشتركان في الاتصال ! فالجواب عن ذلك أن نقول هذه لعمرى معارضة صحيحة ولكن نفس الذي لا يحب من يحبه مكتتفة الجهات ببعض الشواغل الجسمانية والطبائع الارضية ، فلو تخلصت من هذه الشواغل لاستوى المحب والمحبوب في المحبة . وكلما كثر التشابه زادت المودة وتأكدت ، فانظر هذا تراه عياناً وقول رسول الله (ص) يؤكد : « الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وقول أحد الصالحين : « ارواح المؤمنين تتعارف » ، ولهذا ما اغتم حين وصف له رجل من أهل النقصان كان يحبه ، فقال : « ما أحبنى إلا وقد وافقته في بعض اخلاقه » ، وروى عن افلاطون ان بعض الملوك سجنه ظلماً . فلم يزل يحتج عن نفسه حتى اظهر براته وعلم الملك انه له ظالم . فقال له وزيره : « أيها الملك قد استبان لك ان افلاطون بريء فمالك وله ؟ » فقال الملك : « لعمرى مالى اليه سبيل غير انى أجد لنفسي استقلالاً لا أدرى ماهو » ، فأدى الوزير ذلك الى افلاطون . قال افلاطون : « فاحتجت أن افتش في نفسي واخلاقى عن شيء اقابل به نفسي واخلاقه مما يشبهها فنظرت في اخلاقه فاذا هو محب للعدل كاره للظلم فميزت هذا الطبع في فها هو إلا أن حركت هذه الموافقة نفسه ، فأمر باطلاقى . وقال لوزيره : « قد انحل كل ما أجد في نفسي له » . وذلك يؤيد أن التجانس في أصل الطباع يؤدي الى المحبة . والى هنا نختتم هذا الفصل الذى يعطى القارىء فكرة عامة عن هذا الموضوع . وخير لمن يريد التوسع فيه ان يرجع الى مصادره التى وصفناها . فسيجد ما يقنعه بأن اسلافنا لم يألوا جهداً في تناول كل مفيد طريف

روح فياض^(١)

بقلم الاستاذ امين تقى الدين

... يا روح «فياض» أطلّ ساعة
فيم الإقامة في الجسم كأنها
لما أخذت من الضياء لك هيكلًا
صاحبه خمسين ملء إهابه
وطواك في صدرٍ نشرت به المنى
تبين من عينيه سحرًا رائعًا
وملكت شيمة قلبه فتدافعت
وجريت فوق لسانه فيبانه
وأويت مسمعه فكنت سياجه
وعهدته يزهى ويمرح عابثًا
يهب الجزيل ويستنيم إلى المنى
وعلى غرارك قد طبعت شعوره
ما كنت إلا شمس ياليتها

أستوح منك لساعة موضوعا
صور على لوح تمر سريعًا
أنى تركت الهيكل المخلوعا
فزلت رجبا وارتعيت مريعًا
شقى المعاني غاية ونزوعا
في كل جراحة جرى ينبوعا
فيه المروءة مبدأ وصنيعا
أى تنث وشاردات توعى
من كل نافرة تسوء سمعيا
أويستكن تواضعا وقنوعا
ويعف ذا عوز ويخشى الجوعا
نخلقت منه الشاعر المطبوعا
جارى بآيته النبي يسوعا

«فياض» هذى نفثة لو لم ترد
إن الأديب إذا وقفت بقبره
إنالفي بلد أفاد نفوسنا
فإذا زهون حرمن مقعد شمعة
لم يبق لى إلا البيان فيها كه

شعرا لسالت أدمعاً ونجيعا
أمطرته مما بكيت ربيعاً
أدبا ليوقدهن فيه شموعا
وإذا انطفأ فقد نسين جميعا
وكفى البيان لدى الأديب شفيعا

(١) من قصيدة في تأبين الأديب الشاعر المرحوم الياس فياض

أحزان الانسانية

في مستشفى المجازيب بالعباسية

بقلم الاستاذ احمد الصاوي محمد

أراها من أحزان الانسانية وأذهب اليها كأنى ذاهب الى صلاة تقام على روح صديق راحل حتى اذا جثتها لم أجد دمة حرة ، ولم أجد الا ابتسامة على الشفاه ، وضحكة تملأ الأفواه ! عجيب ! .. يرى شكسبير أن الذى يسرق منه شيء لم يشعر بفقده فكأنه لم يسرق منه شيء البتة .. فهل هؤلاء الذين سلبت منهم عقولهم هكذا ؟ لا ريب ! .. وإلا كيف هم في هذا الجذل كله ؟ ومع ذلك فان بعضهم ناثر ! وإن بعضهم موتور ! .. وإن بعضهم يطلب الخروج ويلج فيه ويكتب له العرائض ! .. ويطلبه البعض أحياناً في رفق وحياء . ويطلبه الآخرون في خشونة ووقاحة وسباب . فهي حالات تتعاقب

وعندما جثت الدار وقت الظهيرة تفضل مديرها الدكتور محمد فؤاد بك بمصاحبتى ساعتين طويلتين .. وأحسبنا دخلنا وخرجنا من مائة باب ، جميعها تفتح لنا ثم تقفل من ورائنا . وهذه الدار مناطق . ولكل منطقة رجالها أو نساؤها من النزلاء سبحانه الله ! لم أشعر بأن هؤلاء مرضى كغيرهم سواء بسواء . لأن المريض برجله أو ضرسه أو ظهره ليس كمنسوب العقل والرشاد . ليس كمحروم النور الذى نرى به الأشياء ونفهمها ونمجد منها ما يستحق التمجيد ونحذر ما فيه ضررنا ونتجنب الوقوع في الزلل ونحسب حساب الحاضر والمستقبل معاً

إن هؤلاء المرضى أناس مثلنا ومع ذلك لم يعودوا منا . لأن لهم دولتهم القائمة برأسها التى لم تعد أرضية ولا سماوية . هي شيء بين بين . ألم تقل لنا تلك السيدة التى تمشط شعرها في الشمس وهي تتكلم الفرنسية والانكليزية : « أفلا تسمعون تلك الاصوات المنبعثة من هذه السموات ؟ » ، فقلنا لها : « أجل ! .. » ، إى وربى ! .. ليت هذه السموات تسمع أصواتنا نحن المنبعثة من أعماق قلوبنا بالدعاء لك أيتها السيدة المنكودة بالشفاء ! ..

وهي تعود فتسألنى بالانكليزية : « أين الناس الأشرار ؟ » فقلت لها : « الله يصرفهم ! .. » ودخلنا البهو الخاص بالنساء . وهو حسن الأثاث . وفيه بيانو وفيه الصحف اليومية

والمصورة . فاستقبلتنا سيدة من نزيلات الدار منذ عشرين عاماً . . تطوى الغسيل وترتبه بشكل لا يدع سيلاً الى الشك في عقلها . وكان في يدي ورق أدون به بعض الملحوظات . فبادرتنا بقولها : « أهلاً بكم فقد أنتم تكثبون محضر الخروج . واخوتي واخواتي وابن خالتي سيأتون اليوم لهذا الغرض ويأخذونني »

ونحن نغادرها . نراها اليوم للمرة الأولى والأخيرة . لن نأخذها معنا ولن تخرج على يدينا وليس أهلها آتين اليوم لهذا الغرض ولا غداً . وسيطول بقاؤها هنا بقدر تعلقها بالحياة وهذه المرأة العربية . التي كانت يوماً ما مليحة . وربما قيل في حبها شعر ونثر . ها هي الآن بعيدة بعداً شاسعاً عن عالم الحب والشعر والاماني . وهي مع ذلك قريرة العين راضية بما قسم الله لها : « البركة فيكم . . بزيادة . . مادامت طرايشكم في الدنيا . . احنا مبسوطين » والله ياخاله ليست بالطرايش تقدر الرجال . . . ولكن الحمد لله على حسن ظنك . . .

تلك المرأة العربية راضية بما كتب لها . وهذه الجارية ساخطة تنذر بالويل والثبور . وكانت تغسل . . . والعمل كالغسيل أو الخياطة أو ترتيب الفراش من العلاجات النفسانية المفيدة في هذه الحالات . . . فما رأينا هذه « الدادة » وسمعت ملحوظة من الدكتور فؤاد بك عن الغسيل حتى ثارت : « معلش . . انا الجارية الزربونة أم ديل . . أوريكم يا باشاوات مصر »

ولما كنا لحسن الحظ لسنا من باشاوات مصر فقد كان التهديد موجهاً لسوانا . وها نحن قد أبلغنا انذارها للذين يحملون هذه الرتبة الرفيعة . . . ولا أحسب أن فيهم من تحدته نفسه بزيارة هذا المستشفى . . فعند ما يصير الانسان باشا أحسبه ينسى أحزان الانسانية

وهذه تزغرد ، وأخرى تعدد . النساء هن هن في كل مكان . . . أصوات مرتفعة وانفعال شديد . . . بسبب وبلا سبب . . . ولا مؤاخذه

وأنت يا جدة . . . من أين أنت ؟ أحسبك شركسية . فما أشد بياض بشرتك حتى كأنها اللبن . . هم بقيت هنا ؟ . . يا الله ! ٢٧ عاماً ؟ . . وارحمته لك . . سلخت ربع قرن وأنت تحزنين الربع الثاني ؟ . في هذه الدار ؟ . في هذه القاعة ؟ . لا تحيلين عنها الا إليها ؟ . الله معك يا جدة . . . انني أفهم شكواك : « الى جناب المدير . . أطلب الانتقال الى القسم الثاني لانه انظف وغذاؤه أحسن . . ولا بأس بأن تدفع فرق السعر شيكاً على البنك من مالي الخاص » وهو كذلك . . . لقد طيب خاطرك لأنه أطيّب الرجال . . .

هذا بقية عنبر النساء . ونحن في ساعة الغداء . وهن يأكلن بسكون أشد من سكون تلاميذ رياض الاطفال . . ما أشد اختلاف ملابسهن وهياتهن . . ترى . . هل يتذوقن هذا الطعام أو هل يجدن له طعماً ؟ ؟ كم من مرة أكلن مع أولادهن وأزواجهن وأحبابهن ؟ ؟ أما اليوم فيأكلن وحدهن أو يأكلن مع الف شخص يلعب برءوسهن ويأخذ اللقمة من أفواههن . . من

يدرى... انهن اجتمعن من أقصى البلاد الى أقصاها ليتناولن هذا المزيج من الطيخ واللحم
والأرز في صحن واحد أو صحنين من الالومنيوم؟ يجلسن الى هذه الطاولة من الخشب ويقمن
عنها دون أن تكون لهن ارادة واضحة أو رغبة ظاهرة. رباه من ظلم الأيام... ان تلك الابقار
التي نراها تعود في المساء من المراعى والحقول لتدخل الدار فتجد علفها بانتظارها، كانت تخور
من أول الحى بالتحية ومظاهر الابتهاج... أما هنا فدمى ميكانيكية أو أحجار شطرنج تنقل
كما يقضى النظام ويأمر...

وهناك... أصوات... «يا الله يا فاطمة... تعالى نشوف عريسك...»
أين هو عريس فاطمة؟؟ وكيف هو؟؟ من سكان هذه الدار أو من قرية فاطمة أو منا
نحن؟؟

لعلهم سيزفون فاطمة قبل غروب الشمس... فقد كانت أترابها في عجلة يرددن النداء
ويحثن الخطى

وهؤلاء اللواتي يردن الدخول الى حظيرتهن فيفتح لهن فؤادك بمفتاحه: «تفتح لنا يا جناب
المدير؟... وهل نحن قدر هذا المقام؟ ربنا يخليك... وتعمل طيب أكثر لو سمحت لنا
بالخروج...»

كل فرد هنا في حالة التمتي والابتهاج... ولكن أهذا وقف على هذه الدار؟؟ السنا نحن
أكثر أمانى وأوسع مطامع من هؤلاء الذين كل مطمعهم الخروج والانطلاق من أمر هذا
المرض العصبي الفظيع؟ اليسوا هم أحق منا بتحقيق أمانيتهم ليتحرروا من عبودية هذا السجن
الذى ضربه الله عليهم فعزلهم عن سائر البشر وجعلهم لا من الانسان ولا من الحيوان؟؟
أجل... ليتهم ياخذون من امانيتنا لمن هم أولى الناس باجابة الدعاء... أما نحن فماذا
يجرى علينا لو وقفت الاستجابة لنا مؤقتاً؟؟ يطول مرضنا بضعة اسابيع او تعطل درجتنا بضعة
شهور، أو لا تريح ورقة اليا نصيب قبل العيد، أو لا يتم بناء بيتنا هذا العام أو يرزقنا الله بينت
بدل غلام؟؟ نعم... ماذا يضرنا من ذلك لو عرفنا أن جانباً من عذاب الانسانية سيرفع عن
اخوان لنا في هذه الانسانية عانوا كثيراً لغير ذنب جنوه؟؟



قصيدة أبي الهول

الاستاذ محمد الهرراوى

جمع البأس فى همامة نفس جسم ليث يقل هامة انسى
جاثم فى مكانه غير جاث ليس ينجثو سوى الذليل الاخس
ملك فى العراء من غير تاج مستفيض الجلال من غير لبس
تتهاوى العروش وهو مكين فوق عرش موطد فوق أس
مرت الاعصر الخوالى عليه وتمر العصور وهو ابن أمس
نفضت كفها الحوادث منه واثنت عنه بعد عجز ويأس
صنع قومى وهل يفاخر الا وارث المجد أو عصامى نفس؟
أخرجته الاكف آية صنع يوم لا صنع غير صخر وفأس
تركته على الخلود دليلا للذى يطلب الدليل بلبس
قام عند الاهرام حارس مجد ان يطوف البلى عليه بطمس
رافع الرأس تحت شبهه بمن باسط الكف فى برائن طلس
شاخص للزمان منه بعين لم تذق فى حاتها طعم نفس
قامة تقصر النواظر عنها ودعام يزرى رضوى وجلس
أمم الارض قد توالى عليه وتولت من كل دين وجنس
أقلت فى مدارع البغى صباحاً ثم دالت والبغى مغرب شمس
طمحت تستقل بالنيل مأكلاً فاحتواها من دونه بطن رمس
فترى خلفه مصارع قوم هبطوا مصر فى مواكب عرس
يا محط الرحال كم من وفود حملتها اليك أحداج عبس
من بنى العرب والبنود شكول أو بنى الفرس تحت ظل الدرفس
أو بنى الترك فى جنود سليم أو رجالات بونبرت الفرنسى
كل وفد علت منه مناه فى تناج أو فى اشارات خرس
طال منهم لديك اطراق ساه ساج الفكر فى خيال وهجس
ساورتهم منى فتسخر منهم بابتسام عليه صبغة ورس

يا وفود الآفاق ماذا لديكم
فاجبطوا مصر مكرمين ضيوفا
واطلبوا الخير وافراً بأيد
يا أبا الهول أنت جلس الليالي
قل لذي القوة الغشوم رويداً
سيرد الزمان ما كان أعطى
رب عار في يومه عن ثياب
يا خطيب الزمان لم تأل جهداً
قمت في الناس قبل بعث نبي
أنت وحي السلام تخطب في الناس
شهد الله ليس في الناس رأس
ضاع فيهم كتاب كل نبي
فرقتهم مطامع وأمان
لو تطبيق الكلام كنت خطيباً
مبلغ الظن ان صمتك يأس
أرسل النفس في خبايا أبي الهول
إيه يا نفس ههنا السر خاف
وأبينه فالحديث رجوم
قد أرى فيه والفؤاد دليلى
صور للعصور مختلفات
صورت في فؤاده مقلته
مثلما صور الرسوم طباقاً
فترى فيه للحوادث مرآة
يا أبا الهول والمسمى عظيم
أنت للظالمين طالع نحس
ما حسبنا الاهرام غير عرين
أودع الله بين جنبيك سرّاً

من أمانى ذات دلس وولس
لا غزاة على كتائب حمس
واطلبوا الناس بالولاء الأمس
منذ كانت وما سواك بجلس
كل ما في يديك منحة خلص
منح الدهر رهن رد وحبس
كان بالامس رافلا في الدمقس
ان تصون الزمان من كل دلس
يعظ الناس في أذان ونقس
يصلح الناس من خبال ومس
وهدايات كل شيخ وقس
في صفات من الطبائع شكس
فوق سحبان في البيان وقس
بعد ما يح كل صوت وجرس
ل تذكرك والحوادث تنسى
فتقر به بالبنان الخمس
عنه والناس بين ظن وحدث
شبه دنيا تعيد فيه وترسى
ماثلات على ترائب ملس
ما رآه في كل جيل وحرس
فوق ألواح الزجاج الشمسى
تريك العصور معنى لحس
لا تشاب الاسماء فيك بلبس
وعلى مصر طالع غير نحس
قمت عن أهله بحرس وعس
قد عرفناه باختبار ومرس

كل دار أقيمت في جانبها أبد الدهر لا تحول بدرس
صورت فيك لابن مصر معان حار فيها الوري على طول درس
علم قائم على ذروة المجد وطود على المفاخر راس
شامخ الرأس غير افطس أنف عن رموس شوامخ غير فطس
جمع الحكمتين بأساً وعلماً في حمى اروعين جسم ورأس
صابر للزمان طرداً وعكساً لم يحل فيه بين طرد وعكس
مستلينا على كرامة نفس مستحيلا مع الخطوب ليس
سلس الخلق في المكارم لكن ذو صفات على المكاره شمس
يقظ العين حين ظنوا فقلوا هو في النوم غاطس أي غطس
يا تراث الآباء قد شد ماها ج حديث الآباء منك بهمس
فيك من سرهم أشعة نور كل جيل يعود منها بقبس
فيك بعض العزاء ان ذكر المجد قديما وفيك بعض التأسي
لا تلم أمة أكف العوادي جردتها من كل حول وبأس
لم يقصر بنو الكرام ولكن لليالي أدوار نعمى وبؤس
كذب الزاعمون انا أناس الفوا الغبن واستناموا لو كس
وارتضوا خطة الهوان وساروا من وراء الشعوب ذبلاً لرأس
لا وعى مسمع الزمان حديثاً مثل هذا ولا حوى صدر طرس
غضب الحق ان يقال بنو مصر سوام تباع بيعة بنحس
نحن نسل الملوك من آل فرعون ونسل الاشراف من عبد شمس
فاسألوا المالكين من آل مصر مثل مينا وخفرع وكيوبس
كيف مدوا على الوري ظل حكم مستمد من فوق عرش وكرسى
نبي الناس يا أبا الهول انا امة كالحديد صلب المجلس
لم يعبنا انا بلتنا شعوب وبلونا الشعوب من كل جنس
كل من ساءنا أذقناه سوءاً بيد الله كل كأس بكأس
فاسألوا الروم ما دها الروم فينا واسألوا الفرس عن مصاب الفرس
امم تلك ذات ناب وضرس قد مضغنا ما بين ناب وضرس
فنيث كلها ونحن بقينا من حمى الله في حظيرة قدس

عبد الرحمن الناصر

في يوم سمورة

بقلم الاستاذ حبيب جاماتي

أخذ كل من القواد والامراء مكانه حول عبد الرحمن الناصر وقد استوى في مجلسه في صدر القاعة ، وتناولت الاعناق نحوه ، وشخصت الابصار اليه ، وكل من الحاضرين يسائل نفسه : « أى حادث جلل استدعى هذا الاجتماع ؟ »

التقى عبد الرحمن نظرة على ابطاله ، وعندما أيقن انهم جميعاً قد لبوا دعوته ، وأسرعوا إلى مجلسه ، وجه اليهم الخطاب قائلاً :

— لقد دعوتكم يا رفاقي في الجهاد وأعوانى في تثبيت دعائم هذا الملك ، لكى أفضى اليكم بما عولت عليه وعزمت على القيام به نحو حصن من حصون الاعداء المنيعه ، وقلعة من قلاعهم المتمردة ، وأظنكم قد أدركتم أى حصن أغنى وأية قلعة أقصد . .

وسكت لحظة . فتبادل الامراء والقواد النظرات . ثم التى أحدهم ، فى وسط ذلك السكون هذه الكلمة : « سمورة ! »

فابتسم عبد الرحمن الناصر ، ورفع يده إلى لحيته ، وجعل يعبث بها باصابعه قائلاً :

— لقد أصبت ياهشام . إياها أغنى ! فقد استولى العرب على الاندلس من أدناه إلى أقصاه . وخضع لهم حكام المدن وغطارفة الجبال . وضربت الاتاوة على المقاطعات النائية . والبلاد تتمتع الآن بما تصبو اليه من راحة وهدوء وعزة واطمئنان . لكن شيئاً واحداً ينقص على الآن عيشى ويملاً ليالى بالاحلام المزعجة والافكار المقلقة . فان « سمورة » مدينة الجلالقة ومعقلهم الحصين لا تزال متمردة علينا ، رافعة لواء العصيان قائمة على جبلها الاشم ، تتحدى جيوشنا الجرارة ، وتردها عن أسوارها المنيعه خائبة خاسرة . فهل يجمل بعبد الرحمن الناصر أن يغض الطرف عما أصاب جيوش العرب من فشل واندحار ، أمام جبل سمورة ، وأن تردد الاجيال المقبلة أن ملوك الاندلس قد عجزوا عن استرداد هذه المدينة ، بعد أن طردهم منها الاسبان واعتصموا فيها مكابرين مفاخرين ؟ يا أمراء العرب وقواد الجيش لقد دعوتكم للاسترشاد برأيكم . فما قولكم فى إعادة الكرة ، ومهاجمة سمورة ، واقتحام أسوارها ، ودخولها عنوة ، أياً كانت خسائرنا وأياً كانت قوة المدافعين عنها ؟

تشاور الحاضرون فيما بينهم ، واستحسنوا رأى عبد الرحمن ، فنهض واحد منهم وهو أكبر الجميع سناً وقال :

— ان رأينا هو رأيك يا أمير المؤمنين فان شوكة الجلالة تزداد يوماً عن يوم . وينبغي لنا أن نقضى عليهم وأن تدارك الخطر ونضربهم الضربة القاضية ، قبل أن يستفحل أمرهم ويتعاضم شرهم . فاذا شئت ارادة أمير المؤمنين سرنا غداً بمائة ألف من رجالنا البواسل لفتح سمورة ونصب أعلامنا فيها !

فطفتح وجه عبد الرحمن الناصر بشراً وقال :

— لا عدمتكم أنصاراً . اعدوا اذن للملحمة القادمة عدتها ، وموعدنا في مثل هذا اليوم من الاسبوع المقبل !

بعد أن تدفقت جيوش العرب على الاندلس ودكت حصونها ، واجتاحت مدنها ، ومزقت كتائب المدافعين عنها ، ظل ثلاثون من صناديد الحرب ، معتمسين في « أعلى الجبال » في مكان اطلقوا عليه اسم « الصخرة » يقتاتون من العسل وجذور الاشجار ، ويأبون الاستسلام للغزاة الفاتحين . . . قابل العرب عصيانهم بالاحتقار . فتركوهم وشأنهم ، وما كانوا ليظنوا في ذلك الوقت ان أولئك الابطال الثلاثين ، سوف تتكون منهم نواة جيش عظيم ، يعيد على العرب الكرة بعد الكرة ، ويسترجع منهم المواقع الحربية موقعاً بعد موقع !

أصبحت تلك « الصخرة » وكر القومية الاسبانية ، وبركان الوطنية المتأجج ، وخرج أولئك الثلاثون من مكثهم فانضمت اليهم فلول الجلالة المبعثرة ، وجعلوا يهاجمون الحصون والقلاع والمدن ، وتمكنوا في سنة ١٣١ هجرية الموافقة لسنة ٧٤٨ للميلاد ، بقيادة ملكهم « الاذفونش » الكاثوليكي من استرجاع سمورة وقلعتها من العرب ، واحتفظوا بها منذ ذلك الوقت ، وعبثاً حاول العرب اخراج المعتمسين فيها ، فقد تحطمت هجراتهم على أسوارها كما تتحطم الامواج على الصخور ، وظلت المدينة الحصينة تسخر طوال تلك السنين من الجحافل المسيرة لاختضاعها . وظلت قلعتها الشاحخة رابضة فوق جبلها الشامخ . كأنها وكر من وكور النصور ، يهزأ بأسراب الزواجر !

وعندما تولى عبد الرحمن الناصر خرج عليه أعمامه ومعهم فريق من كبار الزعماء والقواد والامراء . فاضطر الخليفة الاموي إلى ترك الجلالة وشأنهم للقضاء على اعدائه في الداخل والتخلص ممن كانوا ينازعونه الملك والسلطان . فاشتد ساعد أعدائه وانضم اليهم بعض الخوارج من العرب كاسحق بن أمية وغيره ، فجعلوا يكشفون لهم عن عورات المسلمين ويساعدونهم على النيل منهم ؟ لكن عبد الرحمن الناصر تغلب على اعمامه وأنصارهم . فاستتب له الامر . وعاهد نفسه على بسط سلطان العرب من جديد على البقاع والامصار التي أضاعها عليه انهماكه في الشؤون الداخلية

والحروب الاهلية . وأول ما فكر فيه وعزم عليه انتزاع سمورة الحصينة من الجلالقة المتمردين
وبذل قواه في هذا السبيل

☆☆☆

استيقظ أهل سمورة مذعورين . ونهضوا خائفين على أصوات الاجراس والنواقيس وهي
تدق بالتواتر إيقاظاً للناس منذرة بالخطر القريب والويل الداهم
وانقض الخبر من فوق أبراج السكناس والحصون على السكان انقضاض الصاعقة . وقد أرسله
الحراس من مكائهم في جهات المدينة الاربع : « العدو ! العدو ! »

وبدت رايات العرب وأعلامهم في السهول والوديان . وقد انتشروا فيها على مسافات شاسعة .
وطلعت الشمس من وراء القمم والآكام . فسطعت تحت أشعتها السيوف والدروع والرماح . وهب
نسيم الصباح فحمل الى المدينة مع أريج الحقول والغابات صهيل الخيول وجلبة الجنود !
وأيقن القوم أن ذلك اليوم سيكون من الايام الدموية الهائلة وأن مستقبل مدينتهم سيطرح
في حلبة الرهان ! فاستعدوا للمقاومة . . . واستعد العرب للهجوم . . .

وكان القواد يسرون في طليعة جيشهم ، ومن ورائهم مائة ألف من أبطال الحرب المغاوير ،
بين مختلط سيفه ، وشارع سنانه ، وقد اختارهم عبد الرحمن وأعد كتائبهم لانه كان يعلم أن في
سمورة رجالاً أغزة النفوس عركتهم الحوادث ودربتهم الحروب ، وأنه لن ينال منهم منالاً ولن يتمكن
من إخضاعهم إلا إذا نازلهم بخيرة جنوده وصفوة قواده ، عملاً بالقول الحكيم : « لا يقل الحديد
غير الحديد ، ولا يغالب الصنديد غير الصنديد ! »

والتحم الفريقان في معركة دامت طول ذلك النهار ، بيعت فيها الارواح رخيصة ، وسالت فيها
الدماء جداول ، وطوحت الطوايح بسمورة المنيعه فدخلها العرب فاتحين منصورين !

لكنهم أهملوا الحصون كعادتهم ، وانتشروا في المدينة مهللين مكبرين ، ولم يعملوا على تأمين
أنفسهم بالاستيلاء على القلاع والآجام جميعها ، عملاً بقولهم المأثور : « كل محصور مأخوذ ! » فاعتصم
المقاتلون من الجلالقة وراء تلك الجدران المنيعه ، واجتمع زعمائهم للتشاور والمداولة

وكان ساعدهم الايمن ومرشدهم المسموع الكلمة ، في ذلك الظرف العصيب ، قائداً من أشهر
قواد العرب الخارجين على عبد الرحمن ، وهو اسحق بن أمية ، الشجاع المحنك !

رسم ذلك العربي المحارب في صفوف أعداء أمته خطة لانقاذ سمورة من الفاتحين وطرحها على
بساط البحث أمام زعماء المدينة المقهورة فاقروها جميعاً ، وعزموا على وضعها موضع التنفيذ عند
ما يرخى الليل سدوله على الاسوار . . وفي الساعة المعينة ، انقض الجلالقة من جديد على العرب الذين
أهملوا وسائل الحيلة بعد النصر . فاختدوا على غرة منهم . ولم يقولوا على صد المهاجمين ، فتراجعوا
أفواجاً أفواجاً ، مسرعين إلى الخندق المحيط بالمدينة لاجتيازه والعودة إلى السهول ، فتمكن خمسون

الفا من عبور القنطرة القائمة عليه وسقط خمسون ألفاً منهم صرعى في حومة القتال !
وأراد الجلالة أن يعبروا الخندق وراء الهاربين ، للقضاء عليهم . فاعترضهم اسحق بن أمية -
وقد هاله ما أصيب به العرب من خسائر جسام وأخذ نفسه على ما بدر منه - صائحاً بهم :
— إياكم أن تلحقوا بهم ! فإن العرب لم يعبروا الخندق ويسرعوا الى السهل إلا لكي يقيموا
فيه كميناً لاستدراجكم ! إننى أعرف منكم بعبادتهم وتقاليدهم . فارجعوا الى المدينة واكتفوا بما أحرزتم
اليوم من نصر عظيم !



أدخل ذلك الانهزام الشنيع الحزن إلى قلب عبد الرحمن الناصر . وظل منذ ذلك اليوم
المشؤم يفكر في أخذ النار ، لأنه كان يأبى أن يسجل على نفسه العجز الذى سجله أسلافه على
أنفسهم ، وأن يوصم بما وصموا به ، وأن يطوى الصفحة المجيدة التى دونها فى تاريخ العرب
والاندلس ، دون أن يغسل ذلك العار الذى لحق جيشه فى سمورة ، ويمحو أثره بانتصار باهر
وفتح مبين

وكأن الاقدار شاءت أن يكون عوناً فى أخذ النار من أهل سمورة ذلك الرجل نفسه الذى
كان من قبل عوناً لهم على صد العرب عن أسوارهم : اسحق بن أمية !
فقد عاد ذلك القائد المغوار الى حظيرة الواجب . بعد معركة سمورة بأيام معدودة وطلب العفو
والامان ؟ وتقرب من الخليفة الذى عرف قدره وأحله فى حاشيته المحل اللائق به ، فاصبح اسحق
ابن أمية ، بين مساء وصباح ، موضع ثقة عبد الرحمن وأمينه ونجييه
وكما رسم اسحق من قبل للجلالة خطة الدفاع وطرد العرب من مدينتهم المجتاحة ، فانه رسم
فيما بعد ، وبلاشتراك مع مولاه عبد الرحمن الناصر ، خطة هجوم جديد للاستيلاء على المدينة ودك
أسوارها واقتحام حصونها

أدرك الخليفة أن وجوده لا بد منه فى الميدان ، فعزم على قيادة جيشه بنفسه . وفى صبيحة يوم
من أيام شوال سنة ٣٢٧ هجرية الموافقة لسنة ٩٣٨ للميلاد . وصل ذلك الجيش الى السهول الممتدة
أمام سمورة . وانتشر فيها انتشار السحاب فى السماء !

سار عبد الرحمن الى الجلالة فى هذه المرة بمائتى الف مقاتل من بواصل الابطال والفرسان ،
ولم يأبه لتشاؤم المنجمين الذين قالوا له ان جيشه سينهزم لأنه بلغ سمورة بعد كسوف الشمس بثلاثة
أيام . بل أعد للهجوم عدته . ورتب للقتال جنوده . وما طلع فجر الغد الا وقد دكت الاسوار
وأسلمت الحصون وسقطت الآجام وفتحت القلاع أبوابها . فدخل عبد الرحمن الناصر مدينة
الجلالة واحتاط لكل مفاجأة وانتفاض



سكر العرب بجمرة النصر ، وراحوا ينزلون باولئك الاعداء الالاء أنواع الانتقام وقد عجز
قوادهم عن كبج جماعهم بعد ذلك الفوز المبين !

ترك عبد الرحمن الناصر جنوده وشأنهم وقد أطلقوا لثوران غضبهم العنان ، وامتنى صهوة
جواده . وانطلق ومعه بعض اتباعه متجولا في ميدان القتال ، باحثا عن جريح يواسيه وحزين
يعزيه وتائه يعيده الى أهله ...

طرق أذنيه وهو مارتحت أسوار المدينة فحجب طفل يبكي . فانصت . ثم ترحل وقصد الى
مبعث الصوت . واذا به أمام وليد لا يزال في لفائفه مطروح بين الاعشاب في اخدود ضيق تحت
جدار متهدم ...

فالتقطه عبد الرحمن واحتضنه وجعل يبذل له من تدليل ودهشة ما يستطيع بذله رجل
عرف كيف يحب رعيته وابناءه

فسكت الطفل وارتسمت على ثغره ابتسامة الاطمئنان . وركن الى ذلك الصدر القوى كما يركن
العصفور الى عشه . فحمله عبد الرحمن الناصر على جواده ورد عليه طرف رده . واستمر في
جولاته في السهول والهضاب ...

ثم قصد قبل غروب الشمس الى مضرب فسيح نصب امام تلك القنطرة التي شهدت من قبل
انهزام العرب وشهدت في ذلك اليوم انتصارهم . وهناك جلس الخليفة يحيط به امراء جيشه في ابهة
المجد وعظمة الملك ، وأمر ان يؤتى اليه بأسلاب المعركة . فر الجنود امام مولاهم وقائدهم يسوقون
الاسرى افواجا افواجا والسبايا جماعات جماعات . وفجأة علا في الخارج صراخ ونحيب وحدثت في
باب المضرب جلبة استرعت اهتمام عبد الرحمن وخاطب الحراس سائلا : « ما الخبر ؟ »

وقبل ان يلاقي سؤاله جوابا شقت صفوف الجنود امرأة فاقدة الصواب وقد حلت شعرها
ومزقت ثوبها وأرسلت صوتها بالنواح والعيول ، فوقفت في وسط المضرب صائحة :
— أين هو ملك العرب ؟

احاط بها الحراس من كل جانب . لكن عبد الرحمن ردهم عنها قائلا :

— دعوها ولا تزجروها . ! . هل بينكم من يعرف من امرها شيئا ؟

فقال احد الجنود :

— رايناها منذ ساعات يا امير المؤمنين تروح وتجيء بين الجثث والاطلال ، تارة تركض كأن

بها مسأ من الجن وتارة تنكب على الارض تفحصها وعلى الاشلاء تقلبها ، ثم تنهض حائرة يائسة ،

وتنقلب من جديد راكضة معولة ، فجئنا بها اليك يا مولاي مع من جئنا بهن من سبايا الحرب

فخاطب المرأة سائلا : أنا ملك العرب ! فمن أنت وما دهالك يا امرأة ؟

فنظرت اليه بعينين يتطاير منهما الشرر وينبعث منهما الحقد والغضب . وقالت :

— أعد إلى ولدى يا قاتل النساء وذابح الاطفال ! أهذا هو العدل الذى تحمله الينا والامان الذى
تعدنا به ؟ .. ان جنودك يطلقون أيديهم فى السلب والنهب ويشتمون فى العراء من لا تتناوله
سيوفهم من السكان . ويفصلون بين الاخ واخته والرجل وزوجته والام وطفلها ! امن اجل
هذه الاعمال يسمونك « الناصر » يا عبد الرحمن ! انعم به إذن من نصر وانعم به من لقب !
فقطب الملك جبينه ونظر الى المدينة وقد اندلعت فيها النيران وارتفع منها الصياح . ثم نظر
الى تلك المرأة المذعورة وخيل اليه ان الضمير قد تجسم فيها وجاء يؤنبه على الفظائع التى يرتكبها
جنوده فى مدينة ذنبها الوحيد أنها دافعت عن حريتها وابت الخنوع والاستسلام !
والتفت الى من كانوا يحيطون به من القواد وقال :

— احموا الى الجند أمرى بالكف عن الارهاق واضربوا عنق كل معاند مخالف !
ثم خاطب المرأة السمرية بلهجة الرحيم الشفيق ، قائلاً :
— خففى عنك يا امرأة . انتى اؤمن سكان هذه المدينة على ارواحهم وأموالهم فاطمئنى
فقالَت المرأة والزفرات تخنقها :

— وولدى ؟ . طفلى الرضيع الذى انتزعه جنودك الاجلاف من بين ذراعى فانتزعوا معه
روحى من بين جنبى ؟ اتعيده الى يا عبد الرحمن ؟ ام انك تحمل ما تحرمه الشرائع وترضى بأن يرتكب
جنودك ما ينهى عنه المسيح وينهى عنه محمد ؟ اعد الى ولدى اذا كان فى صدرك قلب يختلج بشعور
الاب ويعرف حب الوالدين !

— ان قلب عبد الرحمن يا امرأة ليس بالقلب المظلم الجوانب كما تظنين ... وقد تكون
العناية الالهية هي التى قادتك الآن الى . انظرى ! ألا يكون هذا الطفل ولدك ؟
قال الخليفة هذا ، ورفع طرف رداءه عن الطفل الذى حمله معه الى ذلك المضرب ، والذى كان
نائماً مستكناً بجانبه ، ووضعه امام المرأة الحزينة
وكان الرضيع أحس بأنه على مقربة من أمه ، فجعل يصرخ فرحاً مسروراً ..
فارسلت المرأة صيحة سرور وطرب واندفعت نحو الطفل تغمره بالقبلات وتغسله بالدموع ،
ثم خرت على وجهها وسجدت شكراً . وقالت :

— انك ايها الملك لاعلى الملوك نفساً وارحمهم قلباً وأكرمهم خلقاً . فليرزقك الله عمراً طويلاً
الآباد ، وليرع بعين عنايته أبناءك من بعدك وأحفادك من بعد أبنائك !
وكتب عبد الرحمن الناصر فى وصيته أنه حكم الاندلس خمسين سنة ، منها أربعة عشر يوماً يعدها
« الايام السعيدة » فى حياته الطويلة

وذكر أن أحد تلك « الايام السعيدة » هو ذلك اليوم المشهود — « يوم سمورة » — الذى هزم
فيه الاعداء ، واستولى على تلك المدينة الحصينة ، وأعاد الى الام السمرية الحزينة طفلها المفقود

ثروت باشا^(١)

يعود الى أرض آبائه

بقلم الأستاذ خليل ثابت

وفي مساء السبت أغارت على حمى الدنج تنازعني فتصرعني وأقارعها فتقرعني وأجالدها كما يجالد العدو المرهوب الجانب حتى ضاق الصدر ووهن العظم ، فانطرحت كما ينطرح المجاهد وقد خارت قواه ولم يبق له من الحيل سوى بث الشكوى وترديد البلوى والتمسك بجبل النجوى . وما أضعف الانسان ! . وخيم الظلام على الوجود وطلع القمر من خلال سحب دقيقة يستشف بعض ما في هذا الكون من أسرار السعادة والهناء وأسباب الحزن والاسى والشقاء . في تلك الساعة دخل الناعى يقول : « مات ثروت باشا » فغمغت كمن يستوعب النبأ ، فاعاده على مسمعى وكنت قد صرت في البرزخ بين اليقظة والنم . فاذا بي في غمرات من أحلام مزعجة وخواطر مفزعة ومناظر تنبو عنها العيون ، لا أخرج من غمرة حتى أخوض أخرى ولا أنجو من بلية حتى أبلى بشر منها ، وبحار وأمواج وارتفاع وانحدار وضوضاء كضوضاء يوم الحشر ودوى كمن وضع في أذنيه أنامله العشر ، ثم رأيت فيما رأيت جمعاً كثيراً واقفاً على شاطئ بحر لا أعرفه ورجالا يصعدون من البحر يحملون كنزاً نفيساً يحرسون عليه حرصاً عظيماً فدفعوه إلى هؤلاء الواقفين فتسلموه واجمين وهم مقطبو الوجوه منقبضو الصدور ، ثم رأيت ثروت باشا باسمه كعادته وعيناه تبحران في الناس من وراء نظارتيه وقد انبسطت اسارير وجهه بالرزانة والسكينة اللتين انصف بهما . وهنا أبدلت لوحة الرؤيا فتعاقبت المناظر وكلها شذائد لم أصدق ان طلع الفجر للخلاص من كابوسها . ثم أشرقت ذكاء وأفاضت أشعة النور والرجاء فخدمت الله على أن ما رأيت لم يكن سوى أضغاث أحلام ونسج مخيلة نسجته حمى الدنج ومزقته أنوار النهار . وبعد قليل جاءت الخادمة بصحيف الصباح كالعادة في أيام الاحد فوقع بصرى على خطوط سوداء ضخمة وقرأت من بعيد اسم ثروت باشا في رأس تلك الخطوط ، فصفت صفقة الاواه وقلت لاحول ولا قوة إلا بالله . لقد كان الامر حقاً ولم يكن حلماً فيالضيعة الذكاء ومواهب الرجال والحكمة وسداد الرأى ! ويا لمصاب مصر في موت أبنائها الافذاذ . كل نفس ذائقة الموت وكل ذى حياة شارب كأس المنون . ولكن هذا الموت جمرة تكوى نفوس الاحياء وجذوة توقد نار الاسى في حنايا الضلوع

(١) مقتبس من مقال نشر بالمقطم

ومخادع الافئدة ، فلا تقوى الدموع على اطفائها الى أن يمن الله بالعزاء . وأى عزاء يلتبس في مصاب قومي عظيم ؟ ومن يعزى المحزون اذا عم الحزن الجميع وكان الباكون جميع أفراد الشعب ؟ وإنى السبيل الى دفع الالم ، ألم ضربة فجائية انقضت من عالم الغيب على هامة أمة بأسرها لولا اليقين بالله والشعور الوطيد ؟ فان هذا الراحل الكريم فقيد البلاد كلها لم يمت بالانتقال من عالم الشقاء والفناء الى عالم الخلود والبقاء ، ما دامت مصابيح أعماله تبعث انوارها على ضفاف النيل شاهدة بخدماته الجليلة وأعماله العظيمة وما حباه الله من فضائل وسجاياء وقفها على قومه وعشيرته جواداً غير مقتر ولا ضنين ، فخلف لهم ارثاً ثميناً وترك تركة عظيمة يتمتعون بها هم وأولادهم وأحفادهم من بعدهم إلى ما شاء الله ، وضرب للعاملين المثل الاعلى في التفانى في الخدمة الصحيحة والاقدام على جلائل الامور ومواصلة السعى للنفع والخير ، لا يلهيه هو ولا يوهن عزيمته فشل ولا يثنيه عن قصده صعاب ولا عقبات

مات ثروت بعيداً عن وطنه الذى أحبه فخسرت مصر بموته ثروة عظيمة وشعرت في الحال بعظم خسارتها ، وشاطرها هذا الشعور غيرها من الامم المتمدنة التى عرف اقطابها فقيد مصر الراحل فأكبروا فيه هذه المواهب التى تجلت من نعومة اظفاره ، فاحرز بها قصب السبق على الاقران في مقاعد الدرس والتحصيل ، حتى اذا شب وبرز الى حلبة العمل تخاطفته المناصب متدرجة به صعوداً في سلم الارتقاء والعلاء الى مقام الوزارة والزعامة السياسية . وكانها العناية أعدته بما خبر من شؤون الادارة والقضاء ومعالجة مشكلات الزمان والتمرس بحوادث الدهر لما كانت تضره لمصر من طريق تنكب به عن حياة ماضية سئمتها الى حياة جديدة تصبو اليها ، وفيها مطلع عصر طافح بالامل والرجاء وعصور تليه ، ويكون فيها تحقيق الامانى واقامة صروح النهضة القومية على القواعد التى وضعها العاملون المحنكون الالباء ، وعاد ثروت الى أرض آباءه وأجداده ، فخلوه وهو المتصف بالتواضع وحب العزلة والسكينة . على الاعناق وساروا به فى هذه الشوارع التى عرفها والتى أحبها صبياً وبافعاً وشاباً وكهلاً والتى سعى سعيه المشكور ليطلق فيها نسيم الحرية والاستقلال يملأ الصدور وتحقق به القلوب . ومشوا بثروت اهويناء فى وسط بحار الجماهير الزاخرة الآسفة الباكية وهى الجموع التى كان ثروت يسهر لتنام ويطلق الراحة فى النهار لتستريح

وحملوه تحت رايات مصر المنكسة حزناً عليه واعترافاً له ، وهى الرايات التى كان يطمع أن يراها تحفق الى جنب رايات الدول المستقلة حتى اكتسحت عيناه بهذه المنظر المشتته فى غير موقف واحد وفى غير مكان واحد ، فاعتزت بمساعيه مصر ورفعت رأسها فى مجامع الشعوب تطلب النور الساطع والهواء الطلق ، كما ارتفعت بنودها وألويتها الخضراء منادية بأفصح لسان أن مصر عرفت كيف تضع أساس صرح مجدها واستقلالها وستعرف كيف تمضى فى البنيان . ومشى وراء نعشه عظماء مصر من أمراء البيت المال ووزراء الدولة وسفراء الدول وجمع لا يحصى من أقطاب الامة وكرامها وممثلي هيئاتها وطبقاتها وهم يرددون الحسرات ويصعدون الزفرات ويحسون ما حوى النعش من كريم السجاياء وعظيم المزايا

ويعددون ما أصاب الكنانة بفقد من ادخرته ليلال يفنقد فيها البدر وملهات يبحث فيها عن ذوى
الرأى السيد. فاهترت الكنانة بوفاته وارتجت أرجاؤها بنعيه، وأقبل الذين تظلمهم مماؤها يعربون عما
تكنه النفوس من عواطف الاجلال والاحترام بما فى طاقة البشر من مجالى التكريم وعرفان الفضل
والجميل لهذا الراحل الذى نقش اسمه على لوحة تاريخ مصر الحديث نقشا لا يمحوه تعاقب الايام
وكانت فى كثير من الاحوال المحور الذى يدور عليه

كان الناس فى أمر ثروت رجلين: فرجل لا يعرفه ولا يخالطه فينبى رأيه فيه وحكمه له أو عليه
بما يسمع عنه وما يقال له، ولكن هذا الفريق كان يدرك أن ثروت من رجال مصر المعدودين
وانه رزق من الحنكة السياسية مالا يرزقه سوى قليل من الخلق. ورجل عرف هذا الوزير الكبير
فى مواطن القضاء والادارة والسياسة فكان يكبر ما فطر عليه من الذكاء واتقاد القريحة وسعة الحيلة فى
معالجة الامور ورحابة الصدر فى تلقى الحوادث. غير أن هذا كله كان مسدولا عليه ستار من السكينة
والدعة ورقة الخلق وشيء من حب العزلة ومقت الظهور مقرونة بحياء فى الطبع. وكانت هذه
الاخلاق تتجلى فى مظاهر شتى كاحجامه عن الخطابة الا فى مواقف نادرة مع أنه كان منشأ بليغاً
وخطيباً مجيداً. يذكر ذلك والعهد قريب الذين سمعوه يرثى سعدا والذين طالعوا هذا الرثاء فى
الصحف فقد كانت خطبته هذه آية من آيات البلاغة وحسن الانسجام علاوة على ما وعت من
سمو العواطف وصدق الوفاء. فهذا الميل الى العزلة ونفوره الفطرى من الكفاح والنضال كانا ينقصان
من مقدرة ثروت على تقلد الزعامات مع توافر سائر أسباب النجاح فيها له. أما حنكته السياسية فقد
صارت أشهر من نار على علم وحقيقة لا يختلف فيها اثنان بل صار اسمه عنواناً لها فلا يذكر الا
مقروناً بها فى الاذهان. فان مساعيه التى انتهت باعلان استقلال مصر بعدما أصرت الحكومة البريطانية
اصرارها المعروف على التمسك بنظام الحماية - ان هذه المساعى التى كملت بالنجاح بما عززت به من
الحجج الدامغة والادلة الساطعة والبيانات المقتعة أ كسبت ثروة شهرة ذاعت فى الحافقين وأحلت محلاً
رفيعاً فى عيون أقطاب البريطانيين بدليل مالقى من حفاوتهم به واجلالهم له فى زيارته لبلادهم
وعاصمتهم فى صيف ١٩٢٦ وصيف ١٩٢٧. ولا يتسع المجال هنا للبحث فيما أصبح من حقائق التاريخ
الشهيرة. ولا بد أن ماسيظهر من الذى خفى حتى الساعة من تلك المساعى وما ذل فيها من عقبات
سيزيد فى شهرة ثروت ويقضى برفع مرتبته السياسية فى العيون ويضاعف حسن تقدير جهاده
فى خدمة وطنه وقومه. أما مساعيه الاخيرة لعقد اتفاق بين مصر وبريطانيا فهذه لاتزال مذكورة
بتفصيلها لقرب العهد بها وقد دافع فيها عن قضية مصر دفاعاً محكماد على صدق وطنيته وسعة خبرته
وشدة ذكائه وبعد نظره وحمل اقطاب الحكومة البريطانية على التسليم بنظريات وقواعد
ما كانوا يسمون بها من قبل. واذا كان لم يفز بما اشتى فلا أن أوان الفوز للجانب المصرى
لم يكن قد آن

الله والشاعر

من قصيدة الأستاذ علي محمود طه

من عبراتي صغتُ هذا المقالُ	ومن لهيب الروح هذا القلم
ملأتُ منه صفحات الليال	فضمنتُ كلَّ معاني الالم
يارب ما أشقيتني في الوجود	إلاَّ بقلي: ليته لم يكن!
في المثل الأعلى وحب الخلود	حملته العبء الذي لم يهن
خلقته قلباً رقيق الشغاف	يهيم بالنور ويهوى الجمال
حلتْ له النجوى ولدَّ الطواف	بكعبة الحسن ووادي الخيال
بعثته طيراً خفوق الجناح	على جنان ذات ظل وماء
أطلقته فيها قبيل الصباح	وقلت: غن الأرض لحن السماء
فهام في آفاقها الواسعة	النور يهفو حوله والندى
مصفقاً للضحوة الساطعة	ومنشداً ما شاء أن ينشدا
إن جاء صيف أو تجلى ربيع	حياءُ منه عبقرى الغناء
وكم خريف في نشيد بديع	تظل ترويه ليالى الشتاء
قيثارة تصدر في فها	عن عالم السحر ودنيا الخفاء
على الصدى الحائر من لحنها	يستيقظ الفجر ويغفو المساء
مشت على الامواج انغامها	والارض قيد النشوة المسكرة
كأنما ترقص احلامها	في ليلة شرقية مقمرة
عزاؤها شعر به اهزج	في نغم مستعذب ساحر
ما يحزن العالم أو يبهج	إلا على قيثارة الشاعر

الطاووس

للدكتور زكي مبارك

الطاووس طائر ذو جناحين ، ولكنه لا يستطيع النهوض ، لان ريشه عبء ثقيل . وهو طائر ذو كرامة ينفر من الابتذال . وهو الطائر الوحيد الذي رأته في حديقة النباتات في باريس يتعفف عن هدايا الزائرين . فقد تلقى اليه قطع الحلواء فيتعافى عنها في أنفة وكبرياء . وريش الطاووس مشهور بالحسن . ويكاد صدره يفعل بالناظرين ما تفعل الصهباء بالالباب . وليس شيء يحل عن الوصف بقدر ما يحل صدر الطاووس . والناظر الذي الف ذوقه أن يقات من الحسن لا يدري كيف يواجه تلك الفتنة العجيبة التي وهبها الله لذلك الطائر العزوف . ولقد طال ارتيادي لوادى الطير في حديقة النباتات ، وكان الطاووس في كل مرة هو أفن ما أرى . ولكن كان يضايقي منه شيء واحد : هو تعقله . والتعقل هو أشد ما يؤذينا من أهل الجمال غير أنني دهشت في الزورة الأخيرة : فقد رأيت الطاواويس كلها في فرح يشبه الجنون لتوديع الشتاء واستقبال الربيع . ولأول مرة رأيت كيف يعجب الطاووس بنفسه . وكيف يفهم أنه من أجل المخلوقات : رأيته وهو ينشر جناحيه في زهو واختيال ثم يدور على قدميه ليراه الزائرون من جميع الجوانب . وفي هذا ما يدل على أنه يشعر بجماله . وأنه بذلك مفتون

وله لحظات يقوم فيها برعشات كهربائية يسمع لها صرير يشبه حفيف الريح بين الاوراق . وأقول يشبه فقط ، لان تلك الرعشة الكهربائية التي يقوم بها الطاووس تعرض على الناظرين ألواناً فتانة من ريشه الجميل . وهذا الجانب من زهو الطاووس يدق عن الوصف والتثيل . ولا يدرك قيمته إلا من يراه . ولا يملك جمهور المتفرجين إلا جملة واحدة يكررونها في تواتر وانجذاب ، إذ يقولون : ما أجمله ! ما أجمله !

الطاووس طائر دقيق الذوق . وله عواطف واهواء ، وهو في عالم الطير يشبه الشاعر في عالم

الانسان

ليس للطاووس قلم يستهوى به أهل الجمال كما يفعل فريق من الكتاب والشعراء . وليس لديه قيثارة يغزو بها القلوب كما يفعل الموفقون من أهل الفنون . ولكنه يملك تلك الرعشة الكهربائية حين يبسط جناحيه ، فهو يتقرب بها الى من يهوى في عالم الطاواويس فياليت شعري وقد فهم كيف يكون الغزل ، أهو أيضاً يفهم كيف يكون الأسمى وكيف يكون

الانين ؟ وهل كتب عليه يوماً أن يرى كيف تكون حسناته ذنباً عند بعض الاسراب ؟
انى لاحنو على الطاووس . فهو فيما رأيت يعنى نفسه فى نشر محاسنه وتظهر فى سياه علام
القلق فى سبيل الوصل . فان كان هو أيضاً يخفق كما يخفق بعض الناس فليست الدنيا اذن إلا دار
شقاء للجميع !

بك بعض ماى أياها الطائر الجميل . وليس لدى بعض مالديك من آيات الحسن والاشراق
أنت تملك ذلك الريش الاخضر البراق . وأنا أملك ذلك القلم الاسود المقصوف . فيا بعد ماينى
وبينك حين تقوم النفائس والاعلاق !

كلانا غريب فى هذه الديار . ولكن الحسان تسعى اليك أسراباً اسراباً فى الضحى والاصيل .
أما انا فأتعقب الحسان من ملعب إلى ملعب ومن بستان إلى بستان . ثم أعود وليس لدى ما أذهب
به وحشة الليل غير ترتيل ما قال المعذبون من شعراء الوجدان !
وسلام الله على كل ساهر الجفن مفطور الفؤاد !

باريس فى أول ابريل سنة ١٩٣١

لىالى سنترىسى

لىالى النيل واللذات ذاهبة وجدى عليكى أشجانى فاضنانى
لو يرجع الدهر لى منكى واحدة فى سنترىسى ويدنى بعض خلانى
اذن تبين دهرى كيف يرحمنى من ظلم همى ومن عدوان أحزانى

☆☆☆

كم ليلة فى جوار النيل ساحية قضيتها بين غادات وولدان
أعارض البدر فى اشراق طلعه بأغيد مشرق الاوصال ريان
وأستبيح من اللذات ما رسمت اهواء صب غوى القلب شيطان
وأسلم اللوم تلحانى قوارصه اسراف لاه طروب الروح جذلان

☆☆☆

وذى دلال هو الدنيا وزينتها يردى الاسود بطرف منه نعان
كأنما فعل عينيه بعاشقه فعل المدامة فى أعطاف نشوان
شربت من ريقه راحاً مشعشة بخالص الحب لم تمزج بسلوان
وكم حبيب براح الريق أسكرنى وكم جميل بورد الخد حيانى

الادب والحياة

لا حياة للآداب العربية ما دام كتابها وشعراؤها وخطباؤها لا يرون المرأة في حرية وصراحة ولا يتأثرون بجبروتها في ميدان الحياة

وما دام شبانتنا يسمعون عن المرأة كما يسمعون عن الغول والعنقاء . ولا يرونها حين يرونها الا قدرة دنسة في بيوت الرجس والبغاء فهيئات أن تتفتح أذهانهم أو تزهر قرائحهم أو تظهر على آثارهم الادبية مسحة التيقظ والتفكير . وتلك الرووس التي تتولى هداية الشرق في هذا العصر لا تدري مع الاسف الشديد أن الصلة وثيقة بين الادب وبين الحياة — ان لم يكن الادب روح الحياة — وأنه لا أمل في أن نرى لكاتب قصة جيدة مادام الكتاب بعيدين كل البعد عن المرأة التي تلون الوجود بشتى الالوان ، فتحيله تارة جحما يرمى بالفزع والهول ، ثم تعيده حين تشاء جنة وارفة الظلال . وكيف تكون لنا آداب قوية تمثل فضائلنا ورذائلنا وحلمنا وجهلنا وطيشنا ورزائتنا وعقلنا وجنوننا ، ونحن نحصر على الطيبة والاستقامة في غيرهم ولا تبصر ، أسوة بغلف القلوب من سماسرة الاديان وأدعياء الاخلاق !

إنه لا حياة للآداب الا اذا شغلتنا بأنفسنا ، وحدثتنا عن مطامعنا وأهوائنا وعيوبنا ومظان الخير فيها . وأرتنا كيف نحب وكيف نبغض ومتى نقدم ومتى نحجم . وعلمتنا كيف نجد وكيف نلهو ومتى نقسو ومتى نلين ... أما الادب الذي يصدر عن رجل مشعوذ معتوه ، كل احساس في رأيه إثم وكل إدراك عنده فسوق ، فهو أدب ميت سخيف لا يقوى به عقل ولا يسمو به خيال (١)

في سبيل المبحر

جنت على الليالى غير ظلمة	انى لأهل لما القاه من زمنى
فما رأيت من الاخطار عادية	الا بنيت على أجوازها سكنى
ولا لمحت من الآمال بارقة	الا تفحمت ما تتجاز من قنن
أحلت دنيائى معنى لا قرار له	فى ذمة المجد ما شردت من وسن

(١) مقتبس من مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره »

مذهب العلم الحديث في الدين وأصله^(١)

بقلم الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

مقدمة في العلاقات بين العلم والدين

يقول اميل بوترو Emile Boutroux العالم الفرنسى فى كتابه « علم ودين » Science et Religion المطبوع فى باريس سنة ١٩١٧ ما يأتى :

« إن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ يثير أشد العجب ، فانه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقلياً ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ولم ينقطع بينهما صراع ، يريد به كل منهما أن يدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب . على ان هذين النظامين لم يزالا قائمين ، ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ، وكأنا انعكست الآية منذ ذاك ، وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة ، وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع ، صحيفة ٣٤١ - ٣٤٢ »

ولسنا نريد أن نعرض لتاريخ العلاقات بين الدين والعلم على مر العصور وما تناوبها من سلام وحرب ، فان ذلك بحث يطول وليس هو مما قصدنا اليه فى هذه المحاضرات . على انه قد يكون غير خلو من المناسبة لغرضنا أن نشير الى موقف العلم والدين فى أيامنا هذه معتمدين على كتاب « اميل بوترو » المذكور آنفاً الذى يقول : « ليس التصادم الآن فيما يظهر بين الدين والعلم باعتبارهما مذهبين ، بل التصادم أدنى أن يكون بين الروح العلمى والروح الدينى . وليس يعنى العالم أن يكون الدين لا يثبت فى عقائده شيئاً غير متفق مع نتائج العلم ، فان هذه الدعاوى التى يجعلها الدين عقائد تتعلق الايمان بها تقيد الفهم والوجدان ، وهى فى الجملة تدل على اتصال الانسان بنوع من الاشياء يعجز علمنا الطبيعى عن إدراكه ، وفى ذلك ما يجعل العالم ، ان لم يرفض هذه الدعاوى نفسها ، رفض الاسلوب الذى يسلكه المتدين فى الأخذ بها ، والمتدين

(١) اخترناها من محاضرات القاها الاستاذ فى الجامعة الاميركية ببيروت

من ناحيته اذا وجد جميع عقائده وعواطفه وأحكامه العملية مفسرة بل مثبتة بالعلم يكون حينئذ أبعد شيء عن مسالة العلم ، فان هذه الشئون إذا شرحت على هذا الوجه فقدت كل خواصها الدينية »

البحث في تحديد الدين وبيان أصله

١ - بداية الاهتمام بهذا البحث وصلة ذلك بتكون علم اللغات

ندع هذا الصراع وتاريخه لنتجه إلى ناحية أخرى من نواحي البحوث العلمية الحديثة في الأديان ، هي التي نقصد إلى دراستها وهي ناحية تعريف الدين والمراد بتعريف الدين تعيين الخصائص التي لا بد لكل دين منها ، والتي لا يسمى الدين ديناً إلا بها . والبحث في تعريف الدين مرتبط أشد ارتباطاً بالبحث في أصل الدين وجرثومته الأولى ، فان حقيقة الشيء هي العناصر المكونة له في أبسط مظاهره ، وقد نهضت همم العلماء لهذا البحث منذ نحو قرن من الزمان

تكون في القرن التاسع عشر علم اللغات وأدى تعاون الباحثين في السنة البشر - منذ أحدث أدوارها إلى إقدامها أي دور التكوين الأول للغة - إلى معرفة العناصر المؤلفة للغات الانسانية هنالك رأى الباحثون أنه يمكن على هذا المثال ادراك عناصر الفكر الانساني وجرائمه دينياً كان ذلك الفكر أم غير ديني . أما ما وراء التكون الأول للغة فهو لا يتصل بتاريخ الانسان وان كان مما يهم الباحث في طبائع الاجسام

ذلك بأن الانسان هو اولاً وبالذات مفكر ، واللغة أول مظهر من مظاهر تفكيره

ويزيد على ذلك « ما كس مولر » Max Muller في كتابه « محاولة في تاريخ الأديان » Essais sur l'Hispoire des Religions قوله : « ويمكن أن يقال في الدين ما قيل في اللسان من ان كل جديد فيه فهو قديم وكل قديم فيه فهو جديد ، وانه منذ بداية العالم لم يوجد قط دين كله مبتدع . ولما لم نجد عناصر الدين وجرائمه مهما سمونا في تاريخ الانسانية إلى أبعد مدى مستطاع ، وتاريخ الدين كتاريخ اللغة يرينا في كل مكان الواناً متتابعة من التأليف المستحدث بين عناصر اصلية قديمة » . ثم يقول ما كس مولر : « ولما لا شك في أن يكون قد آن الأوان لوضع خطة ثابتة لعلم الدين كالخطة التي وضعت لعلم اللغة »

وإذا لم يكن تم وضع هذه الخطة لعلم الدين لعهد « ما كس مولر » في أواخر القرن التاسع عشر فان علم الدين لما يقم إلى اليوم على خطة ثابتة . على ان جهود الباحثين في تاريخ الأديان لا تزال متواصلة في تعرف أصل الدين ووضع تعريف له جامع مانع على حد تعبير المناطق ولا يزال الباحثون منذ القرن الماضي يحاولون أن يضعوا للأديان شجرة أنساب كالتي وضعوها للغات

٢ - البحث اللغوي في المعاني المتعارفة للكلمة الاوربية الدالة على الدين وفي أصل المادة اللاتيني وما استعانوا به على مقصدهم تعرف أصل المادة التي تدل على دين ، وتتبع المعاني المعروفة لكلمة «دين» نفسها . والكلمة التي تقابل عند الأمم الأوربية لفظ «دين» العربي هي « رلجيون » Religion المقتبسة من اللغة اللاتينية . وقد اختلفوا في مبدأ الاشتقاق لصيغة « رلجيو » Religio اللاتينية ، على ان أكثر المتقدمين يردوها إلى مادة تفيد معنى الربط الشامل لربط الناس ببعض الاعمال من جهة التزامهم لها ، ولربط الناس بعضهم ببعض ، ولربط البشر بالآلهة بل يحاول بعض متأخري العلماء أن يجعل مأخذ الكلمة شاملاً لمعنى الربط وما اليه كالجمع ، هذا مع اختلاف الأقاويل في اللفظ الاول الذي هو مصدر الاشتقاق

وكلمة « رلجيو » Religio اللاتينية تدل في غالب استعمالها على معنى الشعور بحق الآلهة مع الحشية والاجلال . أما كلمة « رلجيون » Religion الحديثة فتطلق على معان ثلاثة :

١ - نظام اجتماعي لطائفة من الناس يؤلف بينها اقامة شعائر موقوتة وتعيد ببعض الصلوات وايمان بأمر هو الكمال الذاتي المطلق وايمان باتصال الانسان بقوة روحانية أسمى منه حالة في السكون أو متعددة أو هي الله الواحد

٢ - حالة خاصة بالشخص مؤلفة من عواطف وعقائد ومن اعمال عادية تتعلق بالله

٣ - احترام في خشوع لقانون أو عادة أو عاطفة

ولعل هذا المعنى الأخير هو أقدم هذه المعاني . ولئن فصلت هذه المعاني ليسهل تحليلها فان الغالب أن يدل اللفظ عليها مجتمعة مع غلبة المعنى الأول في بعض الاحوال ، وغلبة المعنى الثاني أحياناً

٣ - مذاهب البسيكولوجيين في اصل الدين

وقد رأينا أن من معاني الدين المتعارفة معنى يجعله من موضوع علم الاجتماع ، ومعنى يرده إلى علم النفس . أما الذين درسوا أصل الدين من الوجهة « البسيكولوجية » فمنهم من يرى أن جرثومة الدين تتولد من الادراك المغروز في فطرة الانسان للعلية والمعلولية بين الاشياء ومنهم من يجعل أصل الدين شعور الانسان بأنه تابع لغيره وليس مستقلاً ومنهم من يرد أصل الدين إلى ما يلقي في روع الانسان بالفطرة من وجود لا يتناهى ومنهم من يرى أن الدين ينبعث من نزوع إلى الزهادة في الدنيا ويقول بعض علماء النفس ان هذا الحدث من احداث الحياة « البسيكولوجية » ليس بسيطاً يمكن رده إلى سبب واحد بسيط من هذه الاسباب

٤ - مذاهب الاجتماعيين

وأما علماء الاجتماع فهم يرون ان الدين لا يخلو من معنى العاطفة النفسية ، ولكنه لا يخلو أيضاً من الاتصال بشؤون الجماعة ، بل ينتهي الأمر بالعلماء الاجتماعيين الباحثين في تاريخ الأديان وأصولها إلى اعتبار الصبغة الاجتماعية في الدين أقوى وأرسخ من كل صبغة سواها

(١) مناظرة الهمداني و « الخوارزمي »

بقلم الاستاذ كامل كيهوني

أما أثر هذه المناظرة في « الهمداني » فقد أوجز « الثعالبي » في قوله : « فلما تصدى الهمداني لمساجاته ، وتعرض للتحكك به وغلب هذا قوم وذاك آخرون ، طار ذكر الهمداني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، ودرت له أخلاف الرزق ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه ، فخلا الجو للهمداني »

وأما أثرها في الخوارزمي ، فكان كما يقول الثعالبي نفسه : « أنف من تلك الحال ، وانخذل انخذالا شديدا . وكسف باله . وانخفض طرفه . ولم يحل عليه الحول حتى خانه عمره ونفذ قضاء الله فيه »

والحق أن هذه المناظرة كانت أشبه بمبايعة قهرية من الخوارزمي للهمداني . فقد انتهت المعركة بمثل ماتنتهي اليه هزيمة الملوك ، وانتقل تاج الشهرة من رأس الى رأس ! ولعل أصدق مثل ينطبق على ما حدث بين الهمداني والخوارزمي هو مثل السلحفاة والارنب المشهور ، حين تراهنا على السباق الى غاية ، فتهاون الارنب - اعتمادا على سرعته - وجدت السلحفاة لتعوض ما فات من قوتها

فقد كان الخوارزمي - حينئذ - شيخا قضى عمره بين حل وترحال ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاعتراب - كما يقولون - وشرق بعد أن غرب ، وخبر الدهر وأهليه ، وتعرض لسكيد الرؤساء وغضب الزعماء ، فلما تصدى الهمداني لمناظرته - وهو حينئذ في سن الشباب استخف به ولم يعد العدة لمنازلته ، وكأما كان يتمثل قول القائل :

« عذرت البزل إن هي غالبتي فما بالي وبال ابني لبون »

ولم يكن زهد الخوارزمي في مساجلته بأقل من دموع الهمداني بها وتحرقه اليها . لانه كان يرى فيها أكبر فرصة للظهور . الا ترى إلى الهمداني يبدأ بالتجني على الخوارزمي وتقريعه واتهامه بالجفاء والكبر . فيرد عليه الخوارزمي رداً كريماً يختمه باظهار خطأ الهمداني فيما ذهب اليه من توهم الجفوة ، فلا يكون للهمداني شاغل إلا استثارة الخوارزمي وتنقصه وعيبه ، في كل ناد ومحفل مرتقبا الفرص لمنازلته وقهره ، ليصل بذلك الى الشهرة من أقرب طريق . فاذا بدا له أمل في الاجتماع به ، حرص

الهمداني على تعجل الفرصة وسعى جاهدا إلى تحقيقها - خشية أن تفلت من يده - كما نيم على ذلك قوله : « وافق أن السيد أبا على نشط للجمع بيني وبينه فدعاني فأجبت ، ثم عرض على حضور أبي بكر الخوارزمي فطلبت ذلك وقلت : « هذه عدة كنت استعجزها ، وفرصة لا أزال انتهزها ،

فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيه ، فاعتذر « أبو بكر » في التأخر ، فقلت : « لا ، ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ، ولا عزازة للعوائق أن تضيعنا ولا نضيعها وتعيننا ولا ندفعها ، وكاتبته أنا أشحذ عزيمته على البدار ، وألوى رأيه عن الاعتذار ، وأعرفه ما في ذلك من ظنون تشبهه ، وتهم تتجه ،

وهنا يقول الهمداني : « وقدنا إليه مركوباً لنكون قد أزمناه الحج وأعطيناه الراحة ، فجاءنا في طبق أف ، وعدد تف

كل بغيض قد صبح وأنفه خمسة أشبار ! »

ولم يكد يستقر به الجلوس حتى بدأ يستثيره الهمداني ويتحرش به الى أن زج به في ميدان المساجلة ، وأنشده الهمداني أبياتا كلها تهكم به وزراية عليه وتنقص لأدبه وقد أجاز الخوارزمي بيتا للمتنبي كما أجاز الهمداني وعاب عليه الهمداني ما في نظمه من قافات مكروهة ، فلما بدأ الخوارزمي يعيب عليه قوله :

« يا أحمقا ! وكفاك ذلك خزبة جربت نار معرفتي هل تحرق ! »

وينعى عليه صرف كلمة « أحمق » أمطره الهمداني سيلا من السباب ، فقال : « وأما أحمق فلا يزال يصفحك لتصفعه ، حتى ينصرف وتتصرف معه ! »

ومن العجيب ان الهمداني يسبه دون أن يقف في سفاوته عند حد . ومن غير أن يراعى فضل الرجل أو شيخوخته ، ثم لا ينجل أن يقول له بعد ذلك : « يا هذا ان الادب غير سوء الادب والمناظرة حضرنا لا للمناظرة ، فان نفضت عن هذا السخف يدك ، وثبتت عن هذا السفه قصدك ، والا تركت مكلمتك . . » الخ . فاذا انفض المجلس طفق الهمداني يروج في كل مكان أنه انتصر على الخوارزمي ايما انتصار ، وخذله أيما خذلان . ويرسل اليه - في نفس الوقت - رسائل الشوق والمجاملة والتحرق الى اللقاء . ويوفد رسلا يصلحونه واياهم ! ولكن الخوارزمي يبعث اليه من يقول له : « قد تواترت الأخبار وتظاهرت الآثار في أنك قهرت . ولا أشك في أن هذا التواتر عنك صدرت أوائله . والخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل . ولا بد أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء نتناظر بمشهد الخاصة والعامة الخ . »

وإذن فقد بلغ الهمداني إربته ، واحتاج الخوارزمي فاندفع الى طلب المناظرة - بلا تدبر ولا روية - فبعث اليه الهمداني بكلام ظاهره اعتذار ، وباطنه احتثا على المناظرة واستنفار اليها ومرة الأيام ، ثم جاء اليوم المشهود ، وعقدت المناظرة في دار الشيخ أبي القاسم المستوفي الوزير ، بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس . وهنا يبكر الهمداني في الحضور

ليتملق من حضر ويتردد الى الشهود - بكل ما في وسعه - ويدبر خطط الدفاع والهجوم تدبير الحاذق الذكي

قال : « وكنت أول من حضر ، وانتظرت ملياً حضور من ينظر الخ . » فاذا رأى من بعض الحاضرين شيئاً من الانحراف عنه ، تقرب اليه متملقاً ، كما فعل مع الشريف السيد أبي الحسين - حين رأى منه جانب الاعراض - فقال له من كلام طويل :

« فان كنت أبلغت غير الواجب ، فلا يحملك على ترك الواجب ، ثم ان لي في أهل الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصائد سارت في البلاد وطارت في الآفاق ، ولكني أتسوق بها لديكم ، ولا أتفق بها عليكم ، وللاخرة قلتها للاحاضرة ، وللدن ادخرتها لالدنيا ! »

فقال للهمداني : « أنشدني بعضها » فأنشده الهمداني شيئاً مما قاله ، فإذا حدث ؟ تترك للهمداني نفسه روايته ، فهو يقول : « فلما أنشدت انحلت له العقدة ، وصار سلماً ، يوسعنا حلماً . الخ . » وبذلك أصبح الشريف من أنصار الهمداني ومؤيديه . وجاء الخوارزمي - بعد أن تكامل العدد وتمت المؤامرة - فقبول بفتور . ولم يكذب يحلس في مكانه الجدير به حتى طلب اليه الهمداني أن يتخلى عنه الى غيره ، ووافق الحاضرون على لباقة وحذلقته . ولقد أخطأ الخوارزمي أشنع الخطأ حين رضى بالبقاء والمناظرة في محاسن مشيع بروح الخصومة والدد . وليته اتبع قول ابن المقفع في وصف صديق حازم : « وكان لا يدلي بحجته حتى يجد قاضياً فهماً وشهوداً عدولاً » اذن لا من عوائب هذا الاندفاع والتسرع ، ولكن :

« ألا يا قوم للعجب العجيب وللغفلات تعرض للاريب »

ولكن كيف انهزم الخوارزمي في المناظرة ؟ ليس لدينا غير مصدر واحد نعتمد عليه في ذلك هو رواية الهمداني نفسه ، وهي رواية خصم عن خصمه لا تقابل بغير الحذر والانتباه . وقد تعمد « الهمداني » - بلا شك - أن يسجل فيها انتصاره مضاعفاً ، بأسلوب جديد من أقوى أساليب الدعاية . ولو كان لدينا مصدر آخر لتكشفت لنا جوانب كثيرة تعمد الهمداني - بلا شك - أن يخفيها عنا ، ليزعم لنفسه الفوز كاملاً والانتصار حاسماً . على أننا نلمح في كلام الهمداني نفسه انه قد انتصر على الخوارزمي انتصاراً ، الهزيمة خير منه

وقد ذكرنا للقارىء طرفاً من تلك الأساليب العجيبة التي سلكها الهمداني للتغلب على خصمه الخوارزمي الأديب الكبير وابن أخت « الطبري » المؤرخ الكبير . وهي أساليب نعدّها دوز ساقسية في التهاافت المستنكر على الشهرة وعواقبه ! . فقد رأيت انه لم يدع وسيلة من وسائل التهويش وتملق الحاضرين وارضائهم الا أنها . فلما انتهت المناظرة وأراد تسجيل ما حدث فيها - كما شاء له الهوى - طفق يكيل المدح كيلاً لكل من له خطر من الحاضرين حتى يأمن أن يكذّبوه في شيء مما رواه . وطفق الهمداني وأنصاره وخصوم الخوارزمي يذيعون في كل مكان أن الخوارزمي قد انهزم شر

انهزام. ولكن هل كانت الهزيمة حاسمة؟ ذلك ما نرتاب فيه رغم ما يؤكد لنا الهمداني، اويصوره لنا في روايته التي ليس لدينا مصدر سواها. ونحن نعتقد أن الهزيمة - ان كانت ثمة هزيمة - لم تكن وسائلها شريفة، وليست تنقص من فضل الخوارزمي، فقد كانت كل كلمة يقولها «الهمداني» تقابل بالاستحسان ويعرب الحاضرون عن رضاهم عنها بالقول والاشارة وانبساط الاسارير. وقد أحسن الخوارزمي في وصف خصمه بالشعبذة فلم يعن أحد بقوله. مع أنه وصف صادق لادب الهمداني - في ذلك الحين - فقد طلب من مناظره مثلاً: أن يكتب كتاباً خالياً من الحروف العواطل، وآخر أوائل سطورها كلها ميم وآخرها كلها جيم، الى آخر هذه الامور التي لا نرى في وصفها أصدق من كلمة الشعبذة

الشتاء في باريس

بقلم الدكتور بيتر فارسي

رُبَّ فجرٍ تسوّر الـ	همُّ فيه الى الفضا
فنضا الكون من صبا	حّة جنبيه ما نضا
وانزوى البلبل اللعو	ب عن الورد معرضا
حسب الورد أنه	مال وارتد مبغضا
فدوى مطرقاً عبو	سأ وسرعان ما قضى
غض من سيره النسيم	وقد رن مرمضا
كفن الورد بين أعـ	طافه ثم أعرضاً
وإذا البلبل انبرى	موجع الجنب ممرضا
ثم الورد نادماً	ثم في فيضه مضى (١)

(١) مضى في فيض فلان أي شيع جنازته

الطابع العلمي^(١)

بقلم الاستاذ فؤاد صروف

ما الغرض من التعليم والتهديب؟ لماذا تنفق الاموال ونشيد المعاهد ونستدر اكف المحسنين ، وننقى الاعوام نذوق في خلالها صنوف الآلام العقلية ، ثم نخرج من المدرسة ونحن ندرك ، إذا كنا على شيء من العقل ، مدى جهلنا؟ ما الغاية التي يرمى اليها الطالب وأبو الطالب ، بل ما الغرض الذي يبغيه الرئيس والاستاذ؟ ألكسب يبغي الاول العلم أم للزينة أم للمقام الاجتماعي أم للنفع العام؟ وهل يطلبه الثاني لتقويم الاخلاق أو لاجراج عمال للحكومة أو لاعداد جنود للوطن أو معلمين للمدارس أو تلاميذ يذيعون فكرة ويروجون لدعوة؟

من الواضح ان نوال التعليم يختلف باختلاف الغرض منه . ما أكثر الاغراض وما أعظم الاختلاف بينها ! فالمرنى الانكليزى المشهور — الدكتور ارنولد — كان يرى الوداعة العقلية غاية التعليم القصوى . وهى صفة لن تستطيع العثور عليها فى « رجل أرسطو العاتى » إن غرض نيتشه يختلف عن غرض المعلمين المسيحيين ، فهو يربى « للقوة » وهم يربون « للمحبة » ! ثم ان الالمان والايطاليين واليابانيين يرون فى كل طالب جندياً يناضل فى سبيل الوطن ، والاميركيين يطلبون « النجاح العملى » ، والانجليز الدقة فى تأدية الواجب على حساب الذكاء ، حتى إذا اتفق الباحثون على العناصر التى يجب أن يشتمل عليها الخلق الكامل ، اختلفوا فى نسبة هذه العناصر بعضها إلى بعض . فالواحد يقدم الشجاعة والاقدام على الحرص . والثانى يظن فى القوة العقلية . والثالث يضع الدعة واللفظ فى المقام الاول . والرابع يرفع الواجب نحو الامة فوق الواجب نحو الذات . فعلىنا ان نعرف الغرض الذى زمى اليه معرفة واضحة الحدود والمعالن لكى نتمكن من السعى الى تحقيقه سعياً مجدياً



كان النشاط العقلى والجسدى أظهر الصفات فى رجل اليونان الامثل . وكان التراخى الجسدى ، والتفكير الذى تغلب عليه صفة التأمل الهادىء ، أظهر الصفات فى رجل الصين الامثل . فكان السيامى اليونان إذا غلب على أمره فى بلده وطرد منه لا يتزل على حكم الدهر عليه . بل يزعم حقنة من المشردين امثاله ويصلى الجماعة التى أذلته نار الحرب . أما المثقفون الصينيون فكانوا اميل إلى التأمل

(١) اختارها الكاتب من محاضرة القاها فى جامعة بيروت الاميركية بدعوة من جمعية « تهذيب الشبيبة »

والتشكيك والتمتع بمجالي الجمال الهادى . . وكان موظفهم اذا خرج من منصبه ينطلق إلى عزلة على قمة جبل لينظم اشعاراً فى مسرات الحياة القروية

فالتعليم الصينى أنتج «استقراراً» . ولعل هذا ما ينتظر من تعليم قائم على الريية والشك . وأما التعليم اليونانى فانتج تحولاً وحرباً ، لان المعتقدات التى نعتقد فى صحتها بكل جوارحنا ونؤيدها بكل قوانا ، لا تحملنا على الاستقرار بل تدفعنا الى الكفاح فى سبيلها . لذلك قضت الحضارة اليونانية على نفسها بايدى أبنائها . أما الحضارة الصينية فاستقرت على ما هي عليه آلاف السنين ولا تزال تنتظر من يقضى عليها من الغرب أو من أبنائها المثقفين بأساليب الغرب

وكان التعليم اليونانى جرثومة الحضارة الغربية الحديثة ، حملها العرب بعدما تعهدوها بكل أساليب العناية والنماء ، حتى اتصلت أخيراً باليابان - جارة الصين - فجعلها اليابانيون أساساً لنهضتهم الحديثة ، ولكنهم جعلوا «المجد القومى» غرضاً لهذا التعليم الدينامى ، فاضعوا له كل قوى التلميذ الجسدية والعقلية والروحية

وكلا الموقفين - أى كلا التعليمين - تعليم الصينيين فى الطرف الواحد وتعليم اليابان فى الطرف الآخر ، خطر على العمران الحديث . فالاول يتمادى فى التشكيك والريية حتى يفضيا به الى الجمود ، والثانى يتمادى فى التحكم والايان بتحكمه وقوته حتى يصبح أبنائوه وهم كلقنابل المنطلقة

أما والارتقاء المتزن هو غرض الحياة الاسمى ، فالتماذى فى التشكيك المفضى الى الجمود ، لا يجدى نفعاً فى ميدان كفاحها . أما وقد أصبح العمران بفضل العلم والصناعة معقد التركيب محكم الترابط دقيق الاحساس ، فالتماذى فى التحكم - الذى يجعل الثورة والحرب سبيل الارتقاء الوحيد - مبعث خطر يهدد الحضارة بالانقراض

فغرض التعليم يجب أن يكون : «الايان بأن الحصول على المعرفة مستطاع الى حد ما ولكنه صعب كل الصعب . وان جانباً كبيراً مما نعرفه أو نحسبه معرفة يحتمل أن يكون خاطئاً . وأن هذه الاخطاء تصحح بالاختبار والدرس . كذلك علينا أن نعلم الطالب أنه حين ينطلق فى عمله اليومى ، لتحقيق رغائبه ، يجب أن يكون بالغ الحذر ، حيث يحتمل أن يكون الخطأ اليسير باعثاً على ضرر عظيم . ومع ذلك فلا بد أن تكون غرائزنا ورغائبنا أساساً لكل اعمالنا . وهذه الحالة العقلية - حالة الحذر الدائم واليقظة المستمرة لحفظ التوازن بين ما تقضى به النوازع وما يمل به العقل - حالة دقيقة كل الدقة . انها تحتاج الى أعظم جانب من ثقافة العقل ورياضة النفس . ولكنها على دقتها غير متعذرة على من يرضى ان يبذل فى سبيلها جهداً خالصاً . هي فى الواقع الطريقة العلمية ، بل هي صميم الطابع العالمى

«ان المعرفة ككل اطايب الحياة صعبة المنال . ولكن منالها ممكن . اما المتحكم فينسى الصعوبة . واما المشكك فينكر الامكان»

في استقبال سعد

خطبة للسيد محمد الغنيمي التفتازاني

يا سعد

حيثك دنيا مصر ، فليحيك باسم أولاد الرسول وحفدة البتول واحد منهم
يحييك معجباً بما أسلفت لوطنك العزيز من جهد لا يذهب خيره ولا يضيع عند الله ولا عند
الناس أجره ، ذا كراً لك مواقف تكشف منك عن عزيمة وجلادة وصلابة إرادة

أيها الرئيس الجليل

لقد كنا نتبع ما يطالعنا به البرق والبريد معا من أنباء جهادك ، فاذا دعوت آمناً ، واذا
صرخت لبينا ، مخلصين في ذلك كله للوطن ، متمنين النجاح لأوطاننا العربية جميعاً ، لأن الاسلام
لا يعرف وطناً ولا اقليماً ، وإنما هو وطن شامل لجميع أهله ، والعربية كذلك تجمع شتات الناطقين
بها دون تفريق بين دين ودين ولا تمييز بين فريق وفريق
وحسب المتجرد لعقيدة ينصرها أو لمبدأ يدين به ما يحسه من الغبطة بالفناء في عقيدته أو مبدئه
فناء كما يعرفه أئمة الصوفية يمحق الأنايسة الفردية ويبقى على الروح التي هي المظهر الاقدس
للموجود الأول

ذلك لان ما قد نصل اليه بالصبر من النجاح في القضية المصرية يعتبر نجاحاً وفوزاً للشرق كله .
وما مصر الا تاج الوضاء ومناره الهادي وسجل مجده وفخاره

أيها الرئيس الجليل

ليهنك يوم لم تطلع مثل شمس على ملك من الملوك الصيد ولا على فاتح من ذادة الثغور . ولو
أُتيح مثله لبعض المشترعين لكفل لهم بقيا شريعتهم ولضمن لهم خلودها . ولو طلع مثله بما كان لك
على أحد من هداة آل البيت عليهم السلام في ابان دعوتهم وجدة أمرهم وزهو طالعههم ، لكان
من خلفهم الآن المتوجون عن رضى يدين به المسلمون ، ولتربع في دسوت رعاية البشر منهم
الأمرون والناهون . وهأنحن الآن وقد نقشنا صورتك الشيخة الفتية على صفحات مهجائنا نقش
المدى على رفاق الالكباد محوطة بآية من كتاب الله الكريم تزلت في اسلاف آل محمد عليهم
السلام وهي لك اليوم : « إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً »

ولشد ما كنا نغبط بما تحرز من الفوز في ميادين النضال السياسي ! لان هذا الفوز ليس في

رجع أمره الا فوزاً للامة التى تمثلها أنت وموكلوها من أعضاء وفدها

لقد جمدت الامة على أن يكون وفدها هو الناطق بلسانها . وعبثاً حاول اللورد ملتر أن يصل إلى بغيته من مفاوضة أحد من رجالها ، وردده السك إلى الوكيل المفوض ، مبيناً له أن الوفد وحده هو صاحب الحق فى التحدث عن القضية المصرية جملة وتفصيلاً . وما كان أشد اغتباطنا يوم ترامى إلينا أن الوفد الذى هو فخارنا القومى نزل عند رأى الامة فى تحفظاتها على تقرير لجنة اللورد ملتر وتحامى أن يزج بنفسه فى مفاوضته على غير وضع رأى الامة !

أجل أيها الرئيس الجليل

انا انما نغضب بأن يكون الوفد كما تريده الامة مرجعاً لقضيتها وحكما لاطرفا فى هذه القضية . ولو أن التحفظات قبلت من الطرف الآخر لكان هذا القبول داعياً إلى امضاء المعاهدة . ولكن لا بد أن تكون هذه التحفظات موضع بحث إلى جانب اندادها من الضمانات التى يطالب بها الخصوم . وما دام مرجع الأمر الى الاقتناع والاعتناع فستكون محبتك هى الظافرة حين الرجعى الى قويم رأيك . ولا أظن دليلك على احقاق الحق الا موفقاً حين يلجأ الى قويم حكمك

أيها الرئيس الكريم العظيم

انك ووفدك مأمونو الايراد والاصدار بعيدون عن كل ظنة ، ولذلك كان الاعود على كرامة الامة بالتوقيع والاجدى على الوطن بالاكبار والاليق به اعتزازاً ، أن تتلاحم الصفوف ، وأن تتناسى الاحن وتحتفى الاحقاد ، وأن يشد الله بك وبأصحابك العضد ، حتى نصل إلى غايتنا من السيادة والحرية فى بلادنا

وهنا يجب أن ألبى داعى الله عند قوله الكريم : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » . يجب أن يتناصح الجميع تناصيحاً ينتفى به الزهو ، وتمحق به الكبرياء ، لنكون جميعاً ادنى الى الصواب منا الى الخطأ

أيها الرئيس الجليل

ان مصر طواغية لا كراهية ، مدفوعة بدافع الحب والاحترام ، لا بدافع الرغبة والارغام ، قد استحالت كلها مظاهره ، وحفت من حولك تستقبلك وتحيك وتهنئك بتوفيق الأوبة السالمة وتقديك ، ثقة منها بسداد رأيك وثقوب ذهنك ونبيل مسعاك . فكن لها كما خلقت عارياً من كل ثوب الا مجدها مجرداً من كل نصير الاجندها

وقد عانت مصر من آلام فرقتك فى سبيل نصره قضيتها من الصبر على بلاء الغاصبين الظالمين مانكل الى الله أن يعوضها منه الامن والطمأنينة ، وأن ينشر فى ربوعها العدل والسكينة . وقد أصبحت مصر والله الحمد والمنة وليس تحت سماءها من أهلها من لا يعمل لاعلاء منارها

شعر الاخاء والاخوان

من مقال لمؤلفه عبد الله عفيفي

الاخاء والاخوان

وذلك فن من الشعر قال فيه المصريون عن علم ، وقالوا عن عقيدة ، وقالوا فيه عن فطرة ووجدان

والمصري اليف بالطبع ودود بالفطرة ، أنيس بالغريزة . يوثق جبل الاخاء ويستوثق به ، ويصفيه ويصفو له ، ويحتليه ويحن اليه

لذلك قال الشعراء المصريون أحسن ما قيل في مواتاة الاخوان ، وفي معاتاة الاخوان . وفي شكوى الاخوان . لأن الرجل الصافي الأليف يكثر الشكوى والعتاب اذا ملح ظلا من نبوة الود وتبين أثراً من انحراف الصدق

وحديث الاخاء والاخوان في العهد الفاطمي حديث شائق طريف . فيه متعة للنفس وفيه راحة للروح . وفيه فرجة للصدر ، وفيه ظرف وأدب ، وفيه علم وفن ، وفيه ايضاً اذكاء للحزن وتهيسج للحسرات على ما نراه من فساد الاخاء والاخوان في هذا الزمان

والحق اني ما قرأت حديث الاخاء في الشعر الفاطمي ، وما ذكرت تألف الناس وتواصلهم أفراداً وطوائف ، وفرقاً وجماعات في ذلك العهد الذي نادى بانه وانقضى خبره - إلا أحسست لوعة مبشورة من الحزن على ما أجد من الغل والحقد والفساد والشنائ في اخوان الزمان

ان اكثر ما قيل من الشعر الفاطمي قيل في وصف الاخوان ، ومدح الاخوان ، وموادة الاخوان ، ودعوة الاخوان للاخوان . فاذا التقوا تذاكروا الشعر وتجادبوا الشعر ، فكان للروية منهم نصيب وكان للبديهة منهم نصيب

وكانوا لا يلتقون الا على بساط روض او تحت ظلال دوح او في رحاب مسجد أو منازة دير أو على شاطئ بحر او نهر او بركة أو غدير . وفي كل موطن من تلك المواطن يموت الحقد وتنفى الضغينة . وفي كل بقعة من تلك البقاع يفيض الشعر وتثمر القريحة . وهم من انفسهم وافدتهم في روضة زاهرة بالالفة مشمرة بالاخاء لا يعصف بها الاثم ولا تعبت بها الاهواء والعهد الفاطمي عهد المواسم والاعياد . فما كان الناس في القاهرة يفضون من عيد الا الى موسم ، وما كانوا ينتقلون من موسم الا الى عيد ، وفي هذه المواسم والاعياد كان الناس يجدون

فنونا من الأنس والبهجة والسرور تروح عنهم ما كانوا فيه من عمل دائب وجهد شديد ، وكان الخليفة أو نائبه يستقبل الناس في هذه الاعياد طوائف وجماعات ، وكان الشعراء أكثر الناس ابتهاجاً وأوثقهم ألفة واجتماعاً وأخصبهم نجمة وارتداداً في هذه الايام . فقد جرى بعض خلفاء هذه الدول على تسجيل صور الشعراء ومراثيهم وأعطياتهم في ديوان خاص ، وإنما حدثتك هذا الحديث لتعلم أن طبيعة الحياة في ذلك العهد الكريم كانت تدعو الى توثيق الالفه وإحكام أوامر الاخاء بين الاخوان

أما الآن ، وقد طغت المدنية المادية على العقول والقلوب ورائت الشهوات المادية على العقائد والآراء ، واستندلت المطامع والمنازع أعناق الرجال ، فأين تجد الصفاء والاخاء ؟ ومن تطلب المودة والوفاء ؟

وفيم يجتمع اخوان هذا الزمان ؟ أهم يتذاكرون الشعر ويتجادبونه ؟ أهم يتناقلون الادب ويتسامرون به ؟ أهم يتعاونون على غوث اللهيء وعون الضعيف من اخوانهم أو على رعايته في أهله وبنيه ان كان مات عن أهل وأبناء ؟ ... لا .. لا هذا ، ولا بعض هذا ، ولا ما يشبه أن يكون ذلك

هم لا يتذاكرون الشعر ، ولا يتناقلون الأدب ، ولا يتعاونون على البر والتقوى ، وإنما يجتمعون ليعيث الحاضر في الغائب ، ويسطو الفاحش على الوادع ، فاذا نهض من جماعتهم واحد كان ذلك الواحد المسكين هو الغرض الذي يتعاونونه ويتعاونون عليه

أشد ما تحتاج اليه جماعات الاخوان في هذا الزمان : النبل ، والرجولة ، وعفة الغيب ، ونقاء الصدر ، وصفاء الضمير ، وان أكبر عيبك عند أحدهم أو عند جماعتهم أن يرزقك الله نباهة في الاسم ، أو كرامة في المنزلة ، أو اقبالا على جد العمل ، فهو يرى من حقه ومن واجبه أن يدافع تلك النباهة بالكذب والوقعة ، وأن يصيب تلك الكرامة باللغو والمفسدة ، وان يكدر ذلك العمل الجاد باللغو والبهتان . ولقد تصاحب الرجل عشرين عاماً أو تزيد ، ثم تتركه خمسة أيام أو تنقص ، فاذا به قد عاث في غيبتك وولغ في كرامتك ، ومد لسانه كشباة العقرب يطعن به الاديم الصحيح وينفث به السم الدفين

أساس هذا الضيق في الخلق ضيق الاجتماع . فالرجل عندنا اما لزييم النساء في المنزل يجاذبن الحديث عن طول امرأة وقصر أخرى ، وعن نصفه امرأة وخيبة أخرى ، وعن الخلاف الذي شجر بين امرأة وأخرى . واما رهين المشارب العامة المشورة في أحياء المدينة وعلى مفارق طرقاتها حيث الضجيج واللغو والضيق والزحام وفساد الجو واختلاط الجماعات . فاما منازلنا ومراتعنا وفسحات وادينا ومسارح نيلنا فقد خلق كله لغيرنا

في تأبين امير الشعراء

من قصيدة لـ **الاستاذ بشارة الخوري**

قف في ربي الخلد واهتف باسم شاعره
وامسح جبينك بالركن الذي انبلجت
إلهة الشعر قامت عن ميامنه
والخور قصت شذورا من غدائرها
أتراب مريم تلهو في خمائله
والملمون بنو هومير ما تركوا
فسدرة المنتهى أدنى منابره
اشعة الوحي شعرا من منائره
وربة النثر قامت عن مياسره
وارسلتها بديلا من ستائره
وربط جبريل يحبو في مقاصره
لما أهل لهم سجعا لطائره

قال الملائك من هذا فقيل لهم
هذا الذي نظم الارواح فانتظمت
هذا الذي رفع الاهرام من ادب
هذا الذي لمس الآلام فابتسمت
كم في ثغور العذارى من بوارقه
سل جنة الخلد كم ودت أزاهرها
وصادح الطير لو سالت حناجرها
والزهر لو كن ازرازا مفضضة
شوقي سلوا الافق هل ثارت عجاجته
شوقي سلوا البحر هل جنت عواصفه
شوقي سلوا الليل هل كانت كواكبه
في مآتم الشعر والاقلام مطرقة
ما بلدة سعدت بالنهر يغمرها
هذا هو الشرق هذا ضوء ناظره
عقدا من الحب سلك من خواطره
وكان في تاجها اغلى جواهره
جراحها ثم ذابت في محاجر
وفي جفون اليتامى من مواطره
لو استحالت عبيرا في مجامره
مع الصباح نشيدا في مزاهره
على الذبول الضوافي من مآزره
لما توى المتنبي في مغائره
لما كبا بابن سينا جد عاثره
لما قضى غير شك في نواظره
فان ارادته غصت في محابره
بكل أزهر حالى العود ناضره

بالبلبل المتغني في ملاعبه
بالخقل ترعى به القطعان هائلة
يستقبل الفجر أهلوها بغرته
ناموا على سرر الاعراس وانتبهوا
على ما تم من طير ومن شجر
يالرزية ! . . غال النهر غائله
فلا الصباح ضحوك في شواطئه
وأسلم الزهر أجيادا منضدة
والناس في غمرة عمياء لا وتر
ما اخطب بالنهر مجرى الروح في بلد
كانخطب يدوى له كون بجملته

يا مصر ما انفتحت على حسن
ولا تفتقت الافكار عن أدب
لبنان يا مصر مصر في مآتمه
هل كان قلبك إلا في جوانحه
أو كان منبت مصر غير منبته
شوقي أتذكر اذ عاليه موعدا
واذ طلعت علينا أصفرا وجلا
ونحن حولك عكاف على صنم
وأنت تحت يد الآسى ورافقه
ولا بتسامتك الصفراء رجفتها
سألتنيه رثاء خذه من كبدي

إلا وأطلعت الفأ من نظائره
إلا وأنبت روضاً من بواكره
كما علمت ومصر في بشائره
أو كان دمك إلا في محاجره
أو كان شاعر مصر غير شاعره
نمنا وما نام دهر عن مقادره
كالنجم خلف رقيق من ستائره
في الجاهلية ماضى البطش قاهره
وبين كل ضعيف القلب خائره
في مثلها من كليل الطرف حائره
لا يؤخذ الشيء الا من مصادره

تجارة مصر قبل الحملة الفرنسية^(١)

بقلم الأستاذ احمد حافظ بك عوض

لم يكن من الممكن مع حكومة كحكومة المماليك أن تنمو التجارة ، أو تتسع المعاملات الداخلية والخارجية ، وقد سبق لنا أن شرحنا في هذه المقدمة أن مصر لم تعد بعد طريق التجارة الشرقية القادمة من موانئ آسيا إلى أوروبا ، بعد أن اكتشف طريق الرجاء الصالح . ولو كانت على ضفاف النيل حكومة عادلة ، لفضل التجار ارسال متاجرهم عن طريق البحر الاحمر ، ونقلها من السويس الى الاسكندرية بدلا من تعرضها لاطار البحار العظمى حول افريقية وواسع المحيط الاطلانطيقى (وسنزيد هذه النقطة ايضا عند الكلام على تجارة الهند) .. ولو أن الحكومة العثمانية ، بعد فتح مصر ، فكرت في صالح نمو التجارة ، وقدرت خسارة مستعمرتها الجديدة ، من اكتشاف طريق الرجاء الصالح ، خصوصا وقد حاربت بأساطيلها البرتغال الذين كانوا يهددون تجارة مصر ، كما سبق لنا بيانه ، نقول لو أن الحكومة العثمانية فكرت في هذا الامر ، وأعادت حفر خليج أمير المؤمنين (الذي احتفره عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب لنقل المؤونة الى الحجاز ، والذي أمر بردمه ، في سنة ١٣٤ هجرية ، الخليفة المنصور أبو جعفر ثاني الخلفاء العباسيين لكي يمنع وصول الامداد الى العلويين الذين طالبوا بالخلافة في المدينة المنورة) - سهلت للتجارة النقل بحراً من الهند الى أوروبا ، عن طريق مصر . ولكنهم لم يفعلوا هذا ، ولم يتمكنوا من نشر سيادتهم البحرية في المياه الهندية . وزد على ذلك أن مظالم المماليك وتعتيهم على التجار الاوربيين الذين كانوا يأتون لشراء حاصلات مصر ، وما يصل اليها من الممالك الشرقية الاسيوية بطريق القوافل ، كانت من أكبر الضربات على التجارة المصرية . ولقد انحط مقام الاسكندرية حتى لم يبق فيها من السكان إلا ثمانية آلاف وزاد الطين بلة فيها أن الحكومة العثمانية احتكرت لنفسها الجزء القديم من الميناء وهو الجزء الذي يصلح لرسو السفن . فكانت السفن الاجنبية القادمة بالمتاجرة وللشراء مضطرة أن ترسو خارج الميناء الجديد معرضة للزوابع والزعازع . وروى مؤرخو الافرنج (في سنة ١٧٦٦) أنه بينما كان على بك الكبير يحارب الدولة هبت ريح عاتية أغرقت اثنتين واربعين سفينة كانت راسية في ميناء الاسكندرية ولم تكن الاسكندرية متصلة بالنيل بقناة تنقل لها الماء العذب ، وكانت هناك قناة مرسومة في الخرائط الفرنسية وهي الترعة المسماة بالمحمودية ، نسبة الى السلطان محمود ، ولكن

(١) اخترناها من كتاب « فتح مصر الحديث »

اما كانت توصل المياه إلا زمن الفيضان فقط ، فكان اعتماد سكانها على مياه الامطار وحاول جماعة من تجار الانكليز تسيير القوافل بين السويس والقاهرة لنقل المتاجر الهندية الى عاصمة القطر ، ثم نقلها بواسطة النيل الى دمياط أو رشيد . ولكن مظالم المالك وتعدى العربان على القوافل أوقف تلك المشروعات التي كانت تساعد على نمو التجارة المصرية . وليست هذه الاقوال لكتاب أوريين حتى يهتموا بالتعصب لقومهم ، فان الشيخ عبد الرحمن الجيرتي يقول في ترجمة مراد بك : « فأحدث المترجم ديواناً خاصاً بنصر رشيد على الغلال التي تحمل الى بلاد الافرنج وسموه ديوان البدعة . واذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الافرنج وغيرها . وجعل على كل أردب ديناراً خلاف البراني (يعنى الرشوة والمغارم) . والتزم بذلك رجل من أعوانه الموصوفين بالجور وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالاً وإراداً عظيمة . وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيين وطمعهم في الاقليم المصرى . بعد ما أضيف الى ذلك من أخذ أموالهم ونهب تجارتهم وبضاعتهن ، من غير ثمن . واقتدى به أمراؤه (أمراء مراد بك) وتناظروا في ذلك وفعل كل منهم ماوصلت اليه همته واستخرجته فطنته » وقال عنه أيضاً : « واختص بالسيد محمد كريم السكندري ورفع شأنه بين أقرانه فهد له الامور بالنصر وأجرى أحكامه به . وفتح له باب المصادرات والغرامات ودله على مخبات الامور ، وأخذ أموال التجار من المسلمين وأجناس الافرنج . حتى تجسست العداوة بين المصريين والفرنسيين ، إلخ . وقال في ترجمة السيد محمد كريم المذكور : « وقلده مراد بك أمر الديوان والجمارك بالنصر فزاد في المسكوسات ومصادرات التجار ، خصوصاً الافرنج »

ومن رأى « جودت باشا » في تاريخه أن الذى دعا الفرنسيين للحملة على مصر هو ما أثاره المعلم نقولا النصرانى الذى جعله حسن باشا قبودان رئيساً للقلونجية (البحارة) فى الترسانة التى شادها هذا بالحيزة لانشاء السفن . فانه بعد أن اشتد نفوذه وعظم شأنه أكثر من التعدى على سفن الاسلام والافرنج معا . وكانت نتيجة ذلك كله أن مصر تدهورت الى هوة الخراب الاقتصادى الذى تجرعت منه الامرين . وقاسى منه أهلها الجوع والعراء والمظالم نحو ثلاثة قرون من الزمان . حتى اضمحل شأنها وفقدت منزلتها التى كانت لها فى العالم القديم والحديث . وحتى هجرها أهلها ، وهى البلاد التى لايجب أهلها هجرها . ولا غرابة أن تتضاءل مصر فى ثلثائة عام حتى تعود خيالاً لما كانت عليه من قبل . وحتى ينقص عدد سكانها من نحو ١٥ مليوناً الى نحو مليونين ونصف . ولكن بالرغم من كل هذا فانه بقيت لمصر تجارة ترد اليها بالقوافل من اليمن وبلاد الحبشة وسوريا شرقاً ، وطرابلس وتونس والجزائر والصحراء غرباً . فكان يرد من اليمن البن وبهارات الهند والاقمشة الهندية الجميلة . ويرد من الحبشة الصمغ والعاج والریش . ومن دمشق الاقمشة الحريرية المشهورة . ومن بلاد الغرب والصحراء الصوف والجلود والتمر وما أشبه ذلك

العبقرية

بقلم الأستاذ محمد اسعاف الفاسيبي

ليست العبقرية في بيت أحكم سبكه ، وفصح لفظه ، وبلغ إيجازه ، وآنس السمع مجازه ، وأضاء كالشمس معناه ، وساق مثلاً ، وحمل حكمة . فكأن من أبيات ، قد اشتملت على هذى الصفات ، ولم تقترب من العبقرية قيد فتر ! . لكنها من وراء ذلك : إنها روح القائل في قوله ، إنها الحياة سرت في كلمات ، إنها القول من كلام الناس وليس من كلام الناس ، إنها المقاصد قد رمى فقرطس راميتها ، وغزا فأب بفتح في القول غازيها ، إنها الكلام يكاد ينطق ، يكاد يثب ، يكاد يقوم في الجمع خطيباً ، يكاد يجي في عهد الخلاعة ، في عهد الفجور ، في عهد الانتداب ، في عهد الانكليز ، يزفن مع النساء الراقصات الزافنات ويغنى عندليباً . إنها الحسن لم يعتمد في كل حين . وانه الجمال يبهر المجتلين . فينشدون دهشين قول شوقي وهو دون العشرين :

« صوني جمالك عنا إتنا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني »

« أو فابتغى فلـكا تأوينه ملكا لم يتخذ شركا في العالم الفاني »

« ينساب في النور مشغوقاً بصورته منما في بديعات الحلـي هاني »

« إذا تبسم أبدي الكون زينته وان تنفس أهدى طيب ريحان »

وأما رصانة السبك . وأما حسن الديباجة . وأما اطراد الاسلوب . وأما صحة اللفظ . وأما

اتضاح المعنى . وأما ضبط اللغة . ففضيلة صاحبهن كلا فضيلة . وهل يسمى الكلام كلاماً فقط .

« بس » إلا بكل ذلك ؟

إنها العبقرية . إنها العبقرية لا يد لصاحبها فيها . ولا عمل ثمة لبيت . أو كُتَّاب . أو

مدرسة . أو كلية . أو جامعة . أو بيئة . ولو كان في الجامعات خير كبير خرج في الناس عباقر

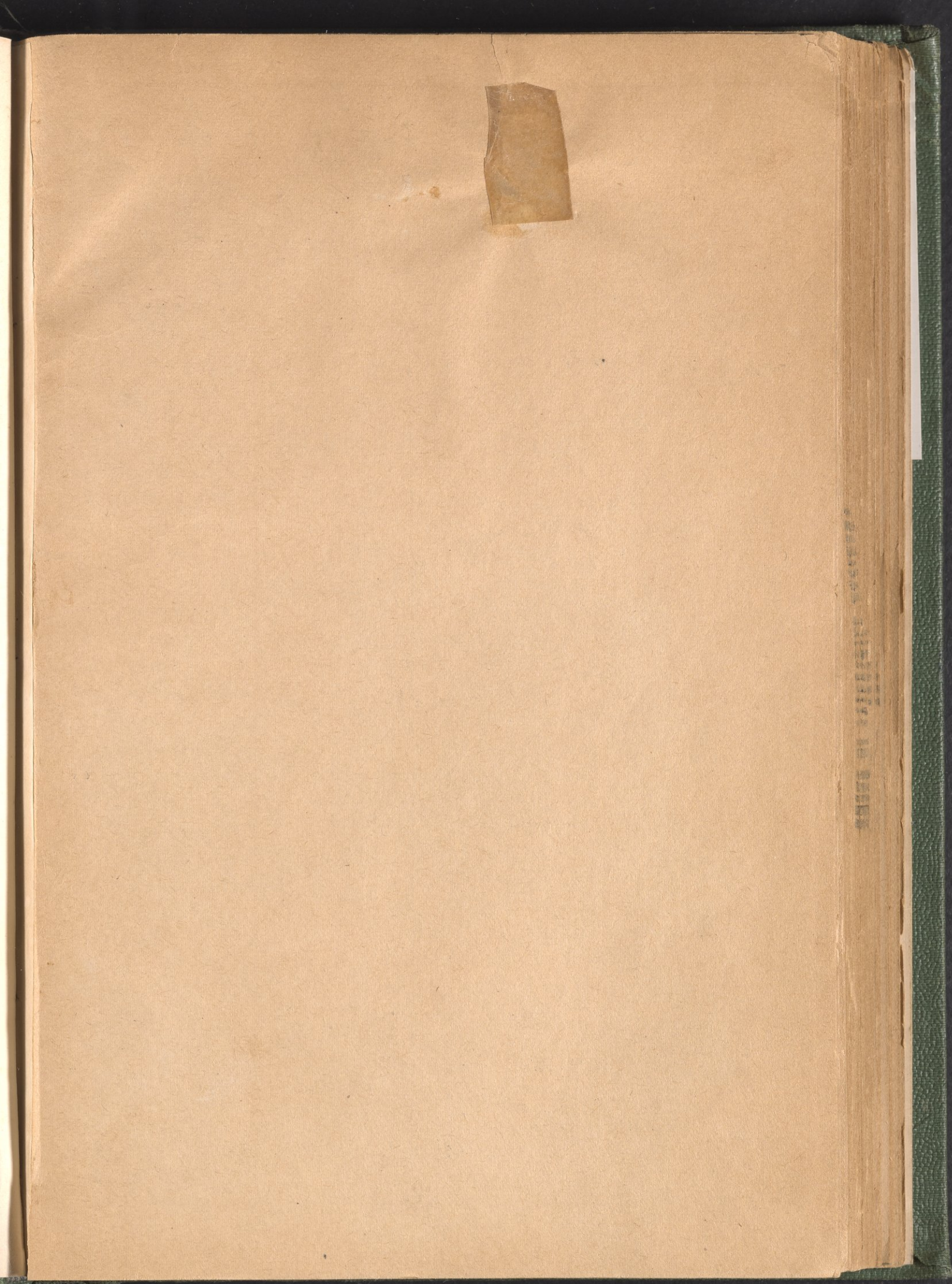
كثير . وقد يجلو الصيقل جوهرًا فيشع وينير ، ولكن

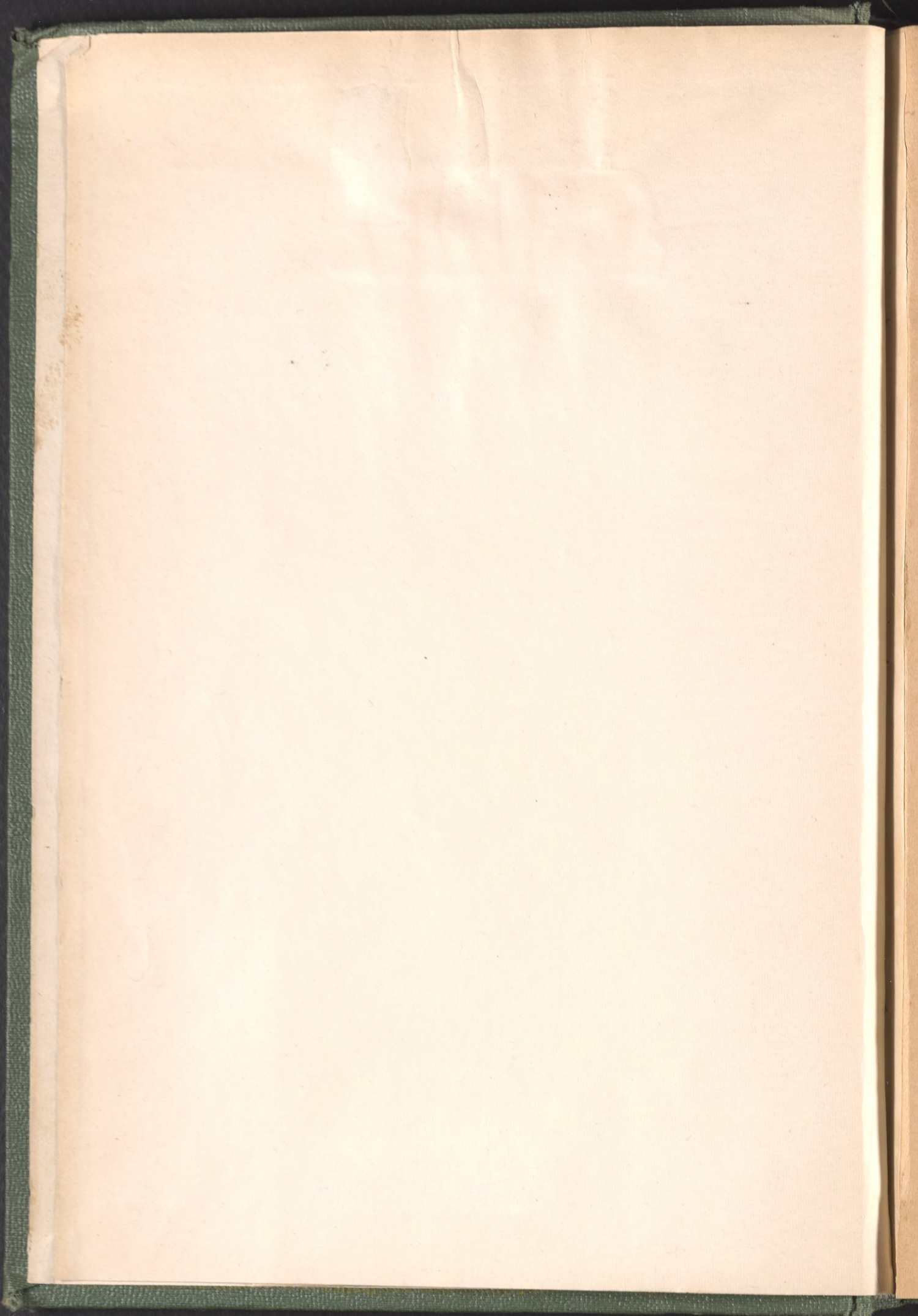
« السيف مالم يلف فيه صيقل من سنخه لم ينتفع بصقال »

إنها العبقرية إنما تجي من فوق . إنها إنما تهبط من السماء « إن هو إلا وحي يوحى »

فهرس

صفحة	مقدمة
١٠٥	١
١٠٧	٣
١١٠	٧
١١٣	١٠
١١٨	١٣
١٢٠	١٨
١٢٢	٢٠
١٢٤	٢٣
١٢٩	٢٥
١٣٢	٢٨
١٣٣	٣٠
١٣٧	٣٤
١٣٨	٤٠
١٤٢	٤٢
١٤٥	٤٤
١٤٦	٤٦
١٤٨	٤٩
١٤٩	٥٢
١٥١	٥٤
١٥٢	٥٦
١٥٧	٥٧
١٥٨	٦١
١٦١	٦٥
١٦٤	٧١
١٧٠	٧٣
١٧٣	٧٧
١٧٤	٨٠
١٧٧	٨١
١٨٠	٨٤
١٨٣	٨٧
١٨٤	٩٠
١٨٦	٩٣
١٨٨	٩٧
١٩٠	١٠٠
١٩٢	١٠٣
٩٤١	





6.12313282

1.12627375

DATE DUE



DATE DUE

31 AUG 1994

A. U. C.
23 AUG 1999

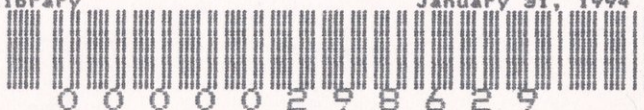
JUL

1974

JUL

PJ
7625
A4
1934

The American University in Cairo Library January 31, 1994



00000298629

